UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 15 18 09 11 014 7

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ
7760
I53M7
1897
v.2

al-Ibshihi, Muhammad ibn Ahmad
al-Mustatraf fi kull fann mustazraf.
Kitab al-mustatraf fi kull fann mustazraf

Digitized by the Internet Archive
in 2011 with funding from
University of Toronto

http://www.archive.org/details/kitbalmustaraffk02ibsh

الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد العالم
العلامة اللوذعى الفهامة الشيخ
شهاب الدين أحمد الابشهى
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين

LIBRARY
SEP
1977
OF TORONTO

وبهامشه بقية كتاب ثمرات الاوراق فى المحاضرات لحجة العرب
وترجمان الادب الامام تقى الدين بن أبى بكر بن على المعروف
بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته
ثم يتبعه الذيل الاول لثمرات الاوراق وهو كتاب صفا سلسبيل
منهله وراق وهو لنا سجع برده الموشح بطراز الادب العلامة تقى
الدين بن حجة الآخذ من العلوم بأقوى سبب ويتلوه الذيل
الثانى للثمرات أيضا وهو كتاب تبتهج بتلاوته نفوس الالباب
وتطرب للعلامة الاديب والفهامة الاريب الهمام الكامل
واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله فى آخرته كل
مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الاولين والآخرين

PJ
7760
I53M7
1897
v. 2

(قال الشافعي رضي الله عنه) وهي أول كلمة سمعتها في الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لي العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها تمتر فاتفخر على بني عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت نادبالابطح في العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثني على الفعل ويعدني انه يحمل الي في كل عام مثل ما صار الى منه وما دخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاء معي الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولتني اياها أمة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لي العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تاخر معك قال فدفعت اليها ودخلت الى مكة فما بت تلك الليلة الا مدينا وأقام مالك رضي الله عنه يحمل الي في كل عام مثل ما كان دفع الى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بي الحجاز وخرجت الى مصر فعوضني الله عبد

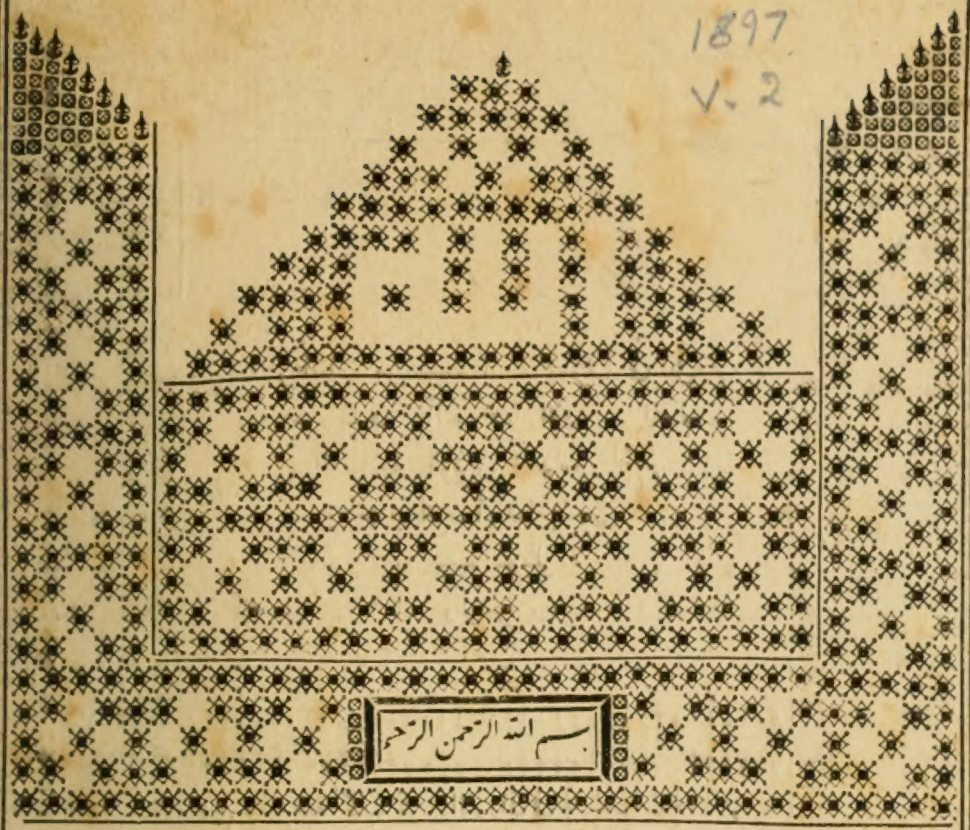

(الباب الثالث والاربعون في الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفي بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا * قال المتوكل لابي العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأسأؤا وقد رضي الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل في المامون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو هم * قتلوا أخاك وشردوك بمقعد
شادوا الذكر لك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المامون ما أبهته ليت شعري متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة تربيت وبدرها غذيت * ولما قتل جعفر ابن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت في وصف جعفر * باول انسان خرى في ثيابه

فكتب بدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روي ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاي اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدري لمن أنا قائله
أرى بي وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسي عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالي أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل

لا خوان هجوتني أتموت ابنتي قال لا قال أفتخرب ضيعتي قال لا قال فرجلي مع سرقي الى حاتي في حراملك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع * وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوي عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من غير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

غض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا في وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهابي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود * ولرب عود قد يشق لمسجد
تصفاو باقيه لحش يهودي * فالحش أنت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

(وله هجاء في خالد)

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(وقال) المبرد في حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا لاله * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فامر الامين باخراج حماد (وقال) رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول ٧

بني أمية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقي في سفينة فقال عين الشمعقمق تراني حيث يقول ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فاخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه * فما دحض الله لي حجة
ولا خيب الله لي قافيه * ومن خفت من جوره في القضا * فلست أخافك يا عافيه

فقال عافية لا شكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك

أن يؤذوني ونابي أن تؤمن بي فقال أبو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا فامضى لامرك قد زعمتك ناصحي * فلقد صدقت وكنت قبل أمينا وعرضت ديننا قد عرفت بانه * من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك يقينا

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل تنفع نصرة أبي طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه في نعلين من نار في رجليه يغلي منهما دماغه وهي أهون أهل النار عذابا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعيروني بها يعني قريشا يقولون انما حمله الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات منها في حكاية حاله

انى لمعتذر اليك من الذى
أسديت اذ أنا في الضلال مقيم
فاغفر فداؤك والدى كلاهما
* واحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب ما نقله القرطبي في الاعلام) ان الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه معه لينظر في ملكه فكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة تخضوع أهل البلاد ولم

لاتعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من ان أهجو نفسى فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الاعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قادته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب أجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتاب ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(وكان) للوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض مافيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين * الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
مع ليلها ليست على عاداتها * وبها خفافيش تطير نهارها
وبها من الجرذان ماقد قصرت * عنه العتاق الجرد في حلباتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على جنباتها
وبنات وردان واشكال لها * لوشم أهل الحرب منتن فسوها
أردى الكماة الصيد عن صهواتها * مما يفوت العين كنه ذواتها
أيدا تمص دماءنا فكأنها * جلامة ابدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ماراعني شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ولاحياة لمن رأى حسباتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها
والبوم عاكفة على أرجائها * والدود يبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد في حلباتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
تلقوا بايديكم الى هلكاتها * لاتقربوا منها وخافوها ولا
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا اندب المغراب منازلا * ينفرق السكان من ساحاتها
كذب الرواة فان صدق رواتها * وبدارنا ألفا غراب ناعق
دار تبيت الجن تحرس نفسها * صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها

فيها وتندب باختلاف لغاتها * كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها * أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى
أخرای هب لى الخلد فى جناتها * واجمع بمن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

(وبعضهم فى بلان) أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهرى فادمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات * هوى جسمى فالبسه نحيفا
على حمل الستور السابلات * ورام يلين أعضائى برفق * فايبسها وكسر فوق عاتى
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات * وأعمى مقلتى بصنان ابط
يفوح به على كل الجهات * فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

(وبعضهم فى حمام) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يانظام الملك أنى * أعاود من ذراك كما قدمت * وأصدر عن حياضك وهى نهب
بافواه السقاة وماوردت * يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

(وممن) عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى * فان أنت أنجزت لى ماوعدت
والا عجبت وأدخلت فى * وقد علم الناس مابعدفى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ)

مضوا يحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كان القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وماجادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

(وقال آخر) اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * باقبح ما يهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينها اذا مارأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(ولبعضهم فى عظيم انف) لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر وأخرج من قلبك ماهممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبى ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برأ من علته وعافاه الله

انهم عرب لا يعرفون شيأ ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه واذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم فى أمرى فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة مايعرض من أمور الارض وهذا شئ من السماء لا نستطيع له رداً ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره فى شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له ان بينى وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال أريد الخلوة فاخلى له المكان فلما خلا مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبى نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هى التى

تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عمار يا الذي يرى الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير ماشانهم يمتنعون عن الخروج معي وأنا محتاج اليهم وأي حكمه اقتضت نزولهم في هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحي فسالهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك البيت وهذه البقعة التي نحن فيها يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا ظوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمته مقامنا فدعا بالوزير فاخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم ورجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فاقام وأمر الناس ان يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم ان يقيموا في ذلك المكان الى أن يجيء زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره أن يدفع الكتاب الى محمد صلى

(وفيه أيضا)

ورأينا للزكي جدارا نف * يضاهي في تشامخه الجبالا
تصدى للهلال ليكتسي بهاه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم في أبخر مخنث)

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكري في مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالريد فع ما فيه الى فيه

(ولصفي الدين الحلي)

رأى فرسي اصطبل عيسى فقال لي * ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كانني * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعي * لما نسجتها من جنوب وشمال

(وله أيضا)

لهنك ان لي ولدا وعبدا * سواء في المقال وفي المقام
فهذا سابق من غير سبن * وهذا عاقل من غير لام

(وله في طبيب يدعى اسحق)

مباضع اسحق الطبيب كانها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسيل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله في أجق طويل اللسان)

لو أن قوة وجهه في قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

(وهجا اعرابي رجلا ثم مدحه فقال)

اني مدحتك من فساد قريحتي * وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

(وقيل) لبعضهم ما تقول في فلان وفلان قال هما الخمر والميسر انهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان في اللؤم قصير الباع في الكرم وثابا على الشر مناعا للخير *وسمع اعرابي قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبلك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته (وقال) أبو زيد العبدي

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابي العيناء ما بقي أحد في المجلس الا هجاك وذمك غيري فقال

اذا رضيت عني كرام عشيرتي * فلازال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول في الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال) عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك *وما أحسن ما قيل في ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن *وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره

الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصي به أولاده مثل ما أوصاه به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الكتاب * أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحبري ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذي أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبع برأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف في ايصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فاشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فاخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد

ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الا به * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع باعزله من الصدق وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعي * ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أبعدهما من هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الحد للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فامر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضربك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوه له فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قوم وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

* (الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وما جاء فيه) * قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به * ويقال راوي الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعي قلت لاعرابي أصدقت قط قال لولا اني أخاف أن أصدق في هذه القلت لك لافتجب (وقال محمود بن أبي الجنود)

لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بحراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لاجد به مع ما يلحقني من عاره من المسرة ما لا أجده بالصدق مع ما ينالني من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه

فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صبرى قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى أنينه فى سقمه وحتى ان الصبي ليبكى فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

(ولما) نصب معاوية رضى الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا بالكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شاربا خمر نزع واصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معدى كرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معدى كرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول)

(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا * وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيأ فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فان يدخل النار * وقيل ان رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين *(وحكى)* أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب أوصنى قال أوصيك بامك حسنا قال له سبع مرات قال حسبى ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين

قال نعم فبقى أبو ليلى متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فانى لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم ودفعه الى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبى نور الله ضريحه) ما ذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بالف عام *(ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبى)* ما أورده من مسند أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يا رب من هذا قال ابنك داود قال يا رب فما عمره قال ستون سنة قال يا رب زد فى عمره قال لا الا أن تزيده من عمرك قال وما عمرى قال ألف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك

داود قال ما وهبت لاحد شيأ فاخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة * وفي رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة خرجه الترمذي بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم

* (ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبي) * أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات على قافية بديعة أعجبت النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لك شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة * (ومن غرائب التفسير ما نقلته من الاعلام) * ان في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أقوالا ذكرت في أحكام مخارج القرآن أحسنها ما ذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدي بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى أي وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام في سعادة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وما

أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بابيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من والده أن يسقيه ماء فلما اتاه بالشربة نام أبوه فزال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع لك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عيناها اليه فاكون قد عققتها

* (الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوا أو صديقا * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قلت لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل لولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله تعالى عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والجلوس مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال أنبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فاسمه حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بالف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرئه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي انه دخل على الرشيد يوما فامر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا كأنهما كوكبي أفق يزينهما هدا هما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له باحسن الدعاء فاستدناهما واسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني ان ألقي عليهما أبوابا من النحو فسالتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمري أفق وفرعي شامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة

(٢ - ف - ني) نال بالاسلام من العز وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة ولد أبي طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي تقدم قوله مشيرا الى قريش في خطابه الى النبي صلى الله

عليه وسلم والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا (قال السهيلى) فو والله ضربه فى الروض الانف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل) فى الروض الانف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش ونباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منساة فى الاجل وزيادة فى العدد وان تركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كانى أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش بلا وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها

الزلالية أدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام رويه وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيدهما لاسلام تاييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كانكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دخل أخر الله منه رزق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه * وسب اعرابى ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبعال صغير حقى عليك قال فبكى عبد العزيز الدبرى رحمه الله تعالى

أحب بنيتى وودت أنى * دفنت بنيتى فى قاع لحد * ومابى أن تهون على لكن
مخافة أن تذوق الذل بعدى * فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدى
سالت الله باخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندى

(وقال هرون بن على بن يحيى المنجم)

أرى ابنى تشابه من على * ومن يحبى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بنى سليم)

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوى)

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

(وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول)

أزهر من آل بنى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريق

(وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

(وكان اعرابى يرقص ولده ويقول)

أحب محب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله

(وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسى وتكون الفاليه * وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه * أزرتها بقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتى ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق)

(قيل) نظر اعرابى الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بنى انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت قال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو

وأصغت له فؤادها وأعطته قيادها وقالت يا معاشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة ووالله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ثم هلك (ومن شهي المجتنى من ثمرات الاوراق) ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهو يتهم من قبل قطع تمائمي
متناشيا مثل القضيب الناعم
فكأن نور البدر سنة وجهه
يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت وانا الذي عمل الفراق بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم فسار أبو بكر رضي الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب عفى عنه (ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) في فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فاقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم في المسير الى قيسارية أو الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الامير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فيما أمرك امتثله قال له أصبت الرأي يا معاذ ثم كتب الى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عريفة بن ناصح النخعي فسار حتى وصل المدينة فسلم

بلاده * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرضكم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * كان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فاي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال لا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة بن الاعرابي كلنا حمزة فاي حمزة تعني فقال له أبوه ايش يعنيك يا من أحمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فارسله في حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

(فاجابه)

مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

(ونهى) اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لي الخمر
سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

(ومما جاء في صلة الرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للمال منماة للولد مثراة للمال * وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذي فاق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضي الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبي الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر ومن كلام علي كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

وذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بانك لا تسود نهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

(الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشرب بالحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر اللبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كله زرجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما فسيما فى جبينه زج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان لارحته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

(وقال كثير) لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ما قيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

(وللمتنبى) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فارت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

(وله أيضا) لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

(وقال الصفدى) لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا

الكتاب الى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد وصانى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمه الجيش الى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان فى يوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن يساره ففتح الناس صيحة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ما هذه الضجة التى أسمع قالوا يا أبانا قد قدم امير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاجر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم وبلبله

وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى ان ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسالكم فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل باسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلدتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فاقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الامر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسال ما الذى يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا

وبابله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر) أرخى ثلاثا يوم حامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

(وقال آخر) بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقال ابن المعتز) توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياها اضاح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل فى الاصداغ)

(قال ابن المعتز) ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

(وقال العادلى) وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر) وماضره نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

(وقال آخر) حل القباء ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثنايا ه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

*(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكانها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب) صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك اشقونى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر) ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عند بر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر) أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

(وقال آخر) ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا وعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى حلت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر) من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني) يحدث ليل عارضه بانى * سأسلوه وينصرم المزار
فاشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه * عذارا رأى الحسن من صده
فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

أو نهزمهم عنا فاجابهم البطرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يا معاشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليبدين منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى العيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحمى

(وقال ابن نباتة) وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلى) لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسور ابسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شانه

(وقال آخر) ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

(ابن نباتة) وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا الملك التحى ليلا بهيما * وكان كانه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاه كم النذير

(آخر فى ذمه) قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كانما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) مازال يحلف لى بكل ألية * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخده * فتجهموا لسواد وجه الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاعف السقام الذى فى لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن هلال الحبر سوادا ذوائب

(وقال آخر) غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

(وقال آخر) أيا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائى بعين مريضة * كلا لا متن السيف والحد قاطع

(وقال الاخطل) ولا تلمم بدارينى كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا

فلما وقف بازائهم قال ما الذى تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تاخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الامر على ماذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضى الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضى الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الامة وكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أدل لزوم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا انك بامرهم مستخف فلا يثبتون الا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نعم عندى غير هذا لرأى وأنا أبديه اليك

ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن) وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا والتثمن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هنان) أخوذ نف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فوالله لا يقال سوى احورار * بهن ولا سوى الاهداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالنعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

(عز الدين الموصلي) لها عين لها غنج ودلّ * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيا للسمقلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطي) شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

(بدر الدين بن حبيب) عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تتذكارا
يا حاكم الحب اشتد في قتلي * فالحظ زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا) شهدت جفون معذبي بملالة * مني وأن وداده تكليف
لكنني لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال الشيخ عز الدين الموصلي)

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك * وأنت يا وجنتيه * لا تحرقي بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدي) يا عاذلي على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهي مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل في الخال) للصلاح الصفدي

بروحي خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(لابن الصائغ) بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فاذ به بالمال

على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الاجر العظيم واست آمن منهم انهم اذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضر والصواب أن تسير اليهم ففرح عمر بمشورته على وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلى أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا واست آخذا الا بمشورة على فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعيره أجرعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار الى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ فلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا الى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم الى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال أن يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب

على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها وابست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به الى أن أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر وطرح على كتفه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ما شان العرب فاشرف رجل من المنتصرة فقال يا معاشر العرب ما قضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المنتصر وأعلم البطرك فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لابى عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم انى قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قسامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على أبى عبيدة وقال ما هذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو منى فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفرد وه

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بان الخال لا يرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد * فزت يا عبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أيبك) فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

يا صائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى * نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بهجتى * وولى مناى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

(وقال آخر) أنفقت كنز مدامع فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى * ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التئام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كاعماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(وقال شهاب الدين الكردى)

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر * وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر * وسوف أحظى بوصل * فاول الغيث قطر

(الصلاح الصفدى) نقل الارانى بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الارانى لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

(وقال آخر) ثلاث تجمعن فى ثغرها * ملاح أدلتها واضحة
فان قيل ما هى قل لى أقل * هى العلم واللون والرائحه

(وقال آخر) يا رب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه

دارت مراشفه على وكاسه * فسكرت فى الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهات بان فى الاسماء ريقا

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى

ولما التقينا والنقا موعدلنا * تأبى رائى الدر حسنا ولا قطه
فمن أؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

(وقال ابن الرومى) يمسى ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * درياسقاطه الى لسانه

(وما أحسن هذه الابيات) وهى من طارف الشعر وافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء وأعين الجآذر والرنجت بهن الروادف
رجحن بارداف ثقال وأسوق * جزال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فوردخدها فرط الحياء * وقابلت الهواء وقد تعرت
بمعتدل أرق من الهواء * ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء * رأت شخص الرقيب على ندان
فاسبلت الظلام على الضياء * فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا * ترى من فوق حقويه قضيبا
اذا حركته خطاه مالا * اذا كامته أثرت فيه * وان حركته فالخمر سالا

(وقال بشار) وما طرفت عينى غداة لقيتها * بشئ سوى أطرافها والمحاجر
كحور اعمن حور الجنان غريرة * يرى وجهها فى وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبو نواس قوله) نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهى فى وجهه

(وقال آخر) توهمه قلبى فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

(وقال آخر) وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) لاظفر الاعمى

قبلته فتناظمى جر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر) سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فها كها فى الخد وامنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذى تيمنى * قولوا لمن خبلته * يروم منى قبلة * لو مات ما قبلته

(٣ - ف - نى) وذلك بعد أن كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية *(ومن شهى المجتنى من ثمرات الاوراق)* ما نقله أبو الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات

على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائني) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا فقاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون اليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا

(الشيخ عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور
وهذا قريب لمن ينظر * وذاك يغيب وذا حاضر
ومامن يغيب كمن يحضر * ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر) قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا * وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا * رجل سعت بك نحوي * حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة
انسية في مثال الجن تحسبها * شمس ابدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبي خبيص) تصد من غير علة * بالعز أضحت مدلة
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظلة * وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهلة

(وقال آخر) أقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقمي مكان البدر أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
فقيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن أبي ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال)
لو أن اجماعنا في فضل سوددة * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) ففي أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(محمود المخزومي) رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ايست تضيء اذا تمسي

(وقال آخر) اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق * بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق * قلت من أنت ياغزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لاتروم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله) قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور ينفسخ عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا يدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي

(وقال آخر) دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم يجريان
فلم يسخن اكراما لجفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل في النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون و بالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لو أن القلوب كقلبها * ما رق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ما حوته ناهد

(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممعك
وقد سفرت عن غرة بابية * وصدر به نهد بحق مفلك

(عمر بن كلثوم) نرانا اذا دخلت على خلاء * قد امتدت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من أكف اللامسينا

(وقال آخر) يصدرها كوكبا دركانهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركبان في الحرم

(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج * ودرزانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق * وما تلك الحقاق سوى ثدي
جعلن من الحقاق على وفاق * نواهد لا يعدلهن عيب * سوى منع المحب من العناق

(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومي

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

(الطنبغا المحاربي) ردفه زاد في الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

يا أمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك بالامس يوم كذا وكذا قالت بابي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فامر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لا تعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما يضارع هذه اللطائف) انه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب * أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني) حدثني أحمد بن محمد الجعد ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا ابن عائشة قال ج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل

كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال له رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه يا شامي قال من هو قال هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم اذا رأته قريش قال قائلهم الى مكارم هذا ينتهي الكرم هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم أي الخلائق ليست في رقابهم لاولية هذا أوله نعم من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم وليس قولك من هذا بضائره فالعرب تعرف من أنكرت والعجم فحبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيأ لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالي جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثني أبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية في موكب نبيل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف بات

(وقال آخر) ياخصره كم جفاء * تبدي وأنت تحيل يارد فهمات عني * ما أنت الا بخيل
(القيراطي) بدت ورادف بدري * نحت الحنين لعيني فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحيني
(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته * الى معصمي لما تلاقى في خصري
(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره
(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات * جواعل في الثرى فضلا جذالا
جعلن لمة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل في المعاصم) قال عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه باذرع ومعاصم * ورنوا بخل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتضيت متون صوارم

(ومما قيل في اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدي

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندك مأثوي
فقم تحتكم للروض عند نسيمه * ليقضي على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب في نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما للذي الرمة حتى كانه حضري من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضي مجد الدين بن مكانس

أقول لحبي قم ومل يا معذبي * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شيء اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها
(وقال آخر) ومحكم أعطافه * في قتل صب ما غوى فاعجب لعادل قده * في النفس يحكم بالهوى
(وقال آخر) ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فاجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل في الساق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق
(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعاشقها
فافتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها
(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فالاعطافه تميس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم

يهززن للمشي أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيد الرجال فزاد المتن في اللين
(وقال آخر) يمشين مشي قطا البطاح تأودا * عقب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل في العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * كأنني عانقت ريحانه
تنفست في ليلها البارد * فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد
(وقال آخر) وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا

بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل) أقول وجنح الدجى مسبل * والليل فى كل فج يد

ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضمنا المسجد

أياغدان كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى ياغد

وياليلة الوصل لاتقصرى * كما ليلة الهجر لاتمتد

(وقال آخر) وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق

لهونا بغزلان الصريمة تحته * نمت الهوى مابين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز) وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب

نقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن) ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب

لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب

أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب

لأنت المنى يازين كل ملمة * وأنت الهوى أدعى له فاجيب

(وقال على بن الجهم) سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

(وقال آخر) ياليل دم لى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا

حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا

حسبى بمنحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا

طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للنام وشاحا

هذا هو اليوم النعيم نخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

(وقال آخر) ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل

ولاقوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا

انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والثياب)

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوانى ولون المسك والعود

انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان) لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر

وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

(دخل) ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسودا لونى أنى أبيض الخلق

ثم قال ياعم أخرجنا الهزل الى الجد فانشد ابراهيم

الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما يعيلك قال وتر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وفما الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليعرف أحوالهم فالقى القاضى على أبى الحسن النورى مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فارسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى دواد القاضى) انه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم ابن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فاعجبه شكله وقده ورآه يمشى الى الموت غير مكترث به فاطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فاذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الاليق بشيمك الطاهرة ثم أنشد أرى الموت بين السيف والنطع كامنا*

ليس يزرى السواد بالرجل الشهـ*ـم ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

(وقال آخر) لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام فى الخال أقوام وباعلوا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف بلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

(وقال آخر) فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد ومن يك معها بيات كسرى * فانى معجب بيتات حام
وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر) أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال آخر) أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى ما دمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

(وقال آخر) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى نار من قتلت * فاست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء ينتدبان
ولو لا نوال من يزيد بن مزيد * لاصبح فى حافاتها الحمنان

(وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ما شيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والد يمشى بمولود
ما طول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تامات أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها الموالیا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال الخوالیا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

قيل خرب القهندز فبرزت منه جاجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلام وا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكى لا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فحبر بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه

في الحالتين وانصرفا مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسي أسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد أعيا أباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في جمعها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل في القبح واللامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يا تيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فاتت بك الى لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو مسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولوان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكوني تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضي الله به وج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبي ما أرالك تخل بهذا الوجه على جهنم * وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا * فيا شقاء بلدة * أحسن ما فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت اني رجل كريم المعاشرة تحتمل المكاره فقالت لا شك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر)

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت في القدس تصلي * وهو في البيت يطوف

(ومما جاء في الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء * أنت في الصيف سموم
وجليد في الشتاء * أنت في الارض ثقيل * وثقيل في السماء

(ومما جاء في الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعممو تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى

المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من أن أموت وانني
لاعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كاني أراهم حين أنعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
وان عشت عاشوا سالمين بغبطة
اذود الردى عنهم وان مت
موتوا وكم قائل لا يبعد
الله داره * وآخر جذلان
يسر ويشمت قال فبكى
المعتصم وقال ان من البيان
لسحرا ثم قال كاد والله يا تميم
أن يسبق السيف العذل
وقد وهبتك لله ولصبيتك
وأعطاه خمسين ألف درهم
(ومن لطائف المنقول من
المستجاد) انه كان بين
غسان بن عباد وبين علي بن
عيسى القمر عداوة عظيمة
وكان علي بن عيسى ضامنا
أعمال الخراج والضياع
ببلده فبقيت عليه بقية
مبلغها أربعون ألف دينار
فالح المأمون عليه بطلبها
الى أن قال لعلي بن صالح
الحاجب أمهله ثلاثة أيام
فان أحضر المال والا فاضربه
بالسياط حتى يؤدي المال
أو يتلف فانصرف علي بن
عيسى من دار المأمون آيسا
من نفسه وهو لا يدري وجها
يتجه اليه فقال له كاتبه لو
عرجت على غسان بن عباد
وعرفته خبرك لرجوت أن
يعينك على أمرك فقال له

على ما بيني وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له
الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك الى داري حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر ان كان لك حاجة نقض عليه القصة

فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيأ فنهض على بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أغدتني بالدخول على غسان غير تجميل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان معه البغال عليها المال فتقدم وسلم وبكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلى بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران فى ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأى أمير المؤمنين أن يجيز فى على حسن كرمه بعض ما عليه فهى صنيعة يجددها على تحسرس ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها امكان الرضا عنه فاجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج على بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر فى داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه ... الخ وينتفع بها فاقبض بها اليه فلما رد ها كاتبه الى على بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر *(ومن غريب ما يقتطف

دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بالف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)

رأيتك فى السواد فقلت بدر * بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

(وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى)

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

(وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر)

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره * بدت فى قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره * فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فابدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك أن تلبس ما يديم الملأ نظره اليك به واعلم ان الوشى لا يلبسه الا الاحمق أو الملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه *وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل على بعاقل فاتاه برجل فقال له ما عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر ومنكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيبه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بانواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكامل وانما يكامل من فيها

(ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

يا بني ليس لي مال فاوصي فيه وخلف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنا فاصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فاما أولاد عمر بن عبد العزيز فاروى أحد منهم الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة ألف فارس على مائة ألف فرس في سبيل الله تعالى وما روى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد أحدهم وهو يوقد في الاتون (قيل) لمعاوية بن أبي سفيان ان بالحيرة رجلا من بني جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال أخبرني بأعجب ما رأيت في عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت في حي من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذري فشيت في جنازته وتاسيت بجماعته فلما دفن في قبره وأعول النساء في أثره أدركتني عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطري منها هذه الابيات

يا قلب انك من أسماء مغرور ... فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد ... حتى جرت لك اطلاقا محاظير
فلست تدري ولا ندري أعاجلها ... أدنى لرشدك أم ما فيه تاخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به ... فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط ... اذ هوى الرمس تعلوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه

*أأخي ان الحادثا * تعركنني عركك الاديم * لا تنكرن ان قد رأيـ
ـت أخاك في ظمري عديم * ان كان أثوابي رثا * نا انهن على كريم

(وقال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله تعالى)

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته يرى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير
فان أك في شرار كموقليلا * فاني في خياركم كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك)

(ما جاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف ليس الخاتم

وذكر السلامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان ابنا اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق ونقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابني نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل في فيه قال جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر ما جاء في الحلي) قيل ان قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) يعني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسري اشتريتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

*(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة نهرا عرفه من مسك مثل مراعي ركابكم هذه وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطار ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسألكم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال لهذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك مني كما أردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فارمسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحبي أحرم والغالية على صدغيه كأنهما الزقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي وقيل لمصابني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسار جه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تمعموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشب تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فتجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جوذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكل شيئا الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شيء نثره البحر وأما العود فاجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصابه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقعل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهر اوضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فصموغ وهو العود المستقطر والعنبر واللبان قال

لو كنت أجهل جر احيز زرتكم * لم ينكر الكلب اني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب

وذو قرابته في الحي مسرور وعيناي ينسكبان اذ قال لي رجل الى جنبي من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل هذه الابيات وذو قرابته الذي ذكرته مسرور هو ذاك وأشار الى رجل في الجماعة فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من السرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمري تردده والاجل اذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس اليك رد شبابي ولا الآخرة فتكرم ما بقي والمال فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال لا بد ان تسألني قال أما اذ أبيت فامر لي برغيفين أتغدى باحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فامر له معاوية باشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زدناك

الترجمان عليه ألف ألف درهم قال بابي أنت وأمي قال وبهذه ألف ألف قال لا أقولها لاحد بعدك قال ولهذه ألف ألف قال فالنرجس

واحد قال انما فرقته على أهل المدينة أجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى القرض (ومن لطائف المنقول) أن رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شئ والسنون كلها لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابن لي ابن كم أنت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شئ قتلني قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص فقالوا له والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من ان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتداك وان أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله ابن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فاتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لان أرضنا ما هي بارض كلاب وأخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الامر مبني على السخاء والله ان هذا لاسخى مني فاشترى النخل والعبد فاعتقه ووهب ذلك له (ومن لطائف المنقول)

فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ترد وا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده أعرابي ففرطت من الامير ريح خفيفة فاراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفي من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك أطيب فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشباب وفضله) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله تعالى عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جود امرد أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير السن آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الى اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الامة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيآت وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطمع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب ان يعجب ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف عيل مثلك للطبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص في الشباب كانه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف في بياض اللحية)

تكونني هم ليضاء نابته * لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجب اني اذا رمت قصها * تصمت سواها وهي تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغواني * بمبلغ شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز) فظللت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بني اني أعطيتها بغير ثمن * ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذا ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمنا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني فانشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي * فاعرضن عني بالخدود النواضر

(وقال آخر)

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبي وقد كنت ذا مل وذا نعم
فاعرضت وتولت وهي قائلة * لا والذي أوجد الاشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من أرب * أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

(وقال آخر)

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذا بذا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر)

قالت أرى الخضبات الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

(وقال ابن نباتة)

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال ابن المعتز) فما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا في الرأس مني فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلنا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

(وقال آخر)

ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

(وقال العتبي) قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون بزؤه الكبر

(وقال علي بن ربيع) كبرت ودق العظم مني وعفني * بني وزالت عن فرائسي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودني بين البيوت الولائد

(وقال آخر)

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(وقال ابن النقيب) وكم كان من عين علي وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وبين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلي فقال أخره وقدموا العباس ابن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسعى بها قوم وقالوا انها * لهي التي تشقى بها وتكابد
فجعدتهم ليكون غير ظنهم اني اليعجبني الحب الجاحد
ثم قال أتحفظها فقلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين

(قلت ويضارع هذا ما حكاه صاحب الاغاني) حكى ان رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضي هل يعرفك أحد من ذوي العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضي هل تعرف هذا قال نعم أعرفه عدلا وما ذاك الا أني سمعته ينشد لجرير
ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا
غيض من أبصارهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا
فعلمت ان هذا لا يرسخ الا في قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقي الدين السروجي تسلب العقول وكان يغني بها في عصره لانها في الطريق الغرامي غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

أنعم بوصلك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمري في هواك وليتني * أعطى وصالا بالذي أنفقته
وقال يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال في ميدان حسنك فارس *

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما شهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط (قال الشاعر)

شبابان لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الجاحظ) أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء فى الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارى رضى الله تعالى عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباءة بيت

تسود أعلاها وتابى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا الوداع فقال

ولوداع لى هذا الخضاب حدثه * وكان بديلا من خليل فدا نصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

(وقال آخر) ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

(وقال محمود الوراق) فما منك الشباب ولست منه * اذا ما مت لم يبك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الاماني ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة ابن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لاجوار له والملك لاصديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كسالك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يامن البلاء وقيل ان فارة البيوت رأت فارة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا لا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية * وكان عند رومى خبز فرفرطه الى اسفل وانته ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لودام فقالت له أمه يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل

فسرت لما قالت قد صدقته بالله ان سالوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بايديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محمد وبه أن لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال وكان الشيخ بهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة

فانه ممن هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرئ الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرئ الا الاحداث فافتتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من

يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظري هل بقي في خلال أسناني شيء من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

(الفصل الرابع في أخبار المعمرين في الجاهلية والاسلام) قال الحسن رضي الله تعالى عنه أفضل الناس نوايا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا في الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزاري كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية وستين في الاسلام فقال له أخبرني عما رأيت في سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة في أثر ليلة ويوما في أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوي يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزي ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلايل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروي عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بني آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفي ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادي سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدي بن حاتم الطائي وزهير بن جناده عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذري عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدي ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر انه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر في القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من ولده وذلك في صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان امتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما الاسماء والكنى) ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغي أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل

أعرفت بماء دموعها بيني وبينك حرمة الله في تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من في المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين في دينهم وعده صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما (وقال في كتابه الموسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك ابن محمد الشيباني لنفسه في عمرو النصراني قال القاضي أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان ناطق دمع صامت اللسان موثق قلب مطلق الجثمان معذب بالصد والهجران من غير ذنب كسبت يداه

لكن هوى نمت به عيناه شوقا الى رؤيته من أشقاه كانما عافاه من ابلاه يا ويحه من عاشق ما يلقى

من أدمع منهلة ما ترقى ذاب الى أن كاد يفنى عشقا وعن دقيق الفكر سقما دقا لم يبق منه غير طرف يبكى بادمع مثل نظام السلك

تحمد نيران الهوى وتذكى * * منهلة قطر السماء تحكى الى غزال من بني النصاري * فضل بالحسن على العذاري * الفلاني

وغادر الاسد به حيارى في ربقة الحبل له أسارى ريم به أي هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولا يخشى القود متى تقل ها قالت الالحاظ قد *

كانه ناسوته حين اتحد يالينني كنت له زنارا * يدين في الحصر كيف دارا حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا

الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء ان أجبتني عنه ابتداء من غير أن تفكر فذلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضي الله تعالى عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الانصاري رضي الله تعالى عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أي ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصاري رضي الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتي فيه اللسان * لك دولتان حديثة
وقديمة ورياستان * لك في الورى من هاشم * نيت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت قصدت في هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف و بنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد قال حذافة بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به في سوق مكة مرد وفاله فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءك فيقول عبدلي * سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد ابن عبادة رضي الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمي والعوم * طلحة بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر وأبو تراب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه * الحبر عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعي لقب بذلك لسخائه * المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعي قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع العمائر فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني * أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني * اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الأمم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال

الاسمعت القول من فصيح * يذب عن قلب له جريح
ليس من الحب بمستريح * يا عمرو يا حق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت * عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في القنوم الاقدم * يكلم الناس ولا يفطم
بحق من بعد الممات قصا * يوما على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبري أكمها وأبرصا
بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
ونبوي اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه * ونال من مولاه ما أحبه
بحق ما في قلة الميرون

من نافع الادواء للمجنون بحق ما يؤتى عن شمعون * من بركات النخل والزيتون بحق أعياد الصليب الزهر * وعيد شمعون وعيد الفطر
و باشعانين الجليل القدر * وعيد مرماري الرفيع الذكر وعيد شعياء وباهيل * والدخن اللاتي بكف الحامل يشفي بها من حبل كل حابل

من لم يكن بهاد
بحق ثنتى عشرة من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون
الحكم
حتى اذا صح الهدى جلا الظلم
سار وا الى الله ففازوا بالنعم
بحق ما فى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخبر ذى نبا جليل
ورويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معبوديه الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب بالك ومن نواح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد
بطول تقطيعك للاكباد
بحق ما قدس شعياقيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما رويه
عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
وتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والدرانى
والبطرق الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
ومار قولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول
وبالمسيح المرتضى وما فعل

الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف ان لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والاقمص والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله تعالى عنه أبا تراب وذلك أنه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبا لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بابى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا العويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء بناتهم كابى زهوة وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بابى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير * ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه وسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمدا أو أحمد فادخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رف لى من بعد هجر وقسوة * وماضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا)

لازال بابك كعبة تحج وجنة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع باسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

(وفيه أيضا)

ياسمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

*(وليعضهم فى مليح اسمه عمر)

*يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

(وفيه أيضا)

ما عليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

(وليعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

بحق يوم الذبح فى
وفى
بحق كل بركة ومحرم
بحق قدس على قداس * قدسه القس مع الشماس
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله فى البلاد
بحق ما فى محكم الانجيل
بحق لوقا بالحكيم الراجح
بحق معبوديه الارواح
بحق ما قدس شعياقيه
بحق نسطور وما رويه
بحرمة الاسقف والمطران
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
وبالكنيسات القديمات الاول
وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وما حوى مغفر رأس مريم بحرمة الصوم الكبير الاعظم * بحق كل بركة ومحرم بحق يوم الذبح فى وفى
الاشراق وليلة الميلاد والتلاقى والذهب الابريز الاوراق * بالفصح يا مهذب الاخلاق بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم ايا كل المنى * فاجابني عثمان ذو النورين

(ولبعضهم في مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء عقل عذاره * النجم يشهد لي بانى مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

(وللصفي الحلي فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبي من حديد * وفيه على الهوى باس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سود في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله في الحقب المواضي

(وللقيراطي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما * وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميده * وأوصافه تزري بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

(وقال آخر في مقبل)

يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم في مليح اسمه محسن)

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى أسالها

(صفي الدين الحلي في اسم حسين)

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
واعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لم ترتجى الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

(ابن مكانس في اسم عائشة)

يا دهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشة

(شمس الدين البدري في اسم حليمة)

والمرأتني في هواها متيما * أكايد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه

(ولبعضهم في اسم بركة دوبيت)

لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

(مردوفا أيضا)

لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق * يا قلب أفق ولا تمل للشركه

أعلى مناه أيسر التقريب
انظر أميري في صلاح أمري
محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا مني جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشيء بالشيء يذكر)
الشيخ مدرك لأجل أنه
الضرورة الغرامية أن
يتجشم المشاق ويتقرب الى
محبوبه باقسامها عند
أهل دين النصرانية محل
عظيم الموقع كما ألجأت
الشيخ مهذب الدين بن منير
الطرابلسي الشاعر المشهور
أن يترك التشيع وكان
من كبار الشيعة ويرجح
جانب السنة ويهي أقوال
الرافضة وموجب ذلك أن
مهذب الدين المذكور هاجر
الى بغداد بسبب مدح
الشريف الموسوي نقيب
الاشراف بها وكان الشريف
أيضا من كبار الشيعة فلما
دخل بغداد جهز الى
الشريف هدية مع مملوكه
بل معشوقه تترك الذي سارت
الركبان بغرامه فيه فاخذ
الهدية وأعجبه المملوك
فاخذه فلما وصل الخبر الى
مهذب الدين بن منير أشرف
على ذهاب روحه وكتب الى
الشريف والى تتر

عذبت طرفي بالسهر
وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جسمي الضنا

(٥ - ف - ني) *وكحلت جفني بالسهر وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر يا قلب ويحك كم تخا * دع بالغرور وكم تغر والام تكلف بالاغ * ني من الظباء وبالاغر ريم يفوق ان رما * ك بسهم ناظره الفتار تركتك أعين تركها * من باسهن على خطر

ما الشرك يليق * تغفيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الاثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خانى أمضى لشانى ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا الشديد
تهينى ريب المنون ولم أكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو بغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الخطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر)

وما هى الابلاد مثل بلادنا * خيارهما ما كان عونا على دهرى

(وقال آخر)

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفى الحلى)

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففى الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تسمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدى بمضلل

(وقال عبد الله الجعدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة * أجد عنك فى الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء)

قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا فى قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظلعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول * قليل الموالى مسلم بجزيرة
له بعد نوم العين أليل * يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
يا كبرمنى لوعة يوم راعنى * فراق حبيبى ما اليه سبيل

(وقال الشاعر)

وما أم خشف طوع يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

ورمت فاصمت عن قسيه * سى لا يناط (٣٤) بها وتوجرحنك جرحا لا يخيـ * ـط بالخيوط ولا الابر تلهو وتلعب بالعقو * ـل عيون أبناء
الخزر فكانهن صوالج * وكانهن لها أكر
تخفى الهوى وتسره * وخفى سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى * يقضى اليه فينتظر
نفسى الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الحوا * طر ان تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ * ه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ * ـح جبينه ليل الشعر
ندمى اللواحظ خده * فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى * قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده * وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لبن الشريف الموسوى * ابن الشريف أبى مضر
أيدى الخطوب ولم يرد * دالى مملوكى نثر
واليت آل أمية الطـ * ـهر الميامين الغرر
وعجدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر العلا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمر

ما سل قط بأعلى * آل النبى ولا شهر كلا ولا صدأ البتو * ـل عن التراث ولا زجر وأنا بها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر تهيم
ويكيت عثمان الشهيـ * ـد بكاء نسوان الحضر وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر وقرأت من أوراقه * سحفه البراءة والزمر

تهيم ولا تدرى الى أين تنتمى * مولهة حزنا تجوب الفيافيا أضر بها حر الهجير فلم تجد
لغلتها من بارد الماء شافيا * اذا بعدت عن خشفها انعطفت له فالفته لهوف الجوانح طاويا
باوجع منى يوم شدوا حولهم * ونادى منادا البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله بالك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذرهذا قبل أن يقعا * ما كان والله شؤم الدهر يتركنى
حتى يجرعنى من بعدهم جرعا * ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهدا * فلا زيادة شئ فوق ما صنعا

فقال والله لا عينك فاعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أنى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فاومأ بيده الى حجر برميه به وقال ألمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم لما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى بالابل * وقلبت بخلال السجف ناظرها
يرنو الى ودمع العين ينهمل * ووعدت بينان زانه عنم * ناديت لا حملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * يا ليت شعرى طول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بان القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل * شبكت عشرى على رأسى ووقلت له
ياراهب الدير هل مرت بك الابل * فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يا فتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى)

ما رحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطوا ويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
أسفقة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قسا قسا أو بطار يقا شماسا
ناديت اذ حملوا اللبين ناقتها * ياحادى العيس لا تحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كزاد يسا كرا ديسا
ساروا واصبحت انى الربع بعدهم * والوجد فى القلب لا ينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت انامذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع * أشارت باطراف البنان وودعت
وأومت بعينيها منى أنت راجع * فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدرى ما به الله صانع

وتوبت صوم نهاره * وصيام أيام آخر ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يذخر وسهرت فى طيخ الحبو * ب من العشاء الى السحر وغدوت
مكتحلا أصا * ح من لقيت من البشر ووقفت فى وسط الطري * ق أفض شارب من عبر وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جونى الجفر

وأقول أم المؤمنين * ن عقوقها احدى
الكبر لبت على جمل لنا
ح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ
ش المسلمين على غرر
فاتى أبو حسن وسا
لى حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى
وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كفـ
ـف وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان امامكم
ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا مغـ
ـويه فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا
وية ولا عمر ومكر
بطل بسوأته بقا
تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من رطب النوا
صب ما تثمر واختمر
وأقول ذئب الخارجيـ
ـن على على مغتفر
لا ثائر القتالهم
فى النهر وان ولا أخر
والاشعرى بما يؤ
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا
فانا البرى عمن اخطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيدما
شرب الخمور ولا خمر
ولجيشه بالكف عن
أبناء فاطمة أمر
والشعر ما قتل الحسيـ
ـن ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت فى عشر المحـ
ـرم ما استطال من الشعر

وجعلتها خير الماء * كل والفواكه والخضر وغسلت رجلي كلها * وسنحت خفي في السفر وأمين أجهر في الصلاة * كمن بها قبلي جهر

فسالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهوى كن عليه مخايفة * فيارب ماخابت لديك الودائع

(وقال آخر) ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(وقال البغدادي) قالت وقد نالها البين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه واضلعه * واعطف على المطايا ساعة فعسى
من شت شمل الهوى بالبين يجمعه * كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

(وقال ابن البدري)

قفا حاديي ليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق * وزمام طايا هل قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق * ولا تزجرا بالسوق أظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كأنا في التفكر غارق * وقفنا ودمع العين يحجب بيننا
تسارقني في نظرة وأسارق * فلا نسأل الاماحل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت مغانيها خلاء بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالي للمنايا تشرع * وخالفت لوامي عليها وعذلي
وحالفت سهدي والخلي هجوع * ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادي أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

(وقال آخر) مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادي

(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

(وألفه رحمه الله تعالى) ياسادة في سويدا القلب مسكنهم * وفي منامي أرى أني أعانقهم
أوحشتموني وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

(وقال آخر) لو أن مالك عالم بذوي الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال ابن الوردي)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا * يالبالي الوصل عودي * اجمعينا أجمعينا

(وقال الشريف الرضي) علالا في بذكرهم واسقياني * ومزجالي دمعي بكاس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك) قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ماحق طرف هداني نحو حسنكمو * أني أعذبه بالدمع والسهر

(وقال الموصلي) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منامي
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل في البكاء) قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لي بهجوع * والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لا تسل * عن حالها ياما جرى

وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغدي
ر أقول ما صح الخبر
وسكنت جلق واقتدي
ت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم
بالفاشر يا قد فشر
مصطبتي مكسورة
وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى رئيسهم
طيش الظليم اذا نفر
وخطيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغ
ريد البلابل في السحر
وأقول في يوم نحا
له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها
والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني
بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى
الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشري
ف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما
تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسي
ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوءه
لك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية
رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها
قس الفصاحة لافتخر

وروى وأيقن انني * بحر وألفاظي درر * حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر والى الشريف بعثتها * لما قرأها (وقال
وانهير رد الغلام وما استمر * على الجحود ولا أمر * وأثابني وجزيته * شكرا وقال لقد صبر * (ومن لطائف المنقول) * بانقله الشيخ الامام

(وقال آخر) ان عينى مذ غاب شخصك عنها * بامر السهد فى كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر) يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع ان ظهرت بما * يخفيه قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر) خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فبستة لاصون سرهوا كمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز) رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى) عين أفاضت دموعى * لطول صدو بين ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى
(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الاحبة

(ومما جاء فى الحنين الى الوطن) أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله تعالى عنه

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة *(ومن حب الوطن)* ما حكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة *وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حيا لوطنه *واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فاشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
وتستعذب الارض التى لا هوابها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نواحى أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة بحرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام

(ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال

صصرى الشافعى تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه فى صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زى أهل المعرفة فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشترى فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترسمون أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم فقالوا نظما فاخذ القرطاس وكتب بسم الله الخالق هذا ما اشترى محمد بن يونس بن سنقرا من مالك بن أحمد بن الازرق كلاهما قد عرفا من جلق فباعه قطعة أرض واقعه بكورة الغوطة وهى جامعه لشجر مختلف الاجناس والارض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الارض بالذراع عشرون فى الطول بلا نزاع وذرعها فى العرض أيضا عشره
وهو ذراع باليد المعتبره وحدها من قبله ملك التقى
وحائز الروحى حد المشرق ومن شمال ملك أولاد على والغرب ملك عامل بن جهبل وهذه تعرف من قديم
بانها قطعة بيت الروحى بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيده مبيضه
جارية للناس فى المعامله
ألفان منها النصف ألف

كامله * قبضها البائع منه وافيه فعادت الذمة منه خاليه * وسلم الارض الى من اشترى فقبض القطعة منه وجرى بينهما بالبدن التفرق * طوعا فلا حد تعلق ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور وأشهد عليهما بذا لفى * رابع عشر رمضان الاشرف

من عام سبعمائة وعشرة * من بعد خمس تلوها * لهجرة والحمد لله وصلى ربي على النبي وآله والصحب يشهد بالمضمون من هذا عمر

بعضهم كل العذاب قطعة من السفر * يارب فاردد نا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فانهن قصار

(فاجابته) فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بنا تك انهن صغار

فاقام وترك السفر وقيل لرب ملازم لهنته فاز ببغيته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسال الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمني اذا وقيت الاواقي * بالاواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضي الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأذكى من الورد خطؤه صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع بمجلسه ولا يملى حديثه والمفلس عندالناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب

وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

(وقال آخر) المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر) جروح الليالي ما لهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب

وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب * ومن يغتر بالحادثات وصرفها

يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب * وحاضرني ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر) الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري

ومارفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر) اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

نما أبلغه ألا ترى الى ادماجه المسئلة في الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولي كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان (وقال يقول المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بديع نثره) ما كتبه عن

(وقال ابن الاحنف) يعشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها * حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها * واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر) ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر) ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب (وقال الكنانى)

أصبحت الدنيا الداعبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشرى) واذا رأيت صعوبة فى مطلب * فاجعل صعوبته على الدينار
وابغه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثورى رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب الى من أن أحتاج الى لئيم وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
فالبخل خير من سؤال البخيل * واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء فى الاحتراز على الاموال)

فقد قالوا ينبغى لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنمسين *(فاما المطمعون)* فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة ويتقاضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضى التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدى لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له فى صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه فى المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعى الخسارة فان لزمه صاحب المال فاجعه برطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانى فان رعى صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفى ما فيها الا فى الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطاع عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كساد المشترى أو رخص أحوال الامر على الاقدار وقال ليس لى علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غيرهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم فى شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان ما يلجئهم الى ذلك الاعدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة

أغنت عزائمه والسلام
وهذا الكلام وجازته فى
غاية الابداع وينشا منه
بيت شعر وهو
اناة فان لم تغن عقب بعدها
وعيد فان لم يغن أغنت
عزائمه (وكان) يقول ما
اتكلت فى مكاتبتى الا على
ما يتخيله خاطرى ويجلس
فى صدرى الاقولى وصار ما
يحرزهم يبرزهم وما كان
بعقلهم يعتقلهم وقولى من
أخرى فانزلوه من معقل الى
عقال وبدلوه آجالا من آمال
فانى ألممت بقولى آجالا
من آمال بقول مسلم بن
الوليد الانصارى المعروف
بصريع الغوانى
موف على مهج فى يوم ذى
وهج
كانه أجل يسعى الى أمل
وفى المعقل والعقال بقول
أبى تمام
فان باشر الاصحى فبالبيض
والقنا
قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما
أولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلم بانك ساخط
عليه فان الخوف لا شك قاتله
*(ومن رقيق شعره حين
أحضر لمناظرته أحمد بن
المدبر فقال ارتجالا
صد عنى وصدق الاقوالا
وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود
وعلى وجهه رأيت الهلالا
فطرب المتوكل واهتز وخلع

عليه (ومن رقيق شعره أيضا قوله) دنت بأناس عن ثناء زيارة * وشط بليلى عن دنو مزارها وان مقيمات بمنعرج اللوى * لاقرب من ليلى وهاتيك دارها (الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد التريا ونطاق الجوزاء فلما تنبهت الصبح نمت فلم أستيقظ الا بلبسى

فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق باي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا * ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة مصنعة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة في قاشة أرز في العدة التي معه فربما قتلوه هنالك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطعون) فهم من الحونة والناس بهم أكثر غرا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم بمباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال انه يكتسب في كل سنة الجمل الكثير من المال وانه لا يبالي اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستانف فيشكره صاحب المال ويساله أخذ المال فيعطاه بتسليمة فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنسكون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهافي بالاعيادو ربما يأتي معه باحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء باهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير أفقر من غني يا من الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا

(ومن بديع الزمان الهمداني) (بديع الزمان الهمداني) الحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ودويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه لامر اذا هم وسبيل ذوي الالباب في الدخول من هذا الباب أن ينظر وافي القول الى قائله فان كان وليا فهو له والا فهو عليه وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن (ومن انشاء أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالمغربي) وصلت الرقعة فاستحليت النسيم بالاضافة الى اضافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت في هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسال أن لا يسقط بيننا في تشاكي ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (أبو الحسن بن بسام) من انشائه عارض اذا همع استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم (ضياء الدين بن الاثير الجزري) ودولته هي الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للدهر ورعايا هاخير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا نقاؤه لانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذي لا يصرم * وله في القلم فهو الملقب بالجواد سمي المضمر واذا أخذت السوابق في احضارها بلغ الغاية وما أحضر واله لون تحقق فيه القول النبوي لو جعت الخيل في صعيد لسبقها الاشقر

سمى عيبا قال ابن كثير الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حتى كمن مات الا انه صنم * لما رأيت اخلائى وخالصتى

والكل مستتر عنى ومحتشم * أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هو يت هذا اليهودى فاعطته دراهم فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره فى موكبه كل من وفى الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يات أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلتهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا * عادانى الدهر نصف يوم

فانكشف الناس لى وبانوا * يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمسالق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين

فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (وحكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فاراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن اذا أنت حفظتهما الا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشراب فشرب فلما انتشى قال على بالف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه المعقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فاعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت التركة الى عبد الله بن زياد بخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فاصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدر وذهب ينزل اليها بسلالم * ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج

ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهى للحصون من آكد الحصوم واذا أمت حصنا حكم بانه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ولقد) سهوت عن الصابئ وكان فى هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم ابن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة بن بويه وكان متشددا فى دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله فى رسائله والصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابئ ان الصاحب بن عباد قال ما بقى من أوطارى وأغراضى الا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب الصابئ ويكتب عنى وأغير عليه فقال الصابئ ويغير على وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبى الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جلاوصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة

يعجز عنها عبد الحميد فى بلاغته وسحبان فى خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جلا جعلته لصفتك جلا وكان المعهود ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر

به وكان قد قوم ذلك الفص بالف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب * وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان في ولاية ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفي ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم علينا بدا وأولانا جميلا ادع لي عبد الله بن أبي دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة في قبضة أمير الجيوش وجد في جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فاخذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد في بستان العباس ابن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثني عشر ألف قميص وثني وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تات دولة بني العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل ابن أمير الجيوش في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتي ألف دينار وعشرة بيوت في كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة ملوبا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذي لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادي الصيني والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الاردب في كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلي النساء مالا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفي حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلاثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملا به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه في كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد يحتفظ به فلما رآه سخر وامنه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسك آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره * وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوز الا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(فضمنت أنا هذا البيت وقلت)

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *(الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقر ومدحه)*

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبيل النفس لا في المال وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت

عن القدم يجب العاقل من حلول الحياة به ومن تاتي الحركة فيه لانه عظم مجلد قد طال للكلا فقده و بعد بالمرعى عهده لم
يرالقت الا تأما ولا عرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت الى استبقائه لاتعرفه من محبتي للتوقير و رغبتي في التثمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا لعناء لانه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

واست بذي لحم فاصلح للا كل لان الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أديمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبري الا أن تطا بني بذحل أو بيني وبينك دم فوجدته صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم أعلم من أي أمريه أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرته عليه مع عدم مثله أم من هديته اياه للصديق مع خساسة قدره ويا ليت شعري ما كنت مهديا لو أني رجل من عرض الكتاب كابي علي وأبي الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أجدب والسلام (وله من رسالة)

هو أخفض قدرا ومكانة وأظهر عجزا ومهانة من أن يستقل به قدم في مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع في منابذتنا اليوم
وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة والظلامة المردودة * وكان له عبد اسمه عين وكان يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن ذلك قوله فيه

اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا لا يالى ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير مخمول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فابى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة لزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للائكته أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى مازويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمرهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام ورب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجاءت اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقالت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع علينا فى معيشتنا قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فاخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم مابنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا ينال به نقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطالب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت ان تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

(وقال آخر)

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

(وقال هرون بن جعفر الطالبى)

بوعدت همتى وقوربت مالى * ففعالى مقصر عن مقالى
وهو من بين ما اكتسى واسر بالى * ولقد تعلم الحوادث انى
ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فأحسن الفقر وأكثر ثوابه

ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا تنوارى بل هى

وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

(روى) الامام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابى على رضى الله تعالى عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألن الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشف بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله تعالى عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كذلك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار * وسأل رجل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاع واللئيم اذا سئل ارتاع (ولما) وفد الهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال الهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرع ما أسرعت للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر بصرة فصبت فى حجره * وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فاتينا كسود غدأ كفا * لا لنقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا مادفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير * وسال اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تنهبا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برجائك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله تعالى عنه قال يا كميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرور الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطرده عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان ابن درحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ورب ما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنته له خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فاجبى الامير عنى فقالت

اليد البيضاء التى لا تجارى خروج أمره الى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس الدولة بل للدولة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها فى السماء (وتوفى الفاضل) فى ليلة الاربعاء سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى تربة بسطح المقطم فى القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضى الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا تدخل عليه آفة * وان يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أدهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وما تتم فيها الا على الاموال ما تتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه فى كاحل) كأنه غاسل يدخل الى أنسان العين بحنوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه فى كفن من الخرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها سواد اللمى وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا الغماء

قد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو اص من أكابر اللصوص وسموا الكحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجدد معجز القميص اليوسفى

اذا هبت رياح بني عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا * طويل الباع أبلج عبشمي
أعان على مروأته لبيدا * بامثال الهضاب كان رعيا * عليها من بسني حام قعودا
أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني في ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم في المسئلة فقال والله لانت في هذا اشعر مني * ووفد رجل من بني ضبة على عبد الملك فانشده

والله ما ندري اذا ما فاتنا * طاب اليك من الذي نتطلب * ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
أحدا سواك الى المكارم ينسب * فاصبر لعادتك التي عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروي لينازعني وان الحياء يمنعني فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك * وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتني مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه * وروى ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فقال له سلني حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكي) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسار فبينما هما في الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتي لاحسنت مطالبتك ولانت على ردها لم تفعل أقدر من ردها قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد علي ما قلت فاعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زادنا نائله * كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب فكان في السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفي السطر الثاني الضرورة الامل أقدماني عليك وفي السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفي السطر الرابع أما نعم فثمرة وأما لا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر ألف دينار (وحكي) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينا ومعي به اشهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي

الميل في المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة (ومن انشائه تسقى الله ثراه) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه في هذا النحو جار ومجرور والمهامه قد نشرت فيها ملاءة السراب وزخرفها بحرماء ولد لغير رشدة على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن في أكثر من جموع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل وردنا ماء هذه العيون وهو كالمحارب يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ نقرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق في ساعات النفاق لا في ساعات الفراق فيا لك من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا بعد وما وصف به أهل الجحيم في قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفي غير من قد وارت الارض فاطمع * على أنه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه) الى أن يرد كتب العسكر وأعلامهم من مدات ألفافه ورؤس العدا فاطعان هم زاته (ومنه) فبنت سنابك الخيل مما هن من الهجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنة وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم

كما نما طلب سوادها وقصدت أنهار السيوف صدورهم لتروى أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الالان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن يفقت سيدنا فى روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفع فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الالانها أعلام عباسية وتناولتها الحضرة بيده لاجرم أنها تحامى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتشيح بها يده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الالسنة ان فى الايدى كما فى الافواه لسانا (قلت) ومن مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصلب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (ومن انشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأضفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات حجره ويحيى مطلقه الحيوان وتجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر موانها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك الله فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاستقر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا

من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع ابن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير ركسب * اصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر) ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاخترلنفسك ما أقول فانى * لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر) لنوائب الدنيا خبأت فانبه * يانائما من جهلة النوام
أعلى الصراط تزيل لوغة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

(ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه) روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية وسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم *وقال رجل لابنه ايالك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يابنى ايالك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر *وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدى اذا مارماك الدهر فى الضيق فانجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحمد الانبارى) لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر) اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق) شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * يا ذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد) وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال الخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فقصودنا الذي * ترجيه باق فلوذي ببابه

(وقال بعض أهل الفضل) لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو * لجأت لله لباني وأغناني
واها على بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردني ردا أقبح من خلقته وسال عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء ردائه * فجردت من عزم القناعة صارما
قطعت رجائي منهم بذبابه * فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غنى بالمال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لابه * اذا طالم يستحسن الظلم مذهبا
ولج عتوا في قبيح اكتسابه * فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه * فعما قليل وهو في غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه * فاصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

(وقال آخر) لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل * من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول * وأخو الحوائج من وقرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر) لا تحسبن الموت موت البلى * وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان * خوفا من الناس أن يقولوا
فضل فلان على فلان * من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فاعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضيل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقي المحذور بمثل الهدية وأتى فتح

الروضة فى صدره وحناعليها * حنو المرضعات على الفطيم وأرشفها على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره

لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحياله امهات العصف والاب وصافحته كفوف الموز فخمتها بخراتم العقيقية وابس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قويه وتسنى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ماكان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد وابس شربوش الاترج وترفع الى أن ابس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخففت أحجتها يمخلق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية منناه فلاسكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون رائده على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وأهدى وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط

الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذلك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهاداة طى المعاداة

(ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتامل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد * وأهدى ملك لروم الى المامون هدية فقال المامون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائة رطل مسكا ومائتا فروة سمور (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل وزنها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت ثمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب ابن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائتا رطل من مسك ومائتا رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم وأهدت تربا بنت الاوبارى ملكة فرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقليا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبارا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور وممضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرز يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبيه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
بهذا الجام من هذا الطلاء * فينعم لاتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزارالخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

وأهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه * لكن عبدك ابراهيم حيز رأى
سموا وقد درك عن شئ يدانيه * لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل فارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع

اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى حرة وجنانه وكلما زاد زاد الله فى حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبح فتشرأعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير زمجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد أثرذا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرح حاله حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطرة والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولا برح من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كل الحالين فى وفا (قلت) تقدم قولى ان الشئ يذكر بالشئ يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هذا رسالتى البحرية التى كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدمامينى فسح الله فى أجله

*وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فاهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبز فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحدونى الى جارية اسمها برهان وقد جمع اليها فقال

جمعوا اليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك * فاطرفينى بما قد أطرفوك به
ولا تكن طرفتى غير المساويك * واست أقبل الى ما جاولت به * تثنيتك ومارددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سوده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ماجل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم * الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك) *

*(أما العمل) * فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل * وعن على رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * فنى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله أن أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشد وافى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

(٧ - ف - نى) من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شابا من أهوال برها وبحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهى) يقبل الارض التى سقى دوحها

فاكرم به مورد فضل مابرح
منهـ له العذب كثير الزحام
ومدينة علم تشرفت بالجناب
المحمـدي فعلى ساكنها
السلام ومجلس حكم مابثت
للباطل به حجة وعرفات أدب
ان وقفت بها وقفة كنت على
الحقيقـة ابن حجه وأفق
معال بالغ في سمو بدره فلم
يقنع بدون النجوم وميدان
عرشـه تجول به فرسان
الفصاحـة من بني مخزوم
وتالله مالفرسان الشقراء
والابلق في هـذا الميدان
مجال واذا اعترفوا بما حصل
للفارس المخزومي عنـدهم
من الفتح كفى الله المؤمنين
القتال وينهي بعد أدعية
مابرح المملوك منتصبا
لرفعها وثغر ثلاثيقها السجع
المطوق في الاوراق النباتية
حـلاوة سجعها وأشواق
برحت بالمـملوك ولكن
تمسك في مصر بالآثار
وأبرح مايكون الدهر يوما
اذا دنت الديار من الديار
وصول المملوك الى مصر
محتميا بكنفها وهو باسهام
البـين مصاب مذعور لما
شاهـده من المصارع عند
مقابلة الفرسان في منازل
الاحباب مكلـما من ثغر
طرابلس الشام بالسـنة
الرماح محمولا عـلى جناح
غراب وقد حكم عليه البين
أن لا يبرح من سـفره على
جناح
وكان في البـين ما كفاني * فكيف بالبين والغراب (يا مولانا) لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ومن
فرس الامن ولم يبق له بعـد ما شعر به البين نظام وكشرت الحرب في ثناياه عن انياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا النافيه ثنية ولا ناب زأمست

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمـله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعي الاركان الى الله والنية سعي القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيـل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور في الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فاذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول اني لا أجد في داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك سأل داود عليه الصلاة والسلام في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت رمحي فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يا كل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهـم الحلال أشد من اقامة الزحف وقيـل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهـم مثل يقين ابراهيم خليـل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لا يقعدن أحـدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا اني لارى الرجـل فيعجبني فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم في السعي

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق واني لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحـد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في أهـل ولا مال * (وأما ما جاء في العجز والتواني) * فقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * وليس عليه أن يساعده الدهر

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * ويقضي الله الحق ما كان قاضيا

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الاماني ومن التوفيق بغض التواني وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنه قال باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنـه احرص على ما ينفـعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال علي رضي الله تعالى عنـه التواني مفتاح البؤس وبالعجز والكسـل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد ومن أفضى الى الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم وكلاب طائف خير من أسد رابض

شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لا يظهر لقافيتها عند نظام الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم نقول لها هل (٥١) امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الا مكرها لا بطل كم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته الا جبرا أظهر وابه كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره

(يامولانا)

برادى حماة الشام من أيمن الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلاد اذا ماذقت كوثمائها
أهيم كانى قد تمثلت باسقط
ومن يجتهد فى أن بالارض بقعة
تشاكلها قل أنت مجتهد مخطى
وصوب حديثى ماؤها
وهواؤها
فان أحاديث الصحيحين
ماتخطى
بعصمها ان دارملوى سوارها
فما الشام بالخلخال أو مصر
بالقرط
تنظم بالشطين درثمارها
عقودا لها العاصى رأينام
كالسمط

ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كان التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسال معاوية رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاص عن المروءة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء قال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقر ؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لابد منه ومر رجل الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه * ذرينى وأهوال الزمان أقاسها
فاهوال العظمى تليها رغائبه * أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر)

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للاماني المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحاتة على القدر وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

اذا وضع الراعى على الارض صدره * حقيق على المعزى بان تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال (وأما الثانى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا الثانى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل * وقال بعض الحكماء اذا شككت فاحزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التانى حصن السلامة ومفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتانى فبماذا يدرك وقال المهلب أنا فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تعجب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

* (وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها) * فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس عليه السلام خياطا * ووقف على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه على خياط

وترخى علينا اللغصون ذوائبا * يسرحها كف النسيم بلا مشط ومد مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط
لوى بنا خيل النوا عير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقة السبط سقى سفحها ان قل دمعى سحابة * معلنبة بالدمع منهلة النقط

ويا أسطر النبت التي قد تسلسلت * بصفحتها الازاك واضحة الخط ولازال ذاك الخط بالطل معجما * ومن شكل أنواع الازاهر في ضبط
لويت عناني في حماها عن اللوى * وهمت بها الا بالمحصب والسقط ولذ عناق الفقر لي بفنائها * وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط

منازل أحبابي ومنبت شعبتي
وأوطان أوطاري بها ورضا سخطي
نعمت بها عاما هنيئا ولكن
سلبته برغمي وهذا الدهر يسلب ما يعطي
وقد جاء شرط البين اني
أغيب عن حماها لقد أوفى فؤادي بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشاني
الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وصحة جمع الشمل كانت انابها
منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
أمثل شوقا شكلها في ضمائري
فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط
وقد سار يمشي الهم نحوي بسرعة
فيا ليته لو كان في مشيه يبطي
وأصبح نظمي راجعا بي الى ورا
كما في الديوان أكتب بالقبطي

(يا مولانا) وأبلغ ما لقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر المجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجواري الحسان وقد رمت أزر قلوعها وهي بين يديه لقلة رجالها تيسي فتحققت أن رأي من

فقال له ياخياط لكل الثوا كل صلب الخيط ودق الدرز وقارب الغرز فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادي وتطلب المكافاة وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفي الحديث أكذب أمتي الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخمس الموازين سواد في الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة ولا ساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربي ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر لحما فاما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضي لمناد منه ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشير ولا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هي العز والكرم * وحب الدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة * اذا صح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه باهله وذم الصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول) *

* (الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه باهله) * روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف في زمان لم يات وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه * وحكي عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها في بلاء وأذى * ان صفا عيش امرئ في صحبها
جرعته مسيا كاس الردى * ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

(ومثله) وما من يوم أرتجي فيه راحة * فاخبره الا بكيت على أمسي

(ومن كلام ابن الاعرابي) عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله تعالى عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأله الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فيا الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان بن فلان

جاء يسعى فى الظلمات بالساغب رصائب واستصوبت هذا رأى من جاء معشى وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ البحر سبيله وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة وهل أباكر بحر النيل منشرحا * وأشرب الحلو من أكواب

الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كما ماتنى * وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها * وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه كانون فضة يخرفيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما) قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تؤوى كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * وقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خيرما استعملته الحذر
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة * وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقاعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء * وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث الا انه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير نفدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد

ملاح بحر تلاطمت علينا * أمواجه حين منتنا من الخوف وجلنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت مواليناوهى جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها الفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد فى هذا المأتم وسارت على البحر وهى مثل وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائى ولكن تعرب فى رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشاخ كالجبال وهى خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين فى تابوت ناتى بالطباق ولكن بالقلوب لان صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشى على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان تقر الموج على دفوفها العبث أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهى كما قيل أنف فى السماء واست فى الماء وكم تطيل المشكوى الى قامة صاريها عند الميل

وهى الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهى بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصيرها عن ثقال أرداف الامواج وكم وجلت

القلوب لما صار لاهراب مجاديفها في مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم (٥٤) فتهزل الى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذي الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شاطئه بين عين الحياة والخضر وتلا اسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية في فصل الشتا وليستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذي قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائدا ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربي برد وسلام والله تعالى عين بقرب المأمول بين يديه ليحصل للمملوك بعد التخلص من البين حسن الختام (القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بامواجه وجمر وصدره المظلم يسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلاقته والكفر مجاهد ولكن بانقائه وسيوفه تحسن في الاجسام البسط وفي الارواح القبض ورماحه

الملك ابن مروان فقال له أي الزمان أدركته أفضل وأي الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكأنهم يذكرانه يبلي جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر) يا معرضا عني بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا * يشوا الي ورحبوا بالمقبل
وبقيت في خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت في المنزل

(وقال آخر في معناه) يا منزلا عبث الزمان باهله * فابادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع * أيام لا يغشى لذكرك مربع
الا وفيه للمكارم مرتع * ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقي الذين حياتهم لا تنفع

(وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي)

واني رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرني في أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم) ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتي الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا تخذ بحق الله وفرا أو مفردا كان بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن في زمان اذا ذكرنا الموتى حيت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه (ويقال) لا يقاوم عز الولاية بذل العزل

بيت ما من مسيء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساويه

(وقال الامين) يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر * كل امرئ مما يخا
ف ويرتجيه على خطر * من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
نقلت لها هاتي من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

(وللامير أبي علي بن منقذ)

أما والذي لا علم للامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم * لئن كان كتمان المصائب مؤلما
لاعلانها عندي أشد وأعظم * وبي كل ما يبكي العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وأيم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الا ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك تلك الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخييل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بطالعة طلعته لالتهب من دموعها بماء محرقة فهو منها في نار وجنة مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر كالح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر) * خليفة القاضي الفاضل (ومن انشائه قوله) نعلمه بفتوحات استطلع الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذي كان في حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بماء السيوف المجردة وشجى في صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر) نعلمه ان المنكرات أمرنا أن نملأ الصحائف باجرها وتفرغ الصحاف وأن لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف وقد بلغنا الآن أنها اختصرت

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فمما فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فمازادني الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر * اني رأيت وفي الايام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الاثر * وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عني خمسا لو ركبتم فيها المطي حتى تنضوها لم تدركوها لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحي أحدكم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وكذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأبصر رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروي في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا

وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ما قصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التي كانت ترضع ثدي الكاس عن ثديها ما فطمت وانها في النشوة ما خيب ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما

تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخز بدينار وان ذلك فشا في كثير من الناس وعرف في عيونهم ما يعرف من الاحرار في الكاس وصاروا كانهم خشب مسندة سكرى (٥٦) واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نامر بان تجتنب

والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فاخبر فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بابي جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال علي رضي الله تعالى عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء في الرخاء (وحكي) ان امرأة من بني اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت ورددت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبر من أحبار بني اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فعلت في بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أبارا الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا تولت أعقبها الفرج والفرح عاجلا * ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت * وأتت بعده نوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت * فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جلة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجي) ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(ولزهير بن أبي سلمى) ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح في البيد اذا ما تغيرا

(ولابن نباتة) صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد) وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأي ولا استنبط الرأي بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر (وقال نهشل)

ويوم كان المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتني وذا الحذر * ليس يغني من القدر
انما يعرف الهوى * من على مر صبر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
نفس يا نفس فاصبري * فاز بالصبر من صبر

أصولها وتقلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة ثم ازرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها في المحافل والمجامع حتى تتنبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهي بعدها خضراء ولا خضراء اللمن (ومن انشائه عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل وانكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) في بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنه اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وابل الا سهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الا صليل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقة واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب في الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع في السماء طريقا (شعر) وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا (قلت) ذكرت بهذا وكان التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في شفاعتنا نسج على منوالها (وهي) أدام الله نعمة

مولانا ولا زال علمه مرفوعا أبدا وبناءه مجده منصوبا يخفض العدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك جازمة ولاعدائه متعدية ولا آرائه لازمة (أما بعد) فان فلانا حضر وادعى أنه رخم في غير النداء وجزم والجزم لا يدخل في الاسماء واستثنى (٥٧) من غير موجب فخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذي دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه في الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما توجب العطف ومن المعرفة والعدل ما منعه من الصرف لازال مولانا بالعطف والصلة وما أثر مكارمه متصلة لا منفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلي بالقطر النباتي وقد عن لي أن أورد هنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهي في رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهي) الحمد لله حافظ سر الملك بامينه وحامي حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية مجد تلقاها غرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى في السياسة فعلا أمضى العزم السني قبل دخول سينه واذا جلى بنانه القلم رويناه عن ابن بحر كتاب بيانه في الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذي أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه

وكان يقال لمن تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر رباني * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

اني رأيت الصبر خير معول * في النائبات لمن أراد معولا * ورأيت أسباب القناعة أكرت
بعر الغنى فجعلتها لي معقلا * فاذا نابني منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لي منزلا
واذا غلا شيء علي تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(وقال بعضهم)

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فافرغ لها صبرا وسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما تري يسرا ويوما تري عسرا

(وقال بعضهم)

وما مسني عسر فوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ما قيل)

الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي أن تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت بداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مر المذاق * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين فيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد قال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هؤلاء القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فاخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكافئهم الا كما كافأهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجهه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذي صبروا عليه

(٨ - ف - ني) الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضي في سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم بديره بما يخط الطارس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا

فائما بتدبيرها مفرغا عضن القلم بتشميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا أحكام عدلها واحسانها يبنى مما لكها على الاسس من أقلامه ويحوط أطرافها الحاطة الزهر بكمامه ويتحفها باوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان صاحب هذه الدولة التى خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل وراسخ دوحها الذى ماماك مع الهوى وقديم صحائفها الذى تلا تسديده ماضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذى طال ما استشرفت اليه اسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو ان صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبى الوزيرى الامينى أعلى الله تعالى أبدا شأنه ورفع على فرق الفرقدين مكانه ورزان باقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانة ممن استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العالية تردد الاقمار فى المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبه قلمه ونامت ملء اجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينة وجمعت بلازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه هذا وأشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائله (فلما) عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على مافى خاطرى وأمرنى بالمسير فى ظل ركابه فسرعنى الحقيقة سائرى وكاشف ولا ينكر الكشف لمن كثرت زواياه فى البلاد وتظر لحالى ولا ينكر النظر فى الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى استصحابى

حتى سماهم الله تعالى أولى العزم فاقول ذكر ماصبر واعليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاء رجل كبير توكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابنى انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرنك فقال له ابنه يا أبتى مكنى من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى مايفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرنى الى أن تحكم فاوحى الله تعالى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء أنجى فيه أهل طاعتى وأغرق أهل معصيتى قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شئ قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب نغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته وهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بامطار كافواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يرو فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فاخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما وليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بانا شاهقا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبى الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة ونزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا فاذا كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام فى ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه باخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعته ولاده وصبره على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال انى أريد أن أتقرب قربانا فاخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا القيت أمى

مقصد تقبل الله عمله الصالح ومنجره الرابح وذلك انى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفث حبة قلبى على قطعة كبدى ساقبار وض الحزن بغمائم الجفون باكيا على ديناروجه عاجلته الايام بصرف المنون أطاب قلبى فى التراب وأنشده وأطارح

فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فاتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فاخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم أن جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراق ابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع اقدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فاوحى الله تعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاسلطن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فاحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فاهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد ذهبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فنتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى اعواء تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة لحاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فاخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تامرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذا البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق مثل به عاد الله تعالى بالثناء عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفناه فى عينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وعزماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم * وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجزاه الشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى

صوت الصدا فينشدنى وأنشده شعر

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا
شوقى اليه وياشجوى وياداثى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائى

(وقال أيضا)

آها لعقد قد وهى سلكه
وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عند الردى
وعاد ذاك الدر ايتيم
فاقتضى تدقيق النظر الصاحبى فى اسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عنى بصحبة ركابه الكريم لباس البأس ويشغلنى بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضنى بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلى قربانا لا يفطن لمثله الا من ومن فيالها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور وتلافضلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ بيتى وعينى دقيقا وجليلا وأمرنى أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدى السعد قد ذللت الطرق

بل طونها وقد مت وعود الآمال بل أنجزتها والارض قد شرعت فى لباس حليها وحللها ومراعى الربيع قد وعدت حتى الشمس لتسمين جلها والشتاء قد آن أن يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول أبى الطيب المتنبى

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدهر ابتسام فانينا الكسوة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا
واضع الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد (٦٠) تباشرى بالحناوة ولعيون الاقبال تاملى فما أحسن الكعبة فى الكسوة ومررنا والخيل

حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوا عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كاصبر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فغربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فاخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فاخذتنى غشية وأنا بين الاقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذر أو برأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فاتانا والله طليق الرجن وأعقبنى الله بعد عسرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير * أما سمعت لما قد قيل فى مثل
عند الاياس فان الله والقدر * ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرج * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها * ان الذى عقد الذى انعقدت به
عقد المكاره فيك علك حلها * صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فاجابه أبو أيوب يقول صبرتنى ووعظتنى وأنا لها * وستنجلى بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان علك حلها

فمالبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله * اليأس يقطع أحيانا بصاحبه
لا تيأسن فان الصانع الله * اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر) قال النووى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ريح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضرورا باسيا ولا مقدما لضرب العنق يبكى (وقيل) تزوج مغن نائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك * وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال معروف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه مرفوعا يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لاهل البلاء وروى أبو نعيم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحبه الحب البالغ افتتنه قالوا وما افتتانه قال لا يترك له مالا ولا ولدا * ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده

فى الغرب والشرق وعجاجة يلون فحشر الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت ملقاة
الاصوات بالاد عية الوافية * وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتمها وهى ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام فى مرجتها الخضراء تحت

قلعتها الغراء وهي في معارج السحب صاعدة شامخة في الجو كأنها في السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الانجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الخيل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فنظر في المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادي الذي هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا الى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التي نويناقصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الامة الاول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر في مرتبه بعين العدل وأعانه بيد السماح وجعل والي الناحية عبيدة وما جعل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المعطور فاعجبنا رياور واءوكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا الغور ماء وخضنا في حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقباته كالمعلقة وملنا الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد بيشر الصباح ولم نقل أهلك والليل ومازلنا كذلك لانمر بواد الا أتت مع الابتهال بطول العمر رماله وأرامله ولا بناد الا قامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الا زهاعلى التي بين العماكين بدرها ولا ماش الا حله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائز الا شملته جائزه ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزه ولا طبية من طيبات دمشق الا والمكارم تؤالها وتوالها وتوجدها في القفار كما توجدها أولياء الله فيها الى أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسيقنا اليه طرة الصبح تحت أذيال الظلام وخفق بنا جناح

ملقاة على الارض فوقف متعجبا وقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فاوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فاحببت أن أبتليه لابلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي حكي أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فبلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاجي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولد دانه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فطلع وجهي برجليه فذهبت عيناي فاصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه * وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك * وقد هتك الحادثات وانما
صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك * أما في نبي الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

(وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل)

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد * والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظر يك لما أضاء الفرقد * والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد * بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحمد * لولم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذل بالحجاب الاعبد
غر الليالي بادئات عود * والمال عارية يعار وينفد * ولكل حي معقب ولربما
أجلى لك المكروه عما يحمد * لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رمالك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا وما مات طبيبه والعوّد
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي ابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوم تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدبر حين عزل

لهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر)

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تخطو في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى في الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود * وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عوّلت على

السوق والشوق حين دنت الخيام من الخيام وألينا باب حرمه عصى السفر وألقت هنالك رحالها وركائب المطار وزرنا باب الرحمة من الارض وزرنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فشينا على الماء وحمدنا الاوطان والاقطار واستمرت السحب

حتى عادت الصخرة كحجر موسى تتفجر منها الانهار وأقمنا في بيوت أذن الله أن ترفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخالد سكن بيتا حسنا وغمض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ماتقول في بيته فقلت ما أقول في جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على أبواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحد منهم منهاجا ذا ناحية الا منهاجا ومكثنا في البيوت الى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقفنا البقية المشاهد قاصدين ولتلك المباني المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطئ القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف في طريق الزيارة متاملها ووقفة في الطريق تصف الزيارة فمنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف تستلم كالحجاج أركانه وتقبل وجوهنا في سماء سقف يكاد عطر ابنا الجنة وعقيانه ونشاهد رخاما بلغ في الحسن

أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثاني أني قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والخمسون ما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب)

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي انتظار الفرج من الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فان يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم قال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر)

عسى الهم الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتي أهله النائي الغريب

(وقال آخر)

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر)

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعم تزالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روي أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فاخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فافرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم ما لك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فاطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى * وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام علي رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فارسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك

ونقل وجوهنا في سماء سقف يكاد عطر ابنا الجنة وعقيانه ونشاهد رخاما بلغ في الحسن فتنته

والمحل الاقصى في الاقصى وقمت به في بهجة المكان زيادة تختلف قول النحاة ان في الترخيم نقصانا فاما المياه التي تجري في الحرم على رأسها وتطوف

ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضئ عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل

ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقلت فيهما

بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الايتام سحب الفواضل

فتلك من هذا وذلك كما ترى
ثمال اليتامى عصمة للارامل

فجئنا من تلك المحاسن بسابتين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال بحر لا يسمع عنده نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع فى مواضعه فى النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشرافها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها لحاتم هذى التى لا نافسة لك فيها ولا جمل

فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ماذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلة فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حروان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فمر بى انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج اخفاف فارسلتهما مع جارية لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تجمل بها القدوم علينا فادخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت اضيفى شيأ يشترى به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثنى عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته ما قلته فيه من شعر فامر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

(واما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبى مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم وشدد فى طلبه فاتى به اليه فى شهر رمضان عند المغرب وكان فى يد يزيد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكننى منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقنى ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع فى النطع وقام السياف فاقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى وكان أهل افريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فامرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتنى أطلقتك فحدثنى انه كان هو وجماعة من أصحابه يركبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت فغشى عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله فى أمرى فان هذه العجوز غرتنى وقالت ان فى هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسين بن على فاحفظوهم فى

* (وما قلت فى ذلك) * لله كم حال امرئ مقتر * قضيت فى القدس بتنفيسه ودرهم ولى ولا كنه * قد أخذ الاجر على كيسه ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجريت الاوقاف الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية

بباب الحرم الشريف وأخذ زاد الرخام فى التوشيح والتفويف فيالها ألواحا كتب فيها من الحسن كل شئ واطرد ماء زوزقها فكأن العين منها فى ماء وفى مويالة رواقا شاق وصفه وراق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاعى الرواق ثم رتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا قصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجليلة وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا ورفعنا لانواره الجفون وتعلى عند الزيارة ذو العين بذى النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وجدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام ابراهيم أمانا واستلمناه من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهى عدسلونا ووجدنا من الهنا ألوانا وقلنا لانفاس الشوق كونى بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفى ظمأ ابراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجرت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت قصدنا خليل الله فى ظل صاحب

جلى العلى والمكرمات جليل
فهذا لدنيانا وهذا لديننا
فيا حبذا من صاحب وخليل

وسرنا فى ظل الصاحب من الخليل وكادت دمشق تمد أيدى اعطائها لجاذبة ركابه ومصر تتضرع باصابع ذيلها طمعا فى اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية الى الله بعوده اليها وايابه وهم شبالة الوزارة أن يتلقى صاحب فتحه وصدر

الخزائن أن يعانق ما اعتاده من رأى عطفه ومنحه فانه ما جلس فيه بهر وأبهى من الطلعة الامينية باجماع الآمالين المتأملين والخزائن التى كم قال

فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلنى فقتلته وخاصت الجارية من يده فقالت ستر الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدى فامسكونى وأتوا بى الى الملك وهذا أمرى فقال استحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتنى لهما لا أعود الى معصية أبدا * وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرنى الى غد قال وأى فرج لك فى تاخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شان وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نتحدث فرأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة ففعلنا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فاخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فاطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه * وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل رضيع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه الى الفرج

(وقال آخر)

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر)

لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * فالارب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فانشدت قول أبى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وأمر الله ينتظر * أتيأس أن ترى فرجا * فاين الله والقدر

الاسرى عنى وهبت ريح الفرج وروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية ياتونى باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك للقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسجد ثلث مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا نادينا مرارا البيك لبيك وهو ينادى يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فالقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية ففرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه * وحكى سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل

لها تدبيره انى حفيظ عليم فقال الملك وانك لدينا مكين أمين ثم عطفنا الاقدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت أكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحمل وأقمنا ثلاثة أيام نكاد ننشد خرجنا على أن المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا ورأينا مسجدا يعرف بالركنى قد غير الزمان محاسنه الا نبقه وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقة فاسر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت الآراء حجارته المقوضة فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع فى هذه المنزلة من المعروف ما لا صنع ذو الدهر الطويل مثله وبنى من المكرمات ما ثبت ولولا ابداع سعادته ما ثبت البناء فوق الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام فمررنا فى طريقنا بجملة خيم معترضة وبنية فى وجهة القبول مبيضة تحتوى على قبر بنيامين أخى يوسف عليهما السلام فالحقناه بالزيارة باخيه وتوكلنا على الله فى القبول توكل أبيه وتيممنا بنيامين وقرعنا أبواب السماء بادعية فاتحة فقال النجيح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها للقادم انا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها وغيبت النوم ونعصى بالسهر أمره فساله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا

عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياه فاخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومنها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولدى ولدى فى هذه الليلة فاحتجنا لامه ما نحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فحدثت أن أشترى بها حاجة النفساء فابقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيأ من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلى وبيقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص يا سيدى أريد أن تاتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا لى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن ياخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين * وحكى ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء داؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذى فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان * وبهذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فاووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فابوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته * قال وأخبرنى أبو القاسم ابن حبيش بالموصل قال اتفق جرت فى هذه الدار وأشار الى دار هناك قصة عجيبة قلت وما هى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هناك فاعانه على انزاله ثم جلس ياكل ذلك الرجل لياكل معه فسأله عن أمره فاخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعينى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك

(٩ - ف - ني) وقوينا على قصد بنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان ورحنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فانعقدت أنوار القلوب من الهم أى انقاذ وكدنا نفتن بالانس حتى نقول أفتان أنت يا معاذ وأمسكنا عند من الدعاء بعروة لا تنفصم وأوينا

من طوفان لذنوب الى جبل ينجح من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه فى هذه السيارة فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة وصلات وتجديد

مبتسمين فما بكينا بكاء ليبد يوم فراقه اربد انتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف وادبها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التى قدمنا ذكرها ورجعنا كما نسترجع منازل الاقحوان زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا ننشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعى الجليل وفاصلنا السطر على كل وجه للفضل جيل وقطعنا بالكسوة ليلا طائلا نداؤه كل ليل للعاشقين طويل وفى تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف سائرين سرى النجوم فى الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لحواطر الملتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت أمام ركابنا الانهار ولبست من وشى البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن ما يكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت فى الليل المذاكرة والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقب جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها فى هذه الخطبة لانها جواهر وأضمنها بعض العلم فى هذه الاوراق فانها أزاهر فكنت على هذا اللفظ المسجوع

الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسالهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جامعناه ولكنه ارتحل على أثرنا فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسال عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا محهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتسمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فاظهر والهسرور اعظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء فاتنا بدقيق ودهن نسرج به عاليا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فاخذ وعاء للدقيق وخرج الى حانوت امام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه وانتزعه وقال يا عدو الله انتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمت متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ جمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا ولرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى يا خائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعدى فى جلة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما والاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسسنه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدى اعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشاها حتى كادينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى بخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تاسست الدنيا جالا بملكه * فهرون والبرامكة وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا * ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد ابن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية * ومر عمر بن هبيرة بعداط رقمه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول للوالذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه مما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستصاء بهم خيرا) *عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فملت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخترنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لوملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتنى من يدى فاعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثتهم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قومهن فقومهن وأعطاه ثمانهن وقسمهن بين الحسين بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فقتل عبد الملك يقول عمر والعبدى

نهيتكم وأن تحملوا فوق خيلكم * فجئنا كم يوم الرهان فسدرك

التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد اليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أطهر الاذيال ونبدى الكريم علما تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيديه واستقرارسيس فى هذا الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعد ما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الادعية من أفواه مرابيها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الارض طائفتها الارمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريعة الصوفية ورغب ابن رمضان فى طاعتنا الشريفة فجعلنا له فى ربيع حلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمى وأدنيناه من أرمنة قد نامنها الى أعلى المراتب وتلمظات سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بالسنتها فى كل قطر قطرها فلحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها لما ناظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فامسى ثغره بافواه الشكر يقبل ويبسط جبين جسره لملوا طئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظر لبنى كندبيت بملطية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته لسان جمر لا يفهم وما هو الا كافر وقيل بطال عمره فجاءته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من

فتعترك فاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك

وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ايس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماح اقسرا * فمازادنا فيها السباء مذلة

ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا * وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يلعنهم شزرا

ويأخذ ريان الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذلك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطيعن خادما تريد الخدمة * ووصف بعضهم عبدا فقال يا كل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب قوما

وقيل لبعضهم ألك غلام فقال ومالى غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر * ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد

ولا يتخذ منهن حرقعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فارسله يوما يشترى له عنبا وتينا فابطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فرض الرجل فامر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمر والاعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فدفر باه وتباه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منهما من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فاقام الغلام بعدها مدة يطلب أن ياخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كانهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطاعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد باعظم منه ان لم تجب ذكرك مثل ما جبيتنى لارمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ما هى الا نفسى وانى لاسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد ليصعد اليه فيدلهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخرج مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبل النفس ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فاخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمر والاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كأن لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمردوان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج وأردأ لان المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم)

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون *قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذبحها ولا تمنع من ماء ولا مرعى *وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث *وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم *وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى *وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض *ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها اضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايا كم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات *وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بنى أمية فقال أنا ابن محيى الوئيد فانكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم *وقيل أول من أقام لرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر فى الكعبة *(واعلم)* وفقنى الله وايا ك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمى وابن سمالك الاسدى الذين ضرب بهم المثل *فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها ياهناه مثلى يكون من عبيد الله *وأما عبد الله بن زياد التميمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فاحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سمالك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يردها الله على لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض

فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولما بات عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشى كل منهم أن يصير لحما على وضم ورأوا ألسن السهام فى أفواه تلك المرامى رأينا الصائب ناطقه وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق نفوطنا بارقه فزقوا الاطواق من الحنق فطوقناهم بالحديد وأحيينا الفتح المأمونى برأينا الرشيد وما خفى عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف فى الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دبره وظهور السر الابراهيمى لما ادعى انه نمرود تلك الفئة الغادره كلمه بسيوفنا فاخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه فى بحر عساكرنا بعد ما عض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم فقر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا ومارؤى أحد فى ذلك اليوم من الترك ممن وقعوا أو عار تلك الجبال من دمائهم فكادت

أحجارها أن تورق وتخضب بعد المحل وجنوا بالعسال على النصر وغنموا من الانعام مازاد فى عدد أجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد *لها فى الظبية الأنس منكم نفرت *وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحلى من أذلال تلك الصدور وقد انتثرت

وسن المقر الصارمي فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحيث نار حر به فسبكت وانهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله تعالا وخصت أنواع الديباج فكم من معدني صار مع دني لان قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكثب على السمور وغيره

من أصناف الوبر واذا الوحوش حشرت وانقادت وكانهم الينا وبدور واطئها في بروج تلك الجبال قد أشرقت والناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمي بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته في ذلك اليوم وعلمنا ان الله قد جعل لابراهيم في هذا البيت الشريف مقاما ورفاه في عمر الابد الى بروج الكمال فابدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا

وان كان شبلا فهو في الخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صغره تحت يده ودفع له في هذا المبتدا وسيره في الآفاق خبرا وعلم الاعداء ان دمعهم يجري عند لقائه دما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسأنا قبل ذلك في ولده وقد كره العود اليه وألف أبرتنا الشريفة وتوطن فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن عليه تخالف نص الكتاب ومشى في ظلم الطغيان ولم يعمل

أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت عيني عينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصار واحد يثلثه ستة شعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * (حكى) * عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله ظفرني بالناس بلغني الامل فيهم وأعانني على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنهم من محاسن الحجاج وان ثلمت في جنب سيآته والله تعالى أعلم

* (ذكر أديان العرب في الجاهلية) * كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة بن عدس وابنه علي وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فاكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة وهو الذي رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسمعيل وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندهما يطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان بحجابها ابنى شيبة وكان اللات لثقيف بالطائف وكان بحجابها بنو معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه ففعلوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه ومن صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصورهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم الصورة في مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمرها وعلاها التراب زمانا طويلا فاخرجها الشيطان للمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعدهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فخشن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان

* (ذكر أوابدهم) * الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد

بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطوانا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيء الا باهله

وصلى ركابنا الشريف بالابليستين في العشرين من ربيع الآخر فمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة لاستيفاء ما لنا في ذمة

جبرائم امن الدين فرحبت بناو بسطت بساطها الاخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درنده وما لعيان من صنع الله فى أخذها كالخبر وقررنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ما قررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها (٧١) أصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير

غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى * الرتيمة نافة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينها حتى تموت يزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليم ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضربا ثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره * وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحيا مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال منصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون علينا * فلهم فى سدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى دل النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * ا صفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب فى الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطاب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره الى الشام فضربه بالسيف * وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى * وأما القطرب فى قولهم فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدور دوره فيموت وربما تزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناه أمنكوح هو أم مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان رقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه * (ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثيرة فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى * (ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف) * ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجت حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه * ياليت شعرى هل بغت عليه * فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فاجابه صوت فى الظلام * نعم نعم وناكها جبيه * وهو رجل * أحمر ضخم فى قفاه كيه * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لاهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت جبية فقلت الحق باهلك وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا أثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهام يده وقال ابدينى باحسن منها فانه يامن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا اذا

المدافع وتحريك الوتر وطلعت فى ظهر الجبل كدمل فطار كل جارح من سهامنا بريشه الى فتحها وظنت صون من بها العلو ذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا منه الثنية وأمست حلق مرامیها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستوية وخربحرها طائفا فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة وأقلعنا الى خشب سفنها المسندة تفزقنا قلوع سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليها فترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج أن يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من دنوان وصلها بسموح ولكن ساعترويها قالت بكارتها مرحبا بابى النصر وأبى الفتوح وتعانق سكانها باذيال الامان فامناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعة فاحسنا الختام بدرنده وألقينا اكسير الدافع على حجرها الذى كان غير مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كورت بورت بذلك فالقت من بها من بئر معطلة وزهت

فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها اليوم هذا الفتح مهنئة باسنانها الحديد وغارت عروس بهمتان من ذلك فخطبتنا لجالها البارع وجهزت كلابها بشهد لها بالحلو من الموانع وهى أيضا ممن خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو الى أفقها العالى فاستغلته وترفعت وعوت كلابه

أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها فخضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها للتعرف بها (وأما) جز النواصي فكانوا اذا أسر وا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير والله * وكانوا يقولون من عاق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية تخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل اذا اغتسل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان * ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فالقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا وما أشبه ذلك)

(أما الكهانة) فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها والكهنة أخيار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه وورؤساء مملكته فأبس ناجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فاخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فانه فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد قد اقترب عدد ملوك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فسار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فاراد تفسيره فقال له أهل مملكته يفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض نهمة فاكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ابعث بارضك الجيش وتملك ما بين أبين الى حرش فقال الملك ان هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال

الفاتحة وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بكحتا وكركر ولكن أبكتهم سهامنا دماجرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن تكتان كانت قلعة نجم عقابا في عقاب فانسر الطائر يحفق تحت قادمتي باجنحته أو كان الهلال قلامة لاظفارها التي علاها من الاصيل خضاب فكف الخضيب يتيم تربي ويمسح بياض جبهته فانا الهيكل الذي ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس أن يكون من تعاويذه والشجرة التي لولا سموفرعها انفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشاخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وأيقنوا ان بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهل مائهم عذبا فاكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدي دلوفلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو أبي زيد السروجي لا يرجع بيله ولا يجلب نفع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والاحكام وانقلبوا صاغرين الى طاعة وقد قابلنا أنف جبلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردي لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة فقبلنا منهم العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة

اراء

فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتبركت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مرامهم بأصوات مدافعنا كان بهاز كام وتبره ومن خليلهم الكردى لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم بالبتى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فامست بالزلزلة مهددة وفر وامن سطوات نبالنا الشريطة الى البروج فادركهم الموت فى بروجهم المشيدة وسالنا كردبهم فى جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها كريشة فى مهب الريح ساقطة وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا الشريف أغصان منابرها وسالت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكير معرفة وصارت أبراجها بالنسبة المؤيدية مشرفة وجهز قرا عثمان مفاتيح الرها وآمد وسال تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لهما فى الشرف محلا فاليناه بذلك وكان من العواطل فحلت المطابقة بالعاطل المحلى والتهب ابن الغادر بحرارة المعصية فطر الى برد الطاعة من غير فترة وهز جذع مراجا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين الثمرة

أراه ذا يزان يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من العلى قال وممن يكون هذا النبى قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك ابن النضر يكون فى قومه الملك الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيؤن قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سوداء الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فجيء له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا وافد خبانا لك خبيا فان علمته علمنا اليك وان لم تعلمه علمناه نحن الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية ابن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولامية أواخر فاخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين أمية * (وحكى) أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنهنهنى قال فارجعى الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا قد سبيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمناه الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه لئن قدرمت ابنتى بامر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها انى أرى حالك قد تغيرت وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تاتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمنى بسمة تكون على سبة فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر الفرس حتى أدلى ثم أدخل فى احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فاكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبانا لك خبيئة فتخبرنا بها قال خبأتم لى ثمرة فى كمرة قال انى أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل ياتى الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فاخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله انى لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه * (وأما القيافة) * فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر * فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه باحدهم * (وحكى) * عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد فقال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شئ فلما رجعت الى أمى ذكرت لها القصة فقالت يا ولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا * وأما قيافة الاثر فهو الاستدلال بالاقدام والحوافر والاخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدميه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى

انه ما أحسن البيان عن درنة فى تخليص ذلك الفتاح وسال أن يحظى من بيمان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذ قناه حلاوة

 والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مدت الله على الخافقين ظلها وعلم

قبر بنا بعد ماذاق مرارة بينه وألبسناه تشريفة بنيابة الابابيستين فباس الارض وهو لا يصدق انه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهز ناولده داود بدروع من الامن ليأخذ بها من يد داود (٧٤) و يتفيأ بظلال جبرنا و يصير بعد حر المعصية فى ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيساريه أن يقام

قطية وثغر البراس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولاطين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعنى فى علمها استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى رقيل ان القيافة لبنى مدلج فى احياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فاما جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض و يقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل ثمرد لى ابلى فجئت الى خراش فسألته عنها فامر بنته أن تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت ان ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك ابن خراش الحزامى غازيين فرأيا مرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزؤا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت و يتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث لى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعند ذهابك وقال للمصور التقنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك * و بعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدميه فتفاءل بالنشز العلو و بالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أنى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لها خذى بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها و بينما مروان بن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع لزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني ان عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الحشعمى الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا طويلا وعرضا ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الاولى دخلت على والشقة بيدى أدبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها الآن قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء

قطية وثغر البراس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولاطين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعنى فى علمها استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى رقيل ان القيافة لبنى مدلج فى احياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فاما جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض و يقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل ثمرد لى ابلى فجئت الى خراش فسألته عنها فامر بنته أن تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت ان ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك ابن خراش الحزامى غازيين فرأيا مرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزؤا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت و يتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث لى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعند ذهابك وقال للمصور التقنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك * و بعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدميه فتفاءل بالنشز العلو و بالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أنى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لها خذى بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها و بينما مروان بن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع لزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني ان عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الحشعمى الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا طويلا وعرضا ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الاولى دخلت على والشقة بيدى أدبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها الآن قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء

بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما غلت فهرعنا اليها بضائع الامن وأرخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فازالنا عنهم بالياس عدلنا الوحش وأمست قيساريتهم فى أيامنا الزاهرة هشة وبجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم

ولم يخل من أسمائنا عود منبر
ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات لعصيان تلك البلاد فقالت ارزيكاز الصلاة جامعة وصلت طائفة مع الجماعة فلا قلعة الا انتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج أترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى لزوم لعسا كرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد اذ لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها لشرفها قبله وود كل منهم أن يحظى من جهات أعتابنا بقبله وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول و بالغوا فى الرقة وأمعنوا من الرقيق ما قام له عندنا سوق القبول وأسفر

قبر أبو سف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن بهجتين وأطهر كتاب الطهارة بتطهير الارض ممن تدنيا اليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من

بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضىء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لامير اصبر لنظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى الجمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه أنف من مقاتلتهم على شئ من ذلك الاعلى حمار لما أنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك لرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال اجلوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من العارفين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له باى شئ عرفت ذلك فقال انى لما سألنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فاوكات الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالحلعة قال وكان الامر كذلك (وأما الفال) فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلاما من له يا بشار يا سالم يقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعى سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب أقفال
(وقال لبيد) لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع
(وقال آخر) تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما تتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كذلك من يوم الفراق على وعد

رتبه والمنورة التى بحجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذى تميز اوصاف ماصاحب مجرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل التى قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى سمت عندنا على السروجى بمقاماتها العالية وزيناها أهلة تغنى عن الفجر فخضنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التى خشى النسر الطائر أن يصير منها واقعا وصدق فيما تفرس وخانت الشمس لما تسمت بالغزالة وألف سرحان الافق ذئبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى أصاب به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التى وقعت فى محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا عانق سهامه بنصر علم أنه وصل الى المكان وبالغ المقر الجمالى فى نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة قعه وأداز من أوانى الصينى كؤسا أترعها الود بلاف رحيق وخلنا حباب المحروسة وصلناها اما استحق لها من ديون الفتح علينا وردد ناما اعتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التى استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فانه ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المتقدم

بهذه الرحلة أيضا رحلتي من الديار المصرية الى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية وحدث بدمشق المحروسة ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومي الفخري القاضي ابن مكانس في شرح ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم تسمح على غلبة الظن قريحة بمثالها (وهي) يقبل المملوك أرضا من عمها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الى ربا نجد ولا زالت قول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض في ذلك المضمار وتهيم بواديها الذي يجب أن ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى بعد أشواق أمست الدموع بها في محاجر العين معثره ولولم يقر انسانها بمرسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فبالبيعة قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وجثت حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت في ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت وهمام بالغاشية ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التي صغر اسمها لاجل التحجب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فانشد به لسان الحال

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقل من ارتحل وفي ذلك قال بعضهم

زعموا بان مطيهم سبب الفرى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

مفردا واجاد

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدي قال أرسل الى محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يقول ياعم اني مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا لحديثه وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبي جعفر وجارية تغني فقال لها اغنينا شيأ فقد سررت بعمومتي فغنت وهي تقول هذه الابيات

هموقتلوه كي يكونوا مكانه * كما نعات يوما بكسرى مرازبه

بني هاشم كيف التواصل بيننا * وجند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصدتك ويحك انتهي وغني ما يسرني فغنت تقول

كذب لعمري كان أكثر ناصرا * وأكثر جندا منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء في هذه الليلة غني غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكي فراقهم عيني فارقهما * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور وكان أبو يحيى فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال ياعمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كاذبل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي أسمعت ما سمعت ياعم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذ الصوت قد علا فقال ياعم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا الاجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحته قدم مملوح فعلم أنهم قد تطيروا به بذلك فالتفت الى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذ انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط وقوله لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فاي ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة وأنا مجمل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فازل من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فامر بعض جواريه أن تغنيه ليلا وعن وجعه فقالت مفردا

هذي الليالي علمنا أن ستطوينا * فشمعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات * (وحكى) * أن نور الدين محمودا

وهمام الدين ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا في الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا في الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام *(وأما الفراسة)* فقد قال الله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال علي رضي الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على علي رضي الله تعالى عنه بشيء فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان في الحرم فقير ايس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسي منه فتفرس ذلك مني فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله في قلبي فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده *(وحكى)* عن الشافعي ومحمد بن الحسن انهما زارا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار *(وحكى)* أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فاني أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل في دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم علي وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهي قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقاء من موالي بني سليم ولم يكن في الارض أحزم منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول في هذه الرمانة كذا وكذا حبة ووزنها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشيء وما عند الله خير وأبقى فاعلم ان في جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا نيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شيء فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشي ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه في حاجة غني واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالي وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في جمعها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها يدل على الحمق والتي يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر في الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت في الوحوش دل على ضيقة واذا فشا في الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا فوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شيء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين *(وأما النوم والسهر وما جاء فيهما)* فقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروي ان أم سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتوانبون بين باك ووداع ومتضرع فاذا أصبح نادى *عند الصباح يحمد القوم السرى* *(وأنشدوا)*

يا أيها الراقدكم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد * وخذ من الليل وساعاته

ولما كان الفضا فتوهمت ان وادي المصلى قد تبدل بوادي الغضا فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانح وقلوب واصطلت النار وقد أرادت سبي ذلك النادي فشفت عليه من فوارس لهبها الغارة وركضت في ميدان الحمى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة في موضع القصر وأصبح أهله في خسر وكيف لا وقد صار واعبرة لاهل العصر وتأملت تلك الالسن الجريه وقد انطاقت في ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفي سورة الدخان فوجب أن أجري الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبري بعد أن كان في خبر كان

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا

ووقفت أندب عرصاتها التي قمحت بالبين نخابت من أهلها الظعون وكم دار وا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القمح يدور ويجيء الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتوني زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به

مولانا على المملوك من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب آها لمصر وأين مصر وكيف لى * بديار مصر مرانعا وملاعبا والدهر سلم كيفما حاولته * لامثل دهرى فى دمشق محاربا يامولانا القد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم

حظ اذا ماهجع الرقد * من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب انه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد وما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الحاق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الحاق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق نومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم وتكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السباط على ظهرى أحب الى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحية على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وأنشد وفى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون
قل لى فاول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

(وأنشد أبو دلف) أما لكئ ردى على رقاديا * ونومى فقد شردته عن وساديا
أما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيا اللياليا

(وأنشد أبو غانم الثقفى مفردا)

رقدت رقاد الهيم حتى لوانى * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تمادت على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى اذا أنا مت فمجى ونام وندب فاذا هو قدمات * (وأما الرؤيا) * فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الحوادث انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وشياعا مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والشباب والصبغة والذى قطع به التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أول بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجى على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكى) ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة غرافا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال مالابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فاتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله تعالى عنه انى رأيت كانى رقيت أنا وأنت درجا فى الجنة فسبقك أبو بدر حتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فاولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله تعالى عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) ان أم الشافعى رضى الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشترى خرج من

على نارين وسلقوا من الالسنة بالسنة حداد ولقد نشفت أعينهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشكا الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن زياد ورأى هذه الحال وماتم على أهل دمشق فى كانون لسر لرثاه ولده عبد الرحيم وقال

يالهف قلبى على وادى دمشق ويا
حزنى عليه وياشجوى ويادائى
فى شهر كانون وافاه الحريق لقد
أحرق بالنار يا كانون أحشائى

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة جرمها حتى قلنا أزفت الآزفة وستر وابر وجهها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستحالت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للعرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها البيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرجها فرمت القلوب من عيون مرامیها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أنبال وطلبها كل من الحاضرين

وقد غلادست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية ورامواكشفها وهم فى رقعة الارض كانهم لم يعلموا بان الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس فى الاسحار وقد اسنيقظوا الجل قدميهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فاعيذ رواسيه التى هى كالجبل الشامخة بمن أسس رواسى المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وقطاوات الى السور المشرف وقد فضل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

فضائله سور على المجد حائط ... وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حملوا عليه وظنوا فى طريق حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلا أبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعدت فيه أنفاس لرجال اقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهر القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت الى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت والى نار النقط وقد نفثت من غيضها والى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ومن العجائب أن بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهى ذكور والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء والى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء والى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع والى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع والى قامات أقلام الخط وقد صار

فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فاول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) ان عاملا أتى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية المحوة والله لا وليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأنى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التى تحتك قال عجلة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه * وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارتى قد دخلت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد لزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان * وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كان القمر دخل فى الثريا ونادى منادى من خلفى ان ائتنى ابن سيرين فقصصت عليه فتقاصت يده وقال ويلك كيف رأيتنى هذا فاعادت عليه فقال لاختمه هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام * وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأفشره فأكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فانت تباشر الموتى فكان كذلك (وحكى) أن ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك * وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشير بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا لرجال فى كبد

تغالبوا على بلد * كان له حفظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبيد وذلك فى عام الهجرة * وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فاخذها وبددها فاصبحت أحاكاتبه فاتيت الجعد فاخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كان رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا ابنته وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغى لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت انا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربى سنتان يريني أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة

لها فى طروس الاجسام منشق فاستصوبت عند ذلك رأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد ذلك الى العشير وقد استحل فى ذى الحجة المحرم وحل كل قيسى بمانيا وتقدم فخرج (٨٠) النساء وقد أنكرن منهم هذا الامر العسير فقلت * وغير بدع للنساء اذا تنكرت العشير

فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا التقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر) *

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فاتوه بقدح فيه ماء فامسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال ألم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولد وابالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل * وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم النصرانى لو أسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام الا أنه يمنعنى منه حبى للخمر فقال أسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حد بتك وان ارتددت قتلناك فاخترلنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فجحدها فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فانكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فالتقدمنى السلسلة فدنت منه فسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فالتقدمنى السلسلة فدنت منه فسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فأرسلها ثم قال للناس انى لاجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تأتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فأرسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فأكله فاختصمتا فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يا نبى الله ان لى جيرانا يسرقون أو زى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم يسرق از زجاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لا ستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون

خطبت بذلك الى باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسير يسرا ولانهماك

خطبت بذلك الى باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسير يسرا ولانهماك

فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الي من هذا الذي يحصي علي مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فاخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة رجلين قد اتهما بسرقة فاقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهددته فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوي القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحد المستودع فاخبر بذلك القاضي اياس فقال أعلم بانك جئتني قال لا قال فعد الي بعد يومين ثم ان القاضي اياس ابعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندي أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك فما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ وضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالي والا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى القاضي اياس فاخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا الى ترك السفر امض لشانك لا أكثر الله في الناس مثلك * ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز لادخل عليه لاقتله انى لادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فاخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة اقتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله * وأما بايع الرشيد لولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقني عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أبوها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلما توقات ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت اباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على ان ألطم سيد بني تميم فقال است بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فاراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده ما أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سالني عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي * ولما ولي عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معمر روح بن زنباع وكان شيخا متوعرا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي

فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الي من هذا الذي يحصي علي مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فاخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة رجلين قد اتهما بسرقة فاقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهددته فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوي القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحد المستودع فاخبر بذلك القاضي اياس فقال أعلم بانك جئتني قال لا قال فعد الي بعد يومين ثم ان القاضي اياس ابعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندي أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك فما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ وضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالي والا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى القاضي اياس فاخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا الى ترك السفر امض لشانك لا أكثر الله في الناس مثلك * ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز لادخل عليه لاقتله انى لادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فاخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة اقتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله * وأما بايع الرشيد لولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقني عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أبوها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلما توقات ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت اباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على ان ألطم سيد بني تميم فقال است بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فاراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده ما أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سالني عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي * ولما ولي عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معمر روح بن زنباع وكان شيخا متوعرا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي

وانتهيت الى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم ناهدات أسبلن من فوق النهود ذوائبا فتركن حبات القلوب ذوائبا ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاطلع فرآه في سواء الجحيم واندهشت لتلك الانفس التي ماتت من شدة الخوف وهي تستغيث للذي أنشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت الى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار أعلامه ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود ونعدوا بعد تلك الربوع على أديم الارض ونضحت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذة الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم ترقأ لي دمعه وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة فاعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينه وكروما اليكرية في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت الى ظاهر باب كيسان فانتقت كبير الصبر لما افتقرت من دنانير

تلك الازهار والدراهم رباها وسمعت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها ومرساها وكانت الى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيالهفى على عروس دمشق التى لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وفطم جنين بنتها عن رضاع ثدى الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها ... مواطر السحب سارت بين غاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه ... حوامل المزن فى احشا أراضيها

فما نضاحها قلبى لنيرتها ... ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها ... ولا نسيت لبيتى جار جاريها
هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمج الناس من قال انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات ما يكفى فالطير قد غنى على عوده فى الروض بين الجنك والدف وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم

ان ابن مروان قد جانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثفلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك * (ومن الحيل الظريفة) * ما حكى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فاذن لى يا رسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فاذن لى لعلى أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحتاج ان أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا والله عمر انه عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فاحدقوا حولى ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمدا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غير مائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هنالك فقاموا معى فجمعوا الى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الاعرس على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال فلت اى والله ولقد أسلمت وما جئت الا مسلما لآخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلته وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عرسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاء لنا بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا ثفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله * ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم ابن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة قد علمتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا متهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم فان البلد بلدكم

وضاع من غير تورية عباره الباسم ولم ينتظر لزهره المشور على ذلك الوشى المرقوم رسالة من النسيم سحريه وكيف لا وقد محى ... وجه الطوق من طروس تلك الاوراق النباتيه هذا وكم عروس روض سور معصم النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسيرة السوار

تركم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقضب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت اندب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى مغنى الربوة دخولا لم أشب بالعيش الذى انقرضت * أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص يزيد فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر ثور فاهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق فى ثغره الاشنب من برد حصبائه ما يبلل الريق وانقطع وقد اعتل من غيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آمن وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت من العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخيال لما قام الحرب على ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخرنهر حمص خاضعا وتنكد بعد ما كان يصفى لنا قلبه وافتقر اغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لا يملكون حبه طالما كان أهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديرة فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لا حاجة لنا بحمص والجزيرة فيا لهفى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين وياشوقى الى رأس تلك المرجة التى كانت

و به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهروهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا فقالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى اياكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فارسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ واسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها والا ركبوا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يتسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتاديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته * وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا قال فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى

تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابيتها حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس فاضحت باكية على فراق الاباق واخضر ذلك الميدان يا مولانا القديمى المملوك من الاسف بدمعة حمراء على ما جرى من أهل الشهباء فى الميدان على

الشقراء حتى كذب الناس من قال قل للذى قايس بين حلب * وجاق بمقتضى عيانها ماتلحق الشهباء فى حلبتها * تعثر الشقراء فى ميدانها فقال لسان الحال والله ما كذب (٨٤) ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى تغمز قناته غمزا وأنشد

المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله تعالى عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل مابقى فى البرمة وفى غدا ئت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قد امه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فانت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجته وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لاعرف فلانا وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته باقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره مانبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم بأسيافه وكان اكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتطريق شمله قبل جمعه وذلك له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها باوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته مارآه عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لامر وأنابه معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضرنى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم و يرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تاتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا واكتب على ألسنة أهل تلك

ومن ظن أن سيلاقى الحروب وأن لا يصاب فقد ظن عجزا

ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينة فقلت يارب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينة ولكن مادخلت بها الى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما وعلم القوام والقاعدون بارضه انها ساعات مستقرا ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يا نار كونى بردا وسلاما فحسن ان أنشد قول ابن الجوزى (من كان وكان) الحار عندك بارد*

والنهر أمسى منقطع والعين لا ماء فيها * ما حيلة القوام والقاعدون بارضها ساءت مستقرا ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يا نار كونى بردا وسلاما فحسن ان أنشد قول ابن الجوزى (من كان وكان) الحار عندك بارد* والنهر أمسى منقطع والعين لا ماء فيها * ما حيلة القوام وأتيت بعد ذلك الى الجامع الاموى فاذا هو لاشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبية وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زهابالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه وبانه طائعا ولقد صدق من قال أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح فان القرية تتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح معبدله قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته ورأيته فى القبلة من شدة

الظما وقد قويت من ضجيج المسلمين انانه وخفض النسر جناح الذل وودبان يكون النسر الطائر وطمست معقل تلك المصابيح فانده ش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ليس له بعد اكسير الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى

لقريته والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سير وفى سراو سير وامعى ألطافا وعينا وكلما جهلك وأنكرك اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فاخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فاقيته بالكتب فانكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وان معى ألطافا وعينا فانس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لى المنصور انى أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى بنو الحسن وفيهم عبد الله فانى أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وايالك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطاب الطعام للغداء فاكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتنى من العهود والمواثيق انك لا تريدنى بسوء ولا تكيدنى سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدى عبد الله بن الحسن فاعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثا بين يدى المنصور وقال أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما * قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقينى فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتينى لأصلن رحمك ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن على بن أبى طالب وهى تقول لا أعرف له مكانا فامر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أعمى عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال مادوا عمتها فاقالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الجمامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك فى بنى سليم قال صدقت هى والله أمتى ابتعتها بماء و رزقى يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندى سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو فى بنى فلان قال صدقت هو والله غلامى دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرنى ان أمتكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن فى بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء مما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم)

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان وشكل

جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعد ما ركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحه وهو بعد ثلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس باصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبه وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة وأنشد لسان حاله لوان مشتاقا تكلف فوق ما وفى سعه لسعى اليك المنبر وودت العروس ان تكون مجاورة لحماتها النبل ريقها برحيق الا من اذا نظرت لى عاصى المحمدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوارأبى نواس وقد انقطع قلبه بعد ما كان يثب ويتجرى وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهده ورثيت للنساء وقد فقدت بعد تلك الانعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم

تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعلمهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استعدوا بسهام من الادعية طلقوها عن قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين

الطريق الى باب الميناء ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلامهم فدراجع شهادة وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسببه ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كان لم يكن

جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ماهو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحبسه ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه فينفخ فيه فتتفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم تفتحهما ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى سنة أشهر ثم يتكاف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفى ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
وأنفت يدى ونفسى تشتهيه * وتجتنب الاسود ورود ماء
اذا ما الكلب يلغ فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه دليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والعطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضىء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى * وروى أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبى لهب كفرت برب النجم يعنى نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أى شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا على ووالله ما أظلت السماء من ذى لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فخطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو يقول آخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس وبعضهم فى الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى * كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
بديل بأنياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على وادمسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى فى نومه أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فالقته فيه فارسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك فى دانيال فضرى له أسدين وجعلهما فى الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله وبحسبانه فاقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فاوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفنى فقال من أرسلك لى قلت أرسلنى اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لا يخيب من قصده والحمد لله الذى من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان فى سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا * وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام فى سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهى أول حمى نزلت فى الارض ثم شكوا اليه العذرة فامر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فامر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس

له حقيقة كم وردته وهو كانه سنان يطعن فى صدر الظلماء أو شجرة كدناء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قتاله راية بيضاء أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثارا عند بعض الكواكب فخفض لفقد الماء مناره وخفى بعد ما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفى عرنينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادى غيض ماؤى وعطل الدهر حالى فتمنيت من لهيبى بانى أشترى غيضه بروحى ومالى فلا والله ما كانت الا أيسر مدة حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن شنب الرى بعد ما أشفر يقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما قامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التى كانت لها على تحريك الاوتار وجس العيدان نغم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأس لواء الحرب معقود وهجمت مقل السيوف فى أجفانها الما علمت أن لزيادة فى الحد نقص فى المحدود تفرج وفاضت غدران الرحمة على رياض الامن فظهر لها من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وبعد فالعذر فى فهاهة هذه

تخرج منه الهر فجب الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل النماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط اسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان جلت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجيبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله لآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فارة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو جعل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أي شيء هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فاكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتشتهيه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها * وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف في ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران وروثه اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارضة سنة ثبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحتملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى * ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم * ومن عجيب أمره ان تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة تزويه يصرخ الذكر

أمست وهي عند سيرها الى غايات المعاني ضالع * فسيروا على سيري فاني ضعيفكم وراحلتي بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للمملوك في طريق الرمل من عقلة وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن أنه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصل له وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مضر التي هي نعم الكنانة وأنشد وقد تحير في الرمل لفراق ذلك النخت الذي أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى فارقت مصرا وبها أحبابي وفي طريق الرمل صرت حائرا * مروعا من زعقة الغراب واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال فوالرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لعيد حريمهم دروس وأدار وارحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال من كل عاد كعاد في تجبره * من فوق ذات عماد شادها ارم لا يجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا وانتهت الغاية بالمملوك الى أنه شلح بقرب الكسوة في الشتاء وانتظرت ملك الموت رقد أمسيت لي مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وفات لو كان في قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم

يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعد ما كاد يمحى من الوهم ولم يلق له مجير الما قوى ألمه وضعف منه الحيل الا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد وقد دنا يوم يعلو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد ما تفعل الاعداء فى جاهل * ما يفعل الجاهل فى نفسه

فاعاذ الله مولانا وبلاده من هذا القيامة القائمة وبدأ به فى الدنيا ببراءة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة

(قلت) قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان *(وقال أبو حيان التوحيدى)* يجب على المنشئ أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم بديع الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لبق الدواة حاد السكين متردد الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة ملح النادرة غير قذف ولا متعرف ولا متكلف الالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة (آداب الكتابة) روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فسالذه فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان

والانثى كالسنانير فاذا وقع منه لا تزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها *(فائدة)* ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج * وقيل التقطت الارنب تمرة فاختاسها الثعلب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لتختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة حلوة قال فاكلها قالت قد اختاسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فاطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقبض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا (ومن ذلك) ما حكى ان عدى بن ارطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فانا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبالها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) ٤ دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيدخرونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته *(وحكى)* انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فبات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هى دقاق الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش كانما كسين اعلام الحيرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا *ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فاى بحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدرو واذا قلعت عادت *ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى بحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها الكثيرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فما تفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحد هاذلك الرجل قال ثم بعد أيام جعنا المقادير فوجدته قد برئ

وآله بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه (٨٩) قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب

فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا يوما بافاعى اصطادوها وقلعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فاطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا وانفتحت طبيعتى نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم ما كولا فاكلت وأقمت عندهم أياما فلما انشطت ووثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة * (فائدة) * قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فاراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فامرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى ثمر وصارت تنظر فيه قال فنظر وا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر ريحان فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافاتنا اجعلوه فى الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ * (لطيفة) * من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة ففتحها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فامر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فامر باحضارها فاحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتوجه من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأماكن البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فليتفقده ومن أوى الى فراشه فليتفقده (الحواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الالم للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة وماواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الحواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به واسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فاكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فياتى لهم وهو مولع باكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير قرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبزهير الحوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعها المسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين

مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاتربأحدهما ولم يتربالآخر فاسلمت القرية التى أتربكتابها (وقال الحسن ابن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) فى تذكرة الوداعى ان القاضى تاج الدين بن بنت الاعز كان اذا كتب كتابا بدأ فى ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) فى قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلاوين وعلاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب ممن والى من هو كما قيل ضجوا باشمط عنوان السجود به * (والقلم) لا يقال له قلم الا اذا برى والا فهو أنبوبة (ومن بديع ما سمعته فى وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى منقول من خط الوداعى

(١٢ - ف - فى) تمشى البراعة والمداد وراءها * ظل على شمس الطروس ينوع عوض الغوانى لو تلوح لمسلم هذى المعانى راح وهو صريع لولم تكن ألفاظه خطية ماراح سرب اللفظ وهو منيع ألفاظه رقت بوجنة طرسه فكأنهن وقد جرين دموع

قلم مسيحى لخطاب لنطقه فى المهد من عناه وهو رضيع وغدا كليما وقد ضاهى العصا فغدا يروق بفعله و يروع بالنقطا كنه الشموع و بالضيا حاكنه فى حلك المداد شموع قد لازم القرطاس وهو منور والطل يهوى الروض وهو مربع نور ونور خطه وكلامه

هذا يضى عبه وذاك يضوع
(وقال فيه وأجاد الى الغاية)
لميناء ذو طرف كحيل اذا بكى
تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشتوق اللسان متى جرى
بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا
(وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد فى تقلبه ان
خط خطا أطاعته المقادير
محبر و بتحبير العلوم اذا
جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة
وجانس النور من أوراقه النور
وأشقر يده البيضاء غرته له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء تلحظنا
وهدب أجفانها تلك التشاعير
أو سهم علم باطراف السطور غدا
مريشا وله فى الضد تاثير
كذا محاجره سود العيون فان
دانت أياديه فهى الاعين الحور
(ويعجبنى قول الشيخ شمس الدين بن المزين فى الدواة) أنا دواة يضحك الجود من بكا يراعى جل من قد براه دلوا على مثلى من شفه داعمن الفقر فانى دواه (وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ) كنانة الفضل دواتى ولها سهم يراعى نصله نفاذ وأسمر الخط لديها قاصر
لانها على الحمى فولاذ
(وقلت) ويعجبنى بعد وصف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشؤا فى وصف السيف والقلم وما ألموا بها وهى أحق بذلك من غيرها لقربها به من القلم وقد تقدم ان أبا طاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين ابن نباتة انفرد برسالة

وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك و يأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا نحر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستنشق به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها امامن جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فهم ما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجؤ غليظ الذراعين مع قصر فيهما * (لطيفة) * من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسالهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين رويناعن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بامم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة يست بذوات ريش فاجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقلوع فاذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله و يشقون جوفها و يستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه أهدى لعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار و يقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم و يكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بج) طائر لطيف يأوى أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاحطال لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط
تقول سبحانك يا معطى * تمشى الى خلف اذا ما مشت
كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين ميتا واذا جفف وذر منه على من

به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه *(وحكى)* أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو بطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك ببديع ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد اعرابى

ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لا بارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

(وقال أبو الرماح الازدى)

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على بطاول
وات الذى يؤذينه لذليل * اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلنا هن أضعفن كثرة * علينا ولا يبقى لهن قتيل
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

(وقال ابن أيبك الصفدى)

أشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما درروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن نبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر *(فائدة)* سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال الله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها * ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز بثر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السداب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج *(بعوض)* قيل انه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بار بعة أجنحة وله خرطوم مجوّف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهوله كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على عضو انسان ينتجع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار * ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاءها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض * بما حله فليس له قرار
ويشخنه فليس له نهوض * حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها أن جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخاوعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

الحفا زرقاء وكم شاهدت منها البيض ألوان خرساء ومن العجائب أن لها السانا لكل عنوان ماشاهدها موسى الا سجد فى محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى واسان برق امتد فى لهوات الليل فتنكرت أشعة الانجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذ لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من أجلنا تدخل فى مضايق *ليس لسيف نطا فيها مدخل وكلما تفعله توجزه *والرمح فى تعقيده يطول ان هجعت بخفتها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة تعارضت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله

ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعد الته انها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكامل لها النصاب ما طال فى رأس القلم شعرة الا سيرحيتها باحسبان ولا طالت كما با الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعدد وتالله ما وقعت

فى قبضة الأطالت لسانها وكلمت بحمده ان أدخلت الى القراب كانت قد سبقت على الدخول أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل * ويرى مناط عروقها فى نحرها
والمخ من تلك العظام النحل * ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل * ويرى مكان الوطء من أقدامها
فى سيرها وحثيثها المستعجل * ويرى ويسمع حس ما هو دونها * فى قاع بحر مظلم متهوّل
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاوّل

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضت منه كان بين الفرس والحمار (الحواص) يقال ان مارة البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا محق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر *(بقر)* حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثر ألبانا وكل حيوان ألبانه أرق أصوافا من ذكوره الا البقر وأشاه يضر بها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ الجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل *(عجيبة)* حكى فى الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجاس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبة لا تندبها فان المياه التى كنا نخاطها بلبنها اجتمعت فغرقتها *(فائدة)* ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال الما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يديه من المشرق ويديه من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوناء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم مابين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وجعلها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الحواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا محق وجعل فى طعام صاحب الحمى فاكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الاثر الاسود فى البدن أزاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع الاسكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتاكل أفراخه واعادة الطيور لها يجعلها الصيادون فى أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهى أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الحواص) ومن خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغمضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء

وهو فى بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من قوسه الاذنين وقال له بحسدت رسالتك يا ذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ما حلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولولحمها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وذل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لا زالت صدفات مهديها تحف بما يذبح نحر فقرى وتاتى فى كل وقت بما يبرى من داء الاحتياج ويبرى (قلت وعلى ما وقع من الغريب فى رسالة السكين) يتعين ان نورد ما وقع من غريب النظم فى السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها (قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) لعمرو بن معد يكرب كيف تقول فى الرمح قال أخولنى وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه ما يخطئ وما يصيب قال فما تقول فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك فالراسية

للك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لأم لك قال الحمى أسرعتني يا أمير المؤمنين *(الشريف البياضي)* شعر وأنا اذا الارواح ذابت مخافة * فضمنا باشطان الرماح ركابها متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * خلقنا بحد المشرفية أفواها (وقال أبو العلاء المعري)

فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلته في نومها *(بوقير)* طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيسلك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة ماريه أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي شيء في ذكر اذا أطبق فمه على شيء لا يطلقه حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله اربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد بحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها الى البر وقابلها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب لبيوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله *(الخواص)* عينه تشد على من به رمد اليمنى للعين اليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على ياجوج وماجوج * روى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق * فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد * ومن حيلته أنه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلخ هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج وفروه أدفأ الفراء وفيه الابيض والرمادي وغير ذلك * وذكر في عجائب المخلوقات انه أهدي الى أبي منصور السمعاني ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر

غراراه اسانا مشرفي
يقول غرائب الموت ارتجالا
ودبت فوقه حمر المنايا
ولكن بعد ما سخت نعالا
يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا
(وقال النامي)
ذو مدمع من غير ما مستعير
وتبسم من ثغره متوالي
ويريك من لألائه متوقدا
حنق المنون به على الآجال
(وقال الغنوي)
كان على افرنده موج لجة
تقاطر في حافاته وتجول
حسام غذاه الروح حتى كأنه
من الله في قبض النفوس رسول
(وقال وحيد الدين ابن الذروي)
فتقت باجساد لاسود لواحظا
رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على قمم العدا
بالسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه
وسال على نور الطلا كالمذانب
وقد رشفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الا دماء التراثب
(وله) سكران من شربه
خمر الدماء فان * حياه نور
الطلا غنى لها هزجا
(لسان الدين بن الخطيب)
وخلع هذا راق حسن صفائه
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غسرقت بصفحته النمال
فاوشكت * تبغي النجاة
فاوثقتها الارجل

فالصرح منه ممرد والصفح منه مورد والشط منه ممهل * (راقاضي الفاضل)* غدا الى الاعداء منها معاصما * فترجع من ماء الكلى باسور (وله من أخرى) وثب بها ثغة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها هي في بحار يديه أمواج قنى * ونفوس من قتلته من غرقاها

(وقال ابن قلاقس وأجاد) أسهرتهم وشهرتها الجموعهم * مذ احرمت فى راحتيك حرام وكلاهما جفن منعت قراره * لكن ذا عضب وذاك حسام * (وقال ابن سناء الملك) * له متصل (٩٤) لا ينقضى فرض حجه * فيه الضرب لبى حين بالنسك أحرما تنسك بالاسلام لكن رأيته

يحل له فى الشرع أن يشرب الدما

فكم سل لما سل من بطن غمده * لسان دم من ضربة خلقت فما

* (مجير الدين بن تميم) *

لما فتنت من الصوارم أعوجا * يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وماحات أوانيا * للماء من ثقتى بنهر الاعوج

(وقال الغزى)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها * فعصفر فى الليات ماكان أزرقا
وأسبغ فى السابغات كأنما * جداول تجرى بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف يحسبه * مستلقيا فوق شاطى جدول ثملا

(جمال الدين بن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقى المنون به * أضحى يشف على حافاته العلق

* (برهان الدين القيراطى) *

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل

(وقال) وسيف له فى الحرب حسن تغزل * اذا مارآنى قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع * فبان احمرار الورد فى ذلك الخد

وكم مال قدفى الوغى ميل معجب * فقابله ذاك الهند بالقد
وكم أبحموا ألفاظهم ساعة اللقا * فكلمهم ذاك المهند بالهندى

* (قلت) * وقد وجد ان نذكر هنا ما وقع بعد السيف من غريب النظم فى الرمح

* (ذكر القاضى الرشيدى ابن الزبير) * فى كتابه النوائب والطرائف انه كان فى خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف رمح وخمسون

ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى أنه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فلم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فاعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتتاب للدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعدة قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فادماه ولم يجد شيأ يخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فربه الذئب فناداه يا صاحب الخف الاحمر اذا نعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان الجالس بالامانات * وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضباروغزالا فجلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار لوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار لوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من قرضى ما أعلمك بالفرائض من عالم هذا قال علمانى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب * (وحكى) * أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع * ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تثبت أسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ * (ثعبان) * هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشان فى هلاك ابن آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا الهمس ولولا الهموس لاكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) * قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يسلب و يقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلنى وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم وأسماؤهم رجال من جرهم وفى وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستقال بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

* (حرف الجيم) *

* (جراد) * حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وأطراف أرجله كالمناشير وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا طعن أميره تتابع خلفه وفى الحديث ان جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر والناسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وافسد بيضها وسد أفواهها

ألف سيف وثلاثون ألف حوشن ومائتا ألف رمح *(وقال الفضل بن الربيع) *لما ولى الامين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني ان أحضر ما في خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة انتهى (قلت ويعجبني قول القاضي الفاضل في بيت من قصيدة)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب
من ذابل طاعن والسمهري سنان

*(ومثله في الحسن قول ابن سناء الملك) *ملوك يحوزون الغنائم عنوة *بسمر العوالي أو ببيض القواضب

رماح بأيديهم طوال كأنما
أرادوا بها تشقيب در الكواكب

*(ابن قلاقس وأجاد) *

وقد كحلت بالميال العوالي
أساة الحرب أحداق الدروع

وشب الباس نيران المواضي
وأسيل غيث أمواه النجيع

فللفرسان من محل ومحل
حديث عن مصيف أو ربيع

(ويعجبني أيضا قول القاضي الفاضل من قصيدة)

فيا عجبا للملك قر قراره
بمختلفات من قتال السواجر

طواعن أسرار القلوب نواظر
كأنك قد نصلتها بنواظر

*(ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب وأجاد) *

وبكل أزرق ان شكت أخاطة
مره العيون فبالعجاجة تكحل

متأود أعطافه في نشوة
مما يعل من الدماء وينهل

عجبا له ان النجيع بطرفه
رمد ولا يخفى عليه مقتل *(السيد الفاضل شمس الدين ابن الصاحب موفق الدين بن الآمدي) *غصون بها طير النفوس تناثرت
وعهدي ان الطير للغصن يألف فلا ورق الامن التبر حولها *

عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء فقال جاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه ان الانسان اذا تخبر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه ان جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة) *حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعد أفعاله فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفرين بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا ليدفنهما فيه فامسكوه وأتوا به النبي فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى *(جعل) *دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم في وجهها تهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الوردمات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط *(حرف الحاء) *

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم *(غريبة) *قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتي على سماط به بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فربي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقتله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهد الى أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت الحجلتين تذكرت حقه في استشهادهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الحواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما من ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها

ولا رهر الامن النصر يقطف *(ابن نباتة السعدى)* وولوا عليها يقدمون رماحنا *وتقدمها أعناقهم والمناكب خلقنا بأطراف القنا اظهورهم عيونا لها وقع السيوف

(قلت) رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة

(فنظم المقر المرحومى الفتحى بن الشهيد قوله)

اذا الغبار علا فى الجو عثيره ... فاظلم الجو والشمس أنوار

هذا سنانى نجم يستضاء به ... كانه علم فى رأسه نار

والسيف ان نام ملء الجفن فى غلق *فانى بارز للحرب خطار

ان الرماح لاغصان وليس لها *سوى النجوم على العيدان أزهار

(ونظم الرئيس شمس الدين ابن المزين)

أنا أسمر والراية البيضاء لى ... لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل بى عيش العداة لانى ... نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاهمت الكماة بمحفل ... كلامهم فيه بكل لسان

فتخالهم غنما تساق الى لردى ... قهرا لمعظم سطوة الجوبان

(ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة)

عروس سنانى حين تجلى على العدا ... وتظهر تبدى مالهم من بواطن

وقد صيغ من هم فبين صدورهم *يحال له رحب فسيح المواطن

سيلقون يوم الجمع عين الموتهم ... *بطعنى ويوم الجمع يوم التعابن

وان شهدوا بالجور فى وعدلوا *فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين ابن الآمدى سامحه الله)

النصر مقرون بضرب أسنة *لمعانها كوميض برق يشرق

سبكت لنسبك كل خصم مارد *وتطارقت لعاندية تطرق

أنها تقف فى الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تاكل افراخ جارها ويقال انها طير شاء وفى طبعها أنها لا تخاف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فاخبرته بامرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بجدأة قد طرحت كيسا أحمر فيه تمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل بخالها الجهة اللسع ثلاثة أميال أمرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمندر ورأسها يشبه رأس الحجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كفى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى بردينك *ان الامير ناظر اليك *وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة حسن من تلك ملونة واذا مشت تمأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء *(حمار أهلى)* معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس وزنوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو بحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفور ا وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام والناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض *فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عيرهنى من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويعنى أن أكون جبارا فى الارض وقال آخره وأقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها سرتعا وكان حمار أبى يسار مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود دخل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة *ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركب الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغى لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابى الحمار بئس المطية ان أوفقته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطىء فى الغارة لا توقى به الدماء ولا تعهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

فان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فأخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا باصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله * (حمام) * هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يغلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير و يعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب ونحو فمن الشواهين أشد من غيره وهو أطير منه ولكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما و يحب الملاعبة والتقبيل و يسعد اتمام أربعة أشهر و يحمل أربعة عشر يوما و يبيض بيضتين و يحضن عشرين يوما و يخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا باس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه جل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان و يبيض فيه و يفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا يبع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق * (الحواص) * دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة و يقطع الرعاف و يبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصينى نفع من الحصاة * (حرف الخاء) *

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الأبابيل و يقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعندها ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب البرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر البرقان و يلقيه فى عشه لتوهمه أن البرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب

ظهورها أو الحوايا أو ما اختاط بعظم * (وممن أصاب الغرض بالغازه فى القوس) * الشهاب الاعرجى بقوله ما عجوز كبيرة بلغت عمـ * ـرا طويلا وتنقم الرجال قد علا جسمها صغار ولم تشـ * ـك سقاما ولا عراها هزال ولها فى اليمين سهم وقوس

زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمه العدو الازرق ينسخن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنسخهن محقق * (وقلت) *
أنا رمح رراع الافق يخشى من سموى اليه يوم الطعان واذا أنكر واعد آلة قدى * يوم حكم جرحتهم باسانى وسنانى

كالبرق بل صار منه * قلب سيف البروق فى خفقان
رمحه للزدين ينسب لكن * صاح لما علاه يال سنان
* (مجير الدين بن تميم) *
لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا * فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل
* (ابن شرف القيروانى) *
وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى * فبان بأطراف الاسنة شائبا
(ذكر) الثعالبى فى لطائف المعارف ان أول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميرى واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر * (قلت) * لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولو أن رسالة القوس مشتملة بكما لها على اصابة الغرض لا نتهاهنا ولكن جمع فى نظم عقدها بين الجوهر والعرض و براعة استهلالها غاية لا تدرك * (وهى) * و يسالونك عن ذى القرنين قل سا تلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا (ومن) غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حلت

فى ساعة * محصل لك الغرض (ومن الغايات التى لا تدرك) لغز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى الكشتوان ما رفيق وصاحب لك تلقا * معينا على بلوغ المرام هو للعين واضح وجلى وتراه فى غاية الابهام (قلت ومن نظمى فى القوس) قوسى اذا جذبته يطربنى * بحس عوده وتحريك الوتر ونجم ذاك السهم ان فوقته * برى له فى طارة لبدر أثر (الشيخ جمال الدين بن نباتة) فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظا ياضنى قلبى عليه لعوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه * (قلت) * لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد للفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها ومجرى السوابق الذى جعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على ان أورد هنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن ما يحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد فرس

الناس فعند ذلك يأخذ من به البرقان و يحكه ويستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته و يفتح عينيه * (لطيفة) * قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تتمنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون باقوالهم * (الخواص) * مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع * (خفاش) * طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه الصلاة السلام لما سأله النصارى فى طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر * (خنزير) * حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك واذكر منها يطارد الذكر منه فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا و ينزو اذكرا اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع مالا قاه واذا التقى نابا من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بعد قلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا * (خنفساء) * دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة * (فائدة) * قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطير فى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة تفرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بها فاخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ * (الخواص) * اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذ بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر * (خيل) * جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس وعلى رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا فضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تغاد على ظهرك و بصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين ان فرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة

سماء فواصل فليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازى والمشطر (فالمرصع) عبارة عن

الحريري في المقامات يتابع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو أن يأتي المتكلم في آخر كلامه أو في بعضه باسجاع غير مترتبة بترتيب وضعية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآمال * (ومن أمثلته الشعرية قول أبي تمام) نحلي به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به غمدي واورى به زندي (الثالث المتوازي) وهو ان تتفق الالفاظ الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريري في المقامات وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع السجع المطرف) وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام يمدح أمير

فرس الرحمن وهي المغزو عليها وفرس للشيطان وهي التي تسابق عليها وفرس للانسان وهي التي جعلت للغيلاء وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله والقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أنثى من الانثى ولا يرد على ذلك ركوب جبريل في قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فاعمى الله عنهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهي أصناف منها الصافنات وهي التي اذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى في الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما فافاتته الصلاة قبل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدي وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الماء الكدر فرحابه فانه يرى شخصه في الماء الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر وقد قيل في الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
ربطناها فاثمرت النعالا * نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل مادب على الارض وأما التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفوله يوما واحدا من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لي رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقي من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخي يا عزرائيل امهلني حتى يفرغ قال ليس في أمر ربي مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع في التعبدة شهرين وثلاثة ثم يأتي فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فاكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت * وأما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الجزع وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الالوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب في وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب في وجهه كافر وروي أنها تخرج ذا انقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس في البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفي حديث الافك ما علمت لها قضية غير انها جارية حديثة السن تجن وتنام فتاتي الداجن فتاكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهمة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع عض يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل باثناه وتضع جرواحدا وتصعد به الى أعلى شجرة تخوفا عليه من الغيم لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه في الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهي من الحيوان الذي يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب

ذلك كثيرة فى الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه فى مهد يأطم الارض بر وينزل من السماء بخبر انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الاولين وزيادة الثلاثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لا يكون أكثر من المثل مثاله فى القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى (ومثله) فى الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن كقوله الصاحب ابن عباد فى وصف منهزمين طاروا فى بطورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور (ومنه قول الصابئ) يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك *(ومن فوائد الانشاء)* التى يتسع فيها المجال على المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون

يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفاس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحد الا قتله *(دجاجة)* وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها لحم وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أعياب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاءه فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج النثى يزيد فى العقل وبصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر *(دج)* طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه *(دود)* اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يمكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق لذكره مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما حرفة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

(وقال آخر)

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حمد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى لطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ما تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المصلون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الشعبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله

ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس المثنى بين القرائن و نزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى (١٠١) بينهما السكون وصار الاعراب مستترا

الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله *(نادرة)* قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فارادت المرأة تحكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بابى اسحق الى هذا القدر فارسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلات الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء *(وحكى)* أن المنصور كان جالسا فالح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشر من ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله و يامرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقى عليه براية الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاءدو أبو ثمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه و يحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها و يفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه و يتقى * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى و يطاول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذ خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أسد بعض على عظم الا و يسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفار فيقبل عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب وذاهجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها المعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلق ابريشه وجزه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما سار وا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسعة فلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان

فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشئ (ومن ذلك) ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة (كقوله تعالى) والضحى فالضحى أميلت وكتبت بالياء حملا على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة والشمس وضحاها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قوارير اصرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك فى

الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما جاء) من ذلك فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الاصل عين ملمة (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه)

ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والاصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس في حقه الا أنها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (وفي الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظا لمشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر) قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أرادوا خيطوا لي جبة وقميصا وذكره بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير اخلال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة فصاحة الريح المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام

بقي معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر * (رخم) * طير أغبر أصغر من الحدأة معروف وهو من أشر الطير وزعم بعضهم أن سبب ذلك ما قيل في بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت عوته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

* (حرف الزاي) *

* (زرافة) * حيوان غريب الخلقة لما كان ما كولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهي ألوان عجيبة قيل انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فيتزو الضبع على الناقة فتأتي بذكر فيتزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة * (زنبور) * حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة في بنيانه بيته وذلك أنه يبني مربعا له أربعة أبواب لكل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفي طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه اذا وضع في الزيت مات وفي الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخيه

* (حرف السين) *

* (سعلاة) * نوع من الشياطين قال السهيلي هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفار قال وربما صادها الذئب وأكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركوني فقد أخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها * (سمندل) * حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض في النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت في النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكي) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت في النار وأوقدت ساعة ولم تحترق * (سنجاب) * حيوان كهيئة الفار يوجد في بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق * (سنور) * حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كما وأسماؤه كثيرة * (حكي) * أن اعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيط والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بما تة درهم فقال انه يساوي نصف درهم قال فربحي به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج في زمان الشتاء في شهرين منه وتراهن يترددن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة تخجات وذي عيرة هاجت حينه وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب في انتنه وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان في بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسري في جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفار فاذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه ونخذيه * (سوس) * هو دود الحبوب والفاكهة * ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدي بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

* (حرف الشين) *

* (شادهوار) * حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت

فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فمن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانتبوا ريثما تجلى هذه الغمرة وتجوم من هذه

الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شيء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال انه من الحيوان شيا يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه *(شاهين)* طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به *(شحرور)* طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة *(حرف الصاد)*

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء *(صعو)* طير من صغار العصافير أحمر الرأس *(حرف الضاد)*

(ضان) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض الفصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ودبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرا نحاعظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها ألية في صدره وأليات في كفه وأليه على ذنبه وربما نكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها انها اذا تساقدت وقت الطرلا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم *(ومن خواصها)* أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد في المني والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضان الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله أعلم *(ضب)* حيوان يجعل جحره في الارض الصادة وعنده بلم فربما لا يهتدي لخروجه منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كدية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال أنه لا يشرب فانه يبول في كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها تدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروي بينه وبين الافاعي مناسبة وذلك أنه لا يخرج زمن الشتاء *(فائدة)* قيل ان أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب فقصده وقال لولا أن تسميني العرب بجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يا رسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال

السكره فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبي نصر العتبي

دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهن في تفاريق أعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومثله) قول الصابئ

نزغ به شيطانه وامتدت في الغي أشطانه (ومثله) قول بديع الزمان

كأبي لي البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضي الفاضل

ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمام عمامه وأنامله اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (قلت) ويعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مدمة سرية كشف الازار في مقاصده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف (ومثله في الحسن قوله) في صدر مثال شريف سلطاني أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها

والاسنة قد طمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدده وعديله عن مكانه (ومثله في الحسن) ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قراسوف

الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما نمضت عنه فى أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت توبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما رحت تنفض ريش أجنحتها للاطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل المقر أن تخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بارضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا لاشتغال الدولتين بالدخول فى تماهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل من جس العيدان فى كل خارج ويدهمه من ابن أبى النصر أبناء حرب شرف فى انساب الوقائع جدهم ورد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى آمد تلالهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة فتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسكانها مجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم فى الواقعة وما خفى عن كريم علمه ما جمعه الناصر من الجموع التى فرقها الله أيدى سبا وكم سأل سائل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك العصير بالنبا وقد أشار منشئ دولتنا الشريفة الى ذلك فى قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله

الاعرابى عند ذلك يا ويلاه ضب اصطادته يدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولانت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى ودخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى يا حبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص قال من قرأها تلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال يا حبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه أعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف لك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى *(الخواص)* قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا *(ضبع)* حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشربه زال سحره *(ضفدع)* حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل الاعضاء واذا نتق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لا سبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ما جف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء فيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم *(حرف الطاء)*

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر فى أيام الربيع ويمحو ريشه فى أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما *(فائدة)* قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاءها ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طاعت أو راقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طاعت ثم تها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثم تها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا نوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كالخنزير ثم يطاب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قبل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير *(حرف الظاء)*

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى

يا حامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر والله ان الله نحوك ناظر * هذا وما في العالمين مناظر زحف على المحبوب نظم عسكرا * وأطاعه في النظم بحر وافر فانبت منه زحافه في وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطا لك دوائر وعلى ظهورا لخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر (وماخفى) عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لماحاق بهم المكر السيئ فاجابهم الصدى ولم يكن في حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره حتى أظهرنا بالوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان البصره وأخذوا سريعا بشبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المعامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظاهر لحراب بهجة الابهاتين القبلتين ولوصلت السيوف لغيرهما ماقبلت أوصرفت العوامل الى غير نحوهما اما عملت فقد فهمنا كريم الالتفات الى أن تدارك وس الانشاء بيننا بما زوجة بصافي المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة في شرع الاخوة ولهذه الاحكام عندنا عمده وقد سابق القصد اليوسفي بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة في نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطورها في رفاع الاخوة

* (حرف العين) *

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فاتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا ياتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم * (فائدة) * نقل القرطبي عن سيدي أبي بكر الطرطوشي رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى * (عقرب) * ومن الحشرات قال الحافظ انها تلد من فمها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فاكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والحنافس تاوي اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بئزري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين واسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يارا قدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يا تيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر وابس ذلك الغلام مسحا ساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

(١٤ - ف - نى) تحققه وتصديق ما يقصه في كريم جوابه فان القصة اليوسفية ما برحت مصدقه والله تعالى يمنع الابصار والاسماع بمشاهدة أمثاله وطيب أخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهي ثماره ان شاء الله تعالى انتهى ما دنت قطوفه من ثمرات الاوراق

وحلا فى الاذواق السليمة وراق *(وهذا ذيل ثمرات الاوراق)* للامام تقى الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهى محاضرات لا يستغنى عنها وعلى
يعول فاذلك ألحقت بالاصل فى الطبع (١٠٦) وجعلت تتمة للاول *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (يحكى) ان هرون الرشيد حج ماشيا وان
سبب ذلك ان أخاه موسى الهادى كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء ففنت يوما وهو ومع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ما شأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع فى قلبى ان جاريتى غادر يتزوجها أخى هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكانا فداؤه فقال ما يزيل هذا ما فى نفسى وأمر باحضار هرون وعرفه ما خطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى أن يتكلم به فى تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحالف لى قال أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فاحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الا شهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى الجارية يخطبها فقالت يا سيدى كيف بايمانك وأيمانى فقال أحلف بكل شئ حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا لهيئته وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيضع رأسها فى حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هى ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة فقال وهو يقول أخلفت وعدك بعدما * جاورت سكان المقابر ونسيتنى وحنثت فى * أيمانك الكذب الفواجر فظلت فى أهل البلا *

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأرقبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالجحائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه انى ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم *وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملها معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرط له ذلك *(الخواص)* من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الانزرج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته *(عقعق)* طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا لما كن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخطاف لا يفسده *(الخواص)* دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع الفصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (عاق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بمن فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رأسه فى الحال *ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل بيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة *وحكى الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلوا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته *(فائدة)* قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا نخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت

وغدوت فى الحور الغرائر وتسكحت غادرة أختى * صدق الذى سمالك غادر لا يهنك الالف الجديد * ولا ندر عنك الدوائر ولحقت بى قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر والله يا أمير المؤمنين فكأنها مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسى ومازالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن الى وصف السكن أخبرنى شمس الدين محمد بن فراج الحسينى أخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت فى المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مزدوجة وكانا شى فى طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقنى فقال ليس المشى برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشى أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا فى الحديث فسألنى ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شئ من هذا وشئ من هذا فقال ما يدعى دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدنى وكنت قد عملت قصيدا عجازا وكنت أستجيده فانشدته الى أن بلغت قولى تركوا بماء النيل ماء سلسلا * وترشفوا ماء الثمار مكدرا فقال لى لا شئ فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافى قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لا خير

فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب فقال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هنالك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم تلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هنالك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال لا عليك زوجينى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها مرحبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى تزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حسين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلو ولنعومته لا ينسج عليه فامرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلو ويبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بها مها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من ما ئة شئ فعملت ساحتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى فخذها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيا قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة * (فائدة) * نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عروة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه * (الخواص) * نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به * (ابن عرس) * حيوان معروف وهو بارض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فار فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فاخذته أنثاه ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويأتى به * (عجيبة) * قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما ربطه به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فافلته له

* (حرف الغين) *

* (غراب) * وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى فى طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتنفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريرى

يا رازق الغراب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقع من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه

ولا مير قال لى ثم بعد ذلك بشهر رأيته فى المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفنى ثم قال هل تعرف من الشعر الميشوم شيأ قلت نعم قال فانشدنى وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفى بالنزلة فانشدته اياها لله ما أشكوه من نزلة * قد ضر منها ضيق أنفاسى ومن صداع ضقت

لما رسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء وجد في طريقه رمة فوقعا عليها وتركا ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم * ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقطا وأكل منها معه والذئب لا يضره * (الخواص) * اذا غمس الغراب في الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلي به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صرفي خرقة على من به السعال زال * (غرغر) * دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنهم الارانب وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

* (حرف الفاء) *

* (فاختة) * طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفي طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها في البيوت وهي من الحيوان الذي يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة * (الخواص) * دمها ينفع من الآثار في العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها * (فارة) * وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجده قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهي التي قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتي الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت في فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلوها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه جمرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة في اناء فان لم تشربه فهي منهم * (الخواص) * عينه تشد على السائي يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار * (فرس البحر) * حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره * (فهد) * حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد ابن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني * (فيل) * حيوان يوجد بارض الهند وكنيته أبو الجماجم والانثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا بلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل وهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثديه في صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما طن بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة منّ وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده ببعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان ستة بطنين حتى يخرقان خرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا مخرية ويقوم خرطومه مقام عنقه والحرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أو لجة في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور * حكى عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه

ذرعابه * باثت يدى منه على راسى فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما فاعجب الى داء عن قد عزا * بثالث من داء فلان (وحكى) في مرآة الزمان وغيرها في ترجمة الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فحدثتها بابيات فلف كفنه ورمى به الى وقال لا تستقلن معروفا سمحت به ميتا فما سيت منه عارى البدن

ولا تظنن جودا شأنه بخل من بعد بذلى ملك الشأم واليمن

انى خرجت من الدنيا وليس معى من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) انه كان ببغداد شخص يعرف بابى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار في غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبي القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل ناجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد ورد ناجر من نصيبين بماء ورد في غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله في الزجاج المذهب ووضعه على رف في صدر البيت ثم دخل الحمام بغلس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهي أن تغير مداسك فانه في غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته فادر

وكان القاضي دخل الحمام يغتسل فقد مداسه فقال الذي ليس مداسي ما ترك عوضه شيأ فوجدوا مداس أبي القاسم فانه معروف فكتبوا بيته فوجدوا مداس القاضي عنده فاخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فاخذ المداس وألقاه في الدجلة فغاص في الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبي القاسم والظاهر أنه سقط منه فحمله الى بيت أبي القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذي عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح واستقراه أفقر في هذا المداس ثم قام يحفر له في الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا أنه نقب فشكوه الى الوالي فارسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى أن غرم جملة مال فاخذ المداس ورماه في مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبي القاسم فحملوه الى الوالي وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبي القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شيء فاخذ المداس وجاء به الى القاضي وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال أشتهي أن يكتب مولانا القاضي بيني وبين هذا المداس مبارأة بانه ليس مني واست منه واني بريء منه ومهما فعله بي أو أخذه به ويلزمه فقد أفقرني فضحك القاضي وصالحه

فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم اني رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لي في رؤية الفيل
رأيت بيتا له شيء يحركه * فكدت أفعل شيأ في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسهم الا الهرب بانفسهم ويتركونه * ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جهته والآخر في يدراكبه فاذا أراد شيأ غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك (قيل) خرج كسرى ابرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخزا رقيل ان الفيلة لا تتسافد في غير بلادها * (فائدة) * من قرأ سورة الفيل ألف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظالمني وأساء الي ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فاهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما * (الخواص) * جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقي انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

* (حرف القاف) *

* (قاقم) * دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب
* (قاوند) * طير يكون بساحل البحر بيض في الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا كرامة له لانه يقال انه يبر والديه * (خواصه) * انه يقيم المقعد ويحال البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب
* (قرد) * حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدي للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يحرز النعل ويبصر القرطاس وهو وغيره وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف * وما قصرت عنه في الحكايه

* (قنفذ) * بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعي فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا ناداني منها ذهب فاكل السعتر البري فيزول أذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

* (حرف الكاف) *

* (كركند) * حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو معتمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبني آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين وتخرج ولدها نابت الاسنان

بشئ ومضى انتهى * (هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهى عزيزة الوجود) * وسرب كعين الديك ميل الى الصبا * روائح بالجادى سود المدامع
سمعن غناء بعد ما عن نوتة * من الليل (١١٠) ءالهن فوق المضاجع أيادهر هل شرخ الشبيبة راجع * مع الخفرات البيض أم غير راجع

والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر
فاذا شبع أدخل رأسه فى بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى
يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبته وزهر بأسه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة
للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ * (كروان) * طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا
فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة * (كركى) * طير محبوب للملوك
وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان
اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا طويلا حتى يفهم انه يقظان فاذا نامت نوبته
أيقظ غيره لنوبته قال العزيزى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه بالاخرى قليلا خوفا من أن يحس
به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية * (كلب) * معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى
وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى
طبعه اكرام الاجلاء من الناس * (حكى) * أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على
زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين
فانشد يقول

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فوا عجبا للنخل يهتك حرمتى * ووا عجبا للكلب كيف يصون

* (وحكى) * أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظر والى الناس فتبعه كلب له فضربه
ورماه بحجر فلم يلتفت ولم يرجع فلما قعد بعض الكلب بين يديه فجاء عدوله فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه
فاذا بثم هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما
وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه
فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه ورددوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبر اودفنه فيه وجعل عليه
قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

* (ومن ذلك) * ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه
وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شانا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك
الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فاقر بقتله فقتل وهو من
الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا
وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما
بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فوقع أسد أو طلقه
عليه فنهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبهه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته
ويؤنس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل
أولا كلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا
من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام
أحمد فاحتقرت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذا لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج
عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجا من ارتجاه قطع الله رجاءه
يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فثبت أن
أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله * (فائدة
أخرى) * قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها

قنعت بزور من خيال بعثته * وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة * لتطفى جوابين الحشا والاضالع
تقول رجال الحى تطمع أن ترى * لليلى وصالا من بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك يا ليلى عن العين انما * أراك بقلب خاضع لك خاشع
وما ثم ليلى ما حييت بذائع * وما عهد ليلى ان تذاعت بضائع
* (ومن غريب ما يحكى) * أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبد الملك بن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى امية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد بن ابنها ويزيد بن الوليد بن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها معاوية بن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى * (وجد بخط قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن حجر حافظ العصر) * قال وجد بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى

نحلة الملطى قال أنشدنى القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه فى الاهرام سنة خمس وخمسين وستمائة وأجاد
أمبانى الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه أذكرتنى قولا تقادم عهده * أين الذى الهرمان من بنيانه هن الجبال الشامخات

الكلب

تكاد أن * تمتد فوق الافق عن كيوانه لو أن كسرى جالس فى سطحها لاجل مجلسه على ايوانه ثبتت على حر الزمان و برده * مدد اولم تاسف على حدثانه والشمس فى احراقها والريح عن * دهبوبها والسيل فى جريانه هل عابد قد خصها بعبادة فبانى الاهرام من أوثانه

الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمان اليه وألفه وصار يحرسه و بقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه *(فائدة أخرى) *قيل كان كلب أهل الكهف أبيض واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير و براق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) *اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

*(لغلغ) *طير معروف قيل انه من طيور الفواخت و يأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق و يأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده *(حرف الميم)*

*(مالك الحزين) *طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

*(نمل) *قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولتيهت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها و بناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فعلمت فيه مزرنجا أو كبريتا هجرتها والله أعلم *(نحل) *حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شانه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت و بعضه يعمل الشمع و بعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وماتات منه أخرجه و رماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى *(فائدة) *قيل مرض شخص فقال الاطباء بماء وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى *وروى أن شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فامره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فامره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى

أوفائل يقضى برجعة نفسه
من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها المكنوزة لجسمه
قبر اليامن من أذى طوفانه
أوانها للسائرات مراصد
يختار راصدها أعز مكانه
أوانها وضعت بيوت كواكب
أحكام فرس الدهر أو يونانه
أوانهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر فى تبيانه
فى قلب رائيها اليعلم نقشها
فكر بعض عليه ضرس بنانه
(يحكى) أن القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه فى ذلك فقال
يقولون لى فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وانى اذا ما فاتنى الامر لم أكن
أقلب كفى اثره متندما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لى سلما
وما كل برق لاح لى يستفزنى
ولا كل من فى الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها
مخافة أقوال العدا فيم أو لما

ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * كذا فليجل الجهل قد كان أحزما ولو أن اهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما ولكن أهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما قال شيخ الاسلام تاج

أشرت اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى فى أجوبته عن الاعتراضات التى على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبى نواس

أباح العراقى النبيذ وشربه ... وقال حرام منه المدامة والسكر

وقال الحجازى الشرابان واحد ... فحللت لنا من بين قوليهما الخمر

ساخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألنى الاديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها أن العراقى وهو أبو حنيفة رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهى الخمر أسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شئ وأن الحجازى وهو الشافعى رحمه الله قال الشرابان واحد فاخذ أبو نواس بالموجب فكانه قال انهما واحد ولكن فى الحل لا فى الحرمة واليه الاشارة بقوله فحللت لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء فى التكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به أحد ولعله أشار بقوله ساخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على ما زعم يشرب بهما وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف يمكن أن يقال انه يعتقد (هدهد)

الحل وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لا يحتج بها فى دين الله تعالى (اعتل)

الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيه اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى * (نادرة) * قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الاطفاء جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بنى هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته * (الخواص) * اذا خلط العسل الخالص بعسل خالص واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم * (نسر) * هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب فى يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه فى تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض فى الاماكن العالية ويبقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفحل حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم شعم وفى الحديث أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة * (الخواص) * اذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهيبا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها * (نعام) * يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بام البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تاكله فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها * (فائدة) * روى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها فى شئ اما شعب أو بحر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والحجر وفى طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هرب وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعى وسأل أبو عمر والشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة فى خلقه ويقال ان أنثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحيث لا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفى طبعه عداوة الاسد وعنده شرف فى نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يعلك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون * (الخواص) * من حمل من جلده شيأ صار مهيبا عند الناس ومن كان به وسواس فجلس على جلده زالت وساوسه * (حرف الهاء) *

(هدهد)

وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لا يحتج بها فى دين الله تعالى (اعتل)

ذوالرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان فى العلل النعم مالا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة وذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اه حكى عن ابن المبارك أنه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف اذ عييت فجلست أستريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد الحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فاخبره أن النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور الى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانيا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستغفرت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فنمت

(١٥ - ف - نى) فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى فهو حق فقلت يا رسول الله أريد بذلك علامة ألقاها بها فاخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسى شيخ زمن قد أتى عليه

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه *(الخواص)* اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنق يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنقه قال بعضهم انه يقول فى صياحه *لدوا للموت وابنوا للخراب* والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا ولا يتهم اذ خلقوا اعملوا لما خلقوا ولا يتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(ياجوج وماجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث ياجوج وماجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أوائلهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل لغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من ياجوج وماجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بالردم فقال صفه فقال يا رسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا البنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجىء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة *(يحمور)* دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر

مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيميني على رأسه ومرجها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطري جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجي وحللت عقدي وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسي فقلت ياغلام استأذن لي على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيارف قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت ياقوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم في الحساب فسلمت كما أمرني النبي صلى الله عليه وسلم فرد علي السلام وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبي ادن مني فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وماهي قلت أرى أن أخلو بك ساعة ثلاثين

وقيل هو كالايل يلقى قرنيه في كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي *(نادرة)* قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق وانى رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وماهي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وماهي قال اذا ركب الجني انسانا فما يعمل له قال تشد بها نمليه بسير من جلد البحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفر قا ودخل الانسي ففعل ما أمر به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا تفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتوني بسير من جلد البحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهامها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفي الله تلك الشابة

(فصل في خواص الطير والحيوان على الاجمال)

الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذي عين فان أهداب عينه في الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المنهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *(الباب الثالث والستون في ذكر نبذ من عجائب المخلوقات وصفاتهم)*

ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم ترقعة ومنها ما له أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عوى الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فذلك مسخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتي مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة

فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فخرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة

وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيأ استوجبت به من الله الجنة قال لا أدري الا أني رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيأ صالحا لآخرتك قال قسمت ليلي ثلاثة أجزاء أما الجزء الاول فاني أقعد للمسارة وتقرأ على سير الاول فانفرج بذلك والجزء الثاني أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه في أمر معاشي ومعادي وأمنع نفسي عن النوم في ذلك الجزء فان النوم فيه جهل ودخول في دماء الا لضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا قلت يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فبم استحققت يا جار ام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لي بالجنة وأنت عالم المسلمين من أخبرك بذلك قلت أخبرني الصادق الامين الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فما القصة فحدثته بالمنام الذي رأيته وبما قاله النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن مني فدنا فمسحت بيدي رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا طريا سميعا بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك يا شيخ أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال يا شيخ أخبرك السبب الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فاكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فلما كان في بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه

ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى أو دبق كان ياخذ الفرس تحت ابطه كما ياخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذله درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كانها قطعة من جبل وكان ياخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا وضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها لاجسامه واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتهما مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجلهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حضر بنو اسرائيل في التيه ذهب فاتى بقطعة من جبل على قدرهم واحملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله له طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهوا عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع وكل أصبع ظفران كالمخلبين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فدفعتها الى عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكاثرت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فارسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين (ومن ذلك) ما حكي عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان ياخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فاراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يا كلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وتركا حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن لي ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فاحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فاخبر أنهما يختصمان في بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ما ذكر أنه أهدى الى أبي منصور السامانى فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور والدبركي وذكر أنه ولد للقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طفطوفولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولدا ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت

فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أنا امرأة من جبرانك فاوقدلي هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت في أمري وقلت ولم أنبه أحدا فاسرجت لها (١١٦) السراج فانصرفت وأطفأت السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفا فاسرجه لي فلما أسرجته

قالت يا بهرام والله ما جئتك لاجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شهمن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاورن كالمرأة الثكلى أو كالحية في المقلى فان كان يبقى في دارك فضل طعام فاعطني فانك ان شاء الله تعالى بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة فاخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شئ كان في البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملي هذا الى عيالك واقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يا بهرام أعني أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد فقلت يا هذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي فشالته واستقل على رأسي فسألت عرفي حتى صرت في منزلها فحطت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات الى أن شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن

فلما أردت القيام قلن باجمعهن يا بهرام أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا وفرحك عندهن يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وأنزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دار الجنان وأنا أقول آمين ومازلت أرجو

ولدين وأما كبش بار بعة قرون ودجاجة بار بعة أرجل وحيوان برأسين والخروج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه ومن ذلك) نسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع بحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في ثلاث السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان وهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبراس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فثقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها وداثر عليها كالازار فاخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يديها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فالقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فاقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكانوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فاخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فاما أحدهما فوثق بصاحبته فاطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كانه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فاطلقها فاغفلته وألقت نفسها في البحر فتاسف عليها تاسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا في وجوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية ما ذكر ابن زولاق في تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كانها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فاقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا بلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر فكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درشم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل فقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص وينقب الياقوت والهولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن في ماء

استجابة دعائهن قلت يا بهرام أبشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو انك تفرغ من دلوك في اناء أخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام في ذلك اليوم بمائة ألف درهم (١١٧) وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات وبالفي ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته وأسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا حتى توفي رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(روى عن سعد بن سعيد) أنه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من أبناء الاغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقي له مال جسيم فلا تظن انه عديم فاصبر بمصادرته ثانيا فلما علم المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال ان لم تخلصني آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال يا إله ابراهيم وعيسى ومحمد وإله معروف وياً من لا إله الا هو تحققت أن ما عبدته من دونك

عندهن فيجبان من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذي بنى افريقية وسماها باسمه وأنه وصل الى وادي السبت وهو واد يجري فيه الرمل كما يجري السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام لي يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الامة التي لا رؤس لهم أعينهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم * وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك في سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في احداها تمثال الارض فاذا النوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد في التمثال لا يسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فيمل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل اذا أراد أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه على أي حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفي الخامسة ازرق من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا ازدادوا على الالف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها براوبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبرما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فصال بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسر وا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم

باطل لا يضر ولا ينفع وانى جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بان لا اله الا أنت اله الاولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شئ قدير فاغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي واسرافي ولا تنظر الى سوء عملي

ومعصيتي واصرف شر الخليفة واعوانه عني فقد وجهت وجهي اليك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد شفعت بك الى الله فاقبلني ثم سجد وأطال سجوده (١١٨) وهو يناجي ربه ويبكي فاتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكرا في أمره لا يتحقق من هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي باسمه ونسبه فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي انه في مسجد معروف فوالله لا باس عليه فان الخليفة قد بعثني اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنه ويرد عليه ما أخذ منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى في المسجد أحدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذ منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك اني أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وانى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فاما وصلوا الى دار الخليفة وادابه واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه وأقعدهما الى جانبه وقال وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالاموال التي أخذت من المجوسي فاحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تامل هذه الاموال أليست هي

من يسترق السمع ومنهم من يخطف بالنار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا اعلاهم ملوكا وقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وقتل الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معهما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد ولكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يا رب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل في مكايده لعنه الله) (منها) انه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جارية بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا يدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك علينا حق الجوار وان له بنتا مريضة فلو أضرك لو جعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جار بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شطيت فجاءها ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءها ابليس لعنه الله فقال اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضهم ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وكانوا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشيء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتحاورا ومعه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال له اما غضبت لله غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك * ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة)

* منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكي) بعض المسافرين أنه عرض لركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من في المركب * ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكي) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فاقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تزيراب السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه * ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بانفسهم (حكي) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فاتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة له المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتي والله اني لا علم انه شيطان

التي أخذت منك قال نعم قال نفذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني واستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الاموال فهي لك حلال بعد أن هداني الله الى دين الاسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك الى طلبي هذا الرقت ورد هذا المال علي قال نعم كنت نائما واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل علي ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسي كما قد دعوناه في الذر فاجابنا وكان في المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن الى تائبا وعما كان منه نائبا وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيرا بجنابنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فارسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال وانداه واأسفاه واقهاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشئ أمرني ربي باخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في المال أشهدك اني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لاحظ لي فيه ولا لاحد من أهلي فقال الخليفة يا معروف بقي الامر اليك فاجعل المال

وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدي الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر * وقال بعض المسافرين بقي لي غلام فخرجت في أثره فاذا أنا باربعة يتشاحدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامي قال كعلمي بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتاني بالغلام مقيدا فلما رأيته غشي علي فلما أفقت قال انفخ في يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ في شئ من ذلك ولا في وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه * ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لي قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتي وضللت عنهم فبينما أنا سائر في أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فمشيت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني ههنا فهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار فقلت لها امضي معي فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذني ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلي ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتي فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان في الارض فقالت هاهو قد أتانا فنخت ناقتي وخطمات حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

ياذا الذي للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء وسلا ثم سر * وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فاجبته ياذا الذي للحين يدعوه الحتف * خل عن الحسناء وسلا وانطلق

* ما أنت في الجن بأول من عشق *

قال فتبدى لي في صورة أسد وجاذبني وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس مني قال هل لك في جزناصيتي أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتي أو ألف دينار الساعة وخل بيني وبين الجارية فقلت لا أبيع ديني بدنياي ولا حاجة لي بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءني منها أولاد * وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبي الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعة عشر ربعا فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول)

(الفصل الاول في ذكر البحار) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه

وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والايتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصاحبهم أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يجعل الله عما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخي الى أن مات تغمده الله برحمته (وحكي عن معن بن زائدة الشيباني) ان

شاعر اقصده فاقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها في الماء الداخل الى البستان فاتفق أن معنا كان جالسا في ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فاخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهي

أيا جودمعن ناج معنا بحاجتي ... تعالى الى معن سوالك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى مالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فامر له بمائة ألف درهم فاخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة ألف درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر أن يندم فيأخذ منه ما دفع اليه فسافر فلما كان في اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق علي لو مكث لاعطيته حتى لا يبقى في بيتي درهم ولا دينار (وحكي عنه أيضا) أنه أتي بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فامر لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ما تصنع باضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ما ندري أي يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فامر لهم بمال وكسوة (وحكي) أن المنصور أهدر دم رجل كان يسعى في فساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشي مختفيا

قوله تعالى وكان عرشه على الماء *(واعلم)* أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شئ ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نتلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فاقمنا شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فارسلنا له منه فاكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها التأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبي يخلع وسقطت على وجهي أنا وغيري ثم ألقت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعلت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة في البحر فارسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه * وقيل ان في البحر سمكة تعرف بالمنارة طولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقي نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن

فى بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فاخذ بجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ما شأنك قال بغية أمير

المؤمنين الذى أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه يا غلام انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره أنه عندى فانطلق الى باب المنصور فاخبره فامر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته وموالية وقال أعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال يا معن أتتجر أعلى قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائى فى خدمتكم فما رأيتمونى أهلا أن توهب لى رجل واحد استجار بى بين الناس وتوسم أنى عند أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فربما شئت ها أنا بين يديك فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يا معن قال فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحيا وأغنا

اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا انها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتاكله وانها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقاب الزوارق وتاكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النار نج الاحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضرب فى يدى فالتفت يدى بكم ثوبى وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك * قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كانها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها لحم كلحم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر الخيل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويأتى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لاصحاب النقرس فلا يجدله ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة ثمانية ذراع وأكثر وله أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذ دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تاخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهاروني من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تتجنى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يحبه نحو الغناء والصوت الحسن ويصيخ لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بذيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تاكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه فى بيوت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص

قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاعزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فحملها يا أمير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل

وقال له خذ صاحبك والحق باهلك وبمالك وبخلفاء الله فى أموره‌م (حكى الجاحظ) قال أخبرنى فتى من أصحاب الحديث قال دخلت دير فى بعض المنازل لما ذكر لى ان به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فصرت له لاسمع كلامه فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة فى زى المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثنى ان جارية من بنات الروم كانت فى هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فاحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا فى التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيأ منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمى عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لى الصورة فرأيتها فكاد ان يزل عقلى فلما دخلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها وما زالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها وتأثم ما تجب منها ثم تجلس بين يديها وتبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى ان أمست فماتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها فاخذ من خاطرها

منهم وسار فرأى صورا ملونة بالوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيل الابيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة لواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقهم من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا فاتبعه فقال ما لكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو ولا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حفر فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فاحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثبا منا زلاهار بين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان
ففاقلا أيها الكلبان * الى متى الى تحوريان

قال فاخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وسواه فعطفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع

من

فى يدها ما يتقربها محمد دنا الى الحائط نحو الصورة وقد كنت عليه هذه الايمان يا مولاى حسبك نفسى بعد سيدها فخذها الملك فقد أودت

بمافيها أسلمت وجهي الى الرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعبدها لعلها في جنان الخلد يجمعها * بمن تحب غدا في البعث بارئها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقى محبيها قال الراهب فشاع الخبر وحملها المساون ودفنت الى جنب قبر الغلام فلما

من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول *(النيل المبارك)* ليس في الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر *واختلف في زيادته فقيل ان لانهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الآثار الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور *(نهر الفرات)* يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات *(جيحون) نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه ما أمكن ليستقوا منها واذا اشتد جمود مروا عليه بالقوافل والفيل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين *(سيحون)* نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة ويمر بمدينة مع جيحون في بعض الاماكن *(الدجلة)* نهر بغداد وله أسماء غير ذلك ومأؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه *حكي انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فاخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروي في الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بارض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات *وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول *(نهر حصن المهدي)* قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه في بعض الاوقات شيء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شانه *(نهر أذر بيجان)* قيل ان بالقرب منه نهرا يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان في تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير *(نهر صقلاب)* يجري فيه الماء يوما واحدا في كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام *(نهر العاصي)* بارض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الداني ويسعى لها القاصي
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق في أكناف أذيالها العاصي

(نهر العمود) بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقي نفسه فينقطع (نهر باليمن) قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجري من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجري الى المشرق يشبه النيل في زيادته ونقصانه

أصبحنا خامنا جرهما فرأينا
تحت شعرها مكتوبا
أصبحت في راحة مما جنته
يدي
وصرت جارة رب واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا
فاسبي خليا من الاحزان
والكمد
لما قدمت الى الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
أنا بنى رحمة منه ومغفرة
وأنعما باقيات آخر الابد
(قيل) اجتمع الصوفية الى أبي القاسم الجنيد وقالوا يا أستاذ أنخرج ونسعى في طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع أربعة من الائمة الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو نور ومحمد بن الحكم رضي الله تعالى عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم مازالوا يصلون في المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعي مم تضحك يا أبا عبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن في البيت لقمة من طعام والآن قد وسع الله علينا قال الشافعي فما سببه قال أحمد قالت لي أم عبد الله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عليه الهيئة فذكى الرائحة فقلت يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال ها كم خذوا هذا فسلم الينا زنبيلا أبيض وعليه منديل طيب الرائحة

وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعي يا أبا عبد الله فما في الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد جعلت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأزكى من المسك ما رأى الراؤن مثله وخروف مشوى من عفر حار وملح في سكرجة وخل في

وأرضها الخصب والبركة وبها شجر كالدالية يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند في الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجري في بلادهم ثمانية أشهر ثم ينضب في البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثاني في ذكر آبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت في بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بي وسألني عن حاجتي فذكرت له غرضي فأمر يهوديا يذهب معي فيوقفني على البئر ويطلعني على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا وأنزلني فأمرني أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودي فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك *(بئر بروهوت)* بقرب حضرموت وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار قال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تاوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة *(بئر عسفان)* ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها فقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها *(بئر معرونة بارض حلب)* خاصيتها أنها اذا شرب منها الملكاوبز ال كلبه مالم يجاوز الاربعين وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروز وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها *وبارض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجري فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كنكرة في كف أحدكم وقال رواة الاثر ان الله عز وجل دابة في مرج من مروج في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك * وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلا عتدال اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتا آن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين

قارورة على الطبق ويقال وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شانه وأكلوا ما شاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الاكل حمل أحد ما بقي منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا وبقي منه شئ فاجتمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد ابن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل في بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضي الله تعالى عنهم وأعاد علينا من بركاتهم (قيل) ان عبد الله ابن معمر القيسي كان أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت ستة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا غزيرا فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر في الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسابا دياقانصت اليه فاذا هو يقول

أشجالك نوح جائم الدر
فاهمعن منك بلابل الصدر
أم ذاد نومك ذكر غانية
والذكر يا ليلة طالت على دنف
أهدت اليك وساوس الفكر
بشكوى الغرام وقلة الصبر
في ليلة نام الخلي بها
أسلمت من يهوى لحر جوى
وخلفت بالاحزان
متوقد كنوقد الجمر
اهبط
فالبدر يشهد اني كاف

بجمال شيء شبيه البدر قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول أشجاك من رياحيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر واعتاد مهجتك الهوى فأبادها * واهتاج مقلتك المنام البائر

نادیت لیلی والظلام کأنه * یم تلاطم فیه موج زاخر
والبدر یسری فی السماء کأنه * ملك تبدی والنجوم عساکر
واذا تعرضت الثریا خلتها * کاسا بها حث السلافة دائر
وتری بدا الجوزاء ترقص فی الدجا * رقص الحبیب علا سکر ظاهر
یا لیل طلت علی حبیب ماله * الا الصباح موازر ومسامر
فاجابنی مت حتف أنفك واعلمن * ان الهوی لهو الهوان الحاضر

قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالابيات أزم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجري على خده كالامطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي فقال ألك حاجة يا فتى قلت انى كنت جالسا فى الروضة فسمعتك فى هذه الليلة الاصوات فبنفسي أقيلك وبروحي أفدينك وبمالي أواسيك ما الذي تجد قال ان كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر ابن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة

أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام كمنه بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس وقيل غير ذلك (جبل المقدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أرونذ) بهمدان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل باشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر بحجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولقد تصرعلى ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثانى فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فاخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد * حكى الشعبي فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فما ذا الى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبني مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدني به قال فامر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا يطلبوا أرضا واسعة كثيرة المال طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هنالك أرضا واسعة طيبة الهواء فاعجبتهم تلك الارض فامروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا وارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذ لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها

يتهادين كأنهن القطا وفى وسطهن جارية بديعة الجمال فى نشرها بارعة الكمال فى عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت على وقالت يا عتبة ما تقول فى وصل من طلب وصالك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا قفوت لها أثرا فانا حيران أتنقل من مكان الى مكان

ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الارض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس وأنشد يقول أرالك بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم ترونني بالقلوب على بعد فؤادي وطرفي يا فمان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي واست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت في الفردوس أوجنة الخلد

قال فقلت يا أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا مبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الارتعاء أما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخفى من الناس أن الاجر همته * وما أنا طالبا للاجر مكتسبا
لو كان يبقى ثوابا ما أتى طهرا * مضمخا بلطيب المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلى بنا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرت به قالت يا عتبة وما تلك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال وما لها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السموءة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ربابة ابنة الغطريف السلمي فرفع الشاب رأسه الينا وأنشد يقول خليلي ربا قد أجد بكورها * وسار الى أرض السماوة عيرها خليلي ما تقضي به أم مالك * عرض علي فما يعدو على أميرها خليلي اني قد خشيت من البكا * نهل عند غيري مقلة أستعيرها فقلت يا عتبة طب نفسا وقر عينا فقد رددت الجارية

الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور والسباع وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما أكمل بناءها أمر في مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا في البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت في أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدني به بعد الموت وقد حصلت عليه في الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم في طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وانه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل في تلك البرية التي بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضيء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ * وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج في طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أدهله وحيره وقال في نفسه هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة فقصدها بأمان من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير في المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت في وعاء وجعله على راحلته وعزم على المدينة لامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية في اليقظة رأيتها أم في المنام قال بل في اليقظة وقد حملت معي من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل في القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وان الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتي والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المباني العجيبة الحورنق) الذي بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبني لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فالقوه فتقطع واسمه بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(ومن المباني العجيبة حائط العوز) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فاخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العرايش الى أسوان شاملا للكورة، صر من الجانب الشرقي وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فاذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لامفر من قضاء الله تعالى

(ومن المباني العجيبة الاهرام) وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألف ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها ما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا في

بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريديه أهل السفر ووالله لابذلنه أمامك وبين يديك وقبلك وعلى يدك حتى أوصلك الى المنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقدم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على نادبهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام

عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهي من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور للملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور * ولما وصل المامون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاه بيت وفي وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المامون بالكف عما سواه ويقال ان الذي بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا انه بناها في ستة أشهر وقال قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المباني العجيبة منارة الاسكندرية) التي بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة في الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تمثال من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة تجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان باعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج لياً منوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك * قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خيبة بها كذا وكذا ألف دينار فامرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بايديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنهم امكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحد عشر ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى * وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت

مائة قولون في عتبة وأبيه قالوا خير ان من سادات العرب قلت فانه قد رمى بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازل بني سليم من السماوة فقلنا أين منزل الغطاريف فخرج بنفسه مبادرا فاستقبلنا استقبال الكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا وأنت حييت ثم حييت أتينالك أضيافا فقال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يا معشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت في الحال الانطاع والنمارق والزرابي فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا يا سيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما أو تقضي حاجتنا وتردنا بمسرتنا قال وما حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب ابن المنذر الطيب العنصر العالي المفخر فطرق وقال يا اخوتاه ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وها أنا ادخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على رياو كانت كاسمها فقالت يا أبتاه اني أرى الغضب بينا عليك فما الخبر قال لها ورد الانصار يخطبونك مني قالت سادات

كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ان الخطبة منهم قال الفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا انه بغى عما وعدو بدل اذا قدر وبا كل ما وجد ولا يأسف على ما فقد قال الغطاريف أقسم بالله لا زوجن به أبدا فقد نما الى بعض حديثك

معه فقلت ما كان ذلك ولكن اذ قسمت فان الانصار لا يردون مرادك بهم فاحسن لهم الرد وادفع بالتي هي أحسن قال بارياقاي شئ أقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبرت قسمك وبلغت ما بك وراعيت أضيافك قال ما

أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا اخوتاه ان فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهرا مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الاحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة ناقة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت الغنم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام فاقمنا هنالك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال القطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عددا من رجالها وردها

الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجأة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المباني العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذوالاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافيه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فاخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته في بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء الملكية قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا نظر الرجل امرأته بزنا نظر في تلك المرآة غير صورة الزاني فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون في ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة الى مايذوب والى ما لا يذوب والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصيني *ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قبل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللينونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه *خواصه يقوي القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوي العين كحلا وبجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوي به لم ينقط ويبرأ سريعا وامساكه في الفم يزيل البخر *(الفضة)* قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلي بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول *(النحاس)* قريب منها لكنه أيبس وأغلظ في الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلي بالحامض زال صدؤه والاكل في آنيته يولد أمراض الادواء لها *(الحديد)* كثير الفائدة اذ منه من صنعة الارله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوي القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا *(القصدير)* صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه أنه اذا ألقي في قدر لم ينضج ما فيها *(الاسرب)* هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها *(الخارصيني)* يحمر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها في الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بما لقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح اذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطارة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان في بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين

وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الارض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا يا عتباه فسمعت الجارية فاقتحمت نفسها على سيدها وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

(الياقوت)

تصبرت لا أني صبرت وانما * أعالج نفسي انها بك لاعجة

ولو أنصفت نفسى لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه فما واحد بعدى وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفسى مصادقه ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاختر نا لها مكانا وجدنا وزارينا هما فيه ورجعت الى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ورددت الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فازوره فاتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لارباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العرفسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكى) ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال رأيتك فى المنام تنشد

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت قال فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة فانى سنى وهو شيعى وطويل وهو قصير وشاعر وليست بشاعر وأنا سلمى وهو خزاعى وشامى وهو حجازى فلم يبق الا ألسن فاعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظرف ما يحكى) ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش ملمع فقام الى وأجلسنى معه فما تحته فى القرآن فاذا هو ماهر فما تحته فى شئ من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به

(الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض (خواصه) أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجيعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أجمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة معلوسة برقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سر اذا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا عاق على العين أمن عليها من الجدرى على ما قيل (الماس) يوجد ببوادى الهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم يخرون الجزر ويلقون لحما فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك *ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل فى أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) ان الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الازرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بارض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود (خواصه) المتختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالحل تجلو قلح الاسنان واذا رضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل

 كامل فى جميع ما يراد منه فقلت قد وجب على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره قال فاتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الى جارية

وقالت ما تريد قلت مولاى جالس وحده فى العزاء مما يعطى لاحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تحدث غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكانى بك وقد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت جالسا واذا رجل عابر يغنى وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذا ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى ويقول

اذا ذهب الحمار يا أم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد ترقعه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة فوكان وقوف الرشيد على

الرخيم

انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر المساطيس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بارض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السيج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء وليسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من حديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحالة وخاصيته أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بارض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النارون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى فى العين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا يا نبى الله أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب ماله فوجد غلامه قد تفرقت ابله نضربه على يده بالعصا فعد الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا الكان كلاما تجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا تضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تختلع أوصاله مما كان يتنجب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند حلق العرش فيقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن

الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب ان الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصقوله الدم وتنموله النفس و يرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كره هو للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص و يطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه و يعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاياة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته و يتذكر نعيم الملكوت و يمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها و يبكون على خطاياهم و يتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر نعيم الآخرة وقد نحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

و زعموا أن فى البحر دوابا ربما مرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الالحان شهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا ربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها و ينتهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة و يسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها باصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب البحار وما فيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى براعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها و يسرها اشتعل منها ما خمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعالج به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تذوم النجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده * الى فاصل من صوتها يترجع

(و بعد) فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح
مبعد من حزن * لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

و بضم الميم مائة غلام وسلك البرية وهذا كتابى الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وأنفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب فى جيشه و يقبضوا عليه وجئنى به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله فى شقة اذا قيدته وتقعد أنت فى الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه الى أن تأتينى به واياك ان يشذ عنك شئ من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فبقيت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتى حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك قالوا بعض غلمانى فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن

أولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت باهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان طال واستربت به واشتد قلقى وخوفى من أن يتوارى الى ان رأيت شيخا بزى

الحمام يمشى فى الصحن وحوله جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيا وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمره فاخبرته كما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة فكل معنا فقلت مالى الى ذلك من حاجة فلم يعاودنى وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجؤا بمائدة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال تقدم يا منارة فساعدنا على الاكل لا يزيدنى على أن يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه فما عاودنى وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكلهم فى نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضا وذلك الاضطراب الذى فى داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين يديه شيأ قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا المنازل الدار جالى وجميع غلمانى بالمنع من الدخول فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدى ليس بين يدى الا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسى فقلت فى نفسى هذا جهد عنيد وان امتنع على من الشخوص لم أطق انتزاعه بنفسى ولا بمن معى ولا أطيق حفظه الى أن يلحقنى أمير البلد فجزعت جزعا شديدا وراب منه استخفافه بى فى الاكل ولا يسألنى عما جئت به وما كل مطعمنا وأنا مفكر فى ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بخور فتبخر وقام

قل للعجبان اذا تاخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه وما يغنى بقول حاتم الطائى يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

اذا انبسطت أنامله وربحت أطرافه * واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه وما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لما حللنا بواديكم

ولا باس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والولائم والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ما روى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدفان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ما عذا الله تعالى عنه من هنا تك فاسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمعته يغنى بالركبانية يقول

فكيف نوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى يوتهم وقد أجاز وا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لما لصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور * ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويجه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذانى الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج دواتا وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم

الى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل على وقال ما أقدمك يا منارة فقلت أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك

المثل رب جوهرة في منزلة * وكان لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء به فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فامر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابي حنيفة فاقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده. قال لا والله ولكنك بررت وحفظت * وكان عروة بن أذينة ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا البقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره و يحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني برودت برد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهي تغني فاقام يسمع غناءها فرآها مولاها فقال له هل لك ان تدخل وتسمع فابى فلم يزل به حتى دخل فغنته فاعجبته ولم يزل يسمعها و يلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسول لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف يعناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فاغمي عليه وكاد يهلك فقالت له اني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع في على فلك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني و بينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشا يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تاتي به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله في دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هل سمع ما في منزل الذي جعلته من حلمك ودلك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله اني لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلي فنبه فاختة وقال لها اسمعي مكان ما أسمعتني هؤلاء قوم يملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره أني قادم عليه فذهب وأخبره فاقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يدا وي الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذني عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغني فامره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذني من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعادفان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد غضب فقال ابن جعفر ابديح هات غير هذا

انه يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ولا يظهروا الى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يامرني بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا وما بي حاجة من أن يحبني غلام هات فيودك يا منارة فدعوت بها وكانت في سفط وأحضر حدادا فجد ساقيه فقيدته وأمرت غلماني بحمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم أعلق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم أني شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ما تدري الى ما يصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا نصف ضياعك و بساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا

وكان عند معاوية جارية أعز جواري عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت * ما بيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فاجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم مطروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له اذني ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في النصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شانك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذنا لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جاريته من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك * وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كانها والله جرجرة الفحل في الشول وما أظن أني تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصي

(أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان اول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب المويسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمغنيات وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء)

(قيل) ان أول من غنى في العرب قينتان للعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدي أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أعزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم ببساطية هدور
فلا تشرب بلاطب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الراح ربيع باكر * فاذا ما ولت الزهر انتعش

وكان هرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهم وكان له زامر يقال

بعد الظهر والنجب قد استقبلني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى الباب

فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ما حملت من الخلفاء هذا المحل الا بعد أن عرفوك بذلك فانا والله رأيت عقلك وكمالك يشبه

اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصيتي ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاحي وبعد ناحيتي وان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا على الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمي وتحلل من أذاي وازعاجي وردني مكرما وأقامني ببابه معظما وان كان سبق في علم الله عز وجل أنه يبدر الي منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الارض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه فلم أتحمل الغم وأتأسف الفكر فيما قد فرغ الله منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق وبرق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلم بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر

فى آخر النهار فخطت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه و وقفت فقال هات ما عندك يا منارة وايالك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسى من امتناعه

له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما البرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان *وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية ان تصدعا * فليست عشيات الحمى برواجع
عليه ولكن خل عينيك تدمعا * بكت عينى اليسرى فلما رثيتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فامر له بمائة ألف درهم *وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ينظره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان عشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لانكما ان بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فضيا والحسن يقفو هما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بابى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم انك ماسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال افترح واقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها اقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فلقد اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق *وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فررت بباب أبى عيسى ابن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى استفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فاتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع فى زجاجة كأنها كوكب درى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودنبس ورقيق ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه * وأشرق الورد من نسرين وجنته
واهتز أعلاه وارتجت حقائبه * كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دنبس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه * أستودع الله من بالعارف ودعنى
يوم الفراق ودمع العين ساكبه * ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

والغضب يظهر فى وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموى من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومى ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ما خاطبنى به عند توبيخه اياى لما ركبنا المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتنى به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا فقال ما لى الا حاجة واحدة قال ما قضيتها ما هى قال يا أمير المؤمنين تردنى الى بلدى وأهلى وولدى قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو أن يحتاج الى شئ من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فامورى منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا باسرار عرض لك قوده فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك

وسر به راجعا الى أهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى محله الذى أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم (وحكى) فى الكتاب المذكور قال حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود قال كان فى جوار القاضى قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمر جاءه من السلطان فسألته عن الحكاية فما فارق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فاسرعت فى اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع أبواب دارى وسقوفها ولم يبق لى حيلة وبقيت مدة لا قوت لى الا من بيع والدتى لما تغزله وتطعمنى وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى كان قائلا يقول لى غنائك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى دار أبى عمر القاضى وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبى قد خدمه أياما وسألته أن يزودنى كتابا الى مصر لاتصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسدالله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل ونفدت نفقتى فبقيت متفكرا فى أن أسأل الناس فلم أستجز المسئلة ولم يحملنى الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل صدر صالح فلقينى الطائف فقبض على ووجدنى غريبا فانكر حالى فسألنى فقلت رجل ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتى من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كان رجلا يقول لى ببغداد فى الشارع الفلانى فى محلة الفلانية قال فذكر شارعى ومحلتى وأصغيت فلم الشرطى الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان ثلاثين

بدرمن الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه * ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه
أو ينطق القول يوما فهو كاذبه * عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه
ثم سكت وابتدأ المشدود يقول يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فانى لست بالصاحى
ثم سكت وغنى دبيس دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كانها دمعة فى جفن سباح
ثم سكت وغنى رقيق لا تحفلن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كالمسك اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لا ذوها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا دير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لا والذى تلفت نفسى بطرفته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فاذن له وحده فدخل فقال هات يا هاشم فغنا من شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فيا ويح نفسى حسب نفسى الذى بها * ويا ويح عقلى ما أصبت به أهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا يبكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا اعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به فدخر به فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هولى فاخطأته الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فاصلح وتر كذا وتر كذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها مثله فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فامر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى رأس استاذى فقال الوليد ذلك اليك فقالت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتهما صاحبتى فاردت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعنى اياه فعوضنى عنه

وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت فى هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوى قلبى وأطلقى الطائف فبت فى مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة

ثلاثين ألف درهم فلما وهبتنى العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائى فقال الرشيد لا تجب فان الله كلو رثنا مكانهم ورثنا أموالهم * وقال على بن سليمان النوفلى غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فانشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بربك هاديا
ذكرتك بالدرين يوما فاشرقت * بنات الهوى حتى بلغنا التراقيا
اذا ما طوالك الدهر يا أم مالك * فشان المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى الهنى والمرى وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار فى كل سنة فامر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين انهما تين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا فى شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقطوا معه على مائة ألف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين فى اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر فى كل شئ فغنى شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يوما قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما فى البين من حرق * حتى تمادوا بان قد جى بالسفن
قامت تودعنى والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الى وضمتنى لترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهى باكية * ياليت معرفتى اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفى ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
وياجنة الدنيا وياغاية المنى * وياسؤل نفسى هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فافنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بارضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لا سمعت يوما غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة ما أمر لى قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استاذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعدبمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فاتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرنى فى الميعاد فمازلنا فى أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فاكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بانعم يوم ثم انه دخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فاذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا فى ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلع عليه لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما فى أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا باس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لداعته ثم قال خلفوا عنى فانه شئ والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافاة لك على ما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على فتسأله الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال

وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف دينار فاخذتها وأمسكت يدى ودبرت أمرى وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضيع وعقار الى الآن (وحكى القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتابه أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة) قال حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمة قال حدثنى بعض اصحابنا قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائى نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا ندرى أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفارا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه باسره فى أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والابارين فغسلنا وجوهنا وأجلسونا فى مجلس حسن مفروش بانواع الفرش التى

(١٨ - ف - ثانى) لم نر مثلها واذا الدار فى نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه ويعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فادخلنا الى الحمام فى الدار فى غاية السرور ودخل الينا غلامان أمردان وصبيان فى نهاية الحسن

جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت منجما من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يحببه أمير المؤمنين الى ماسأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي يوسف القاضي ثم بابراهيم ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في المقصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك فلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وقد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجزله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتداه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق * وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قرى اقريكه لفعلت ولكني أجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها لي فاذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون في ذكر القينات والاغاني)

(حكى) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هي جارية تلك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفي حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصار مني

ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فامرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس في بستان حسن واخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شئ طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جواريخانها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله اخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جواري رقاط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عواد وطنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلى فغنينا واحتسبن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا لكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار الغلمان فاخبروني بعطافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فاخرجت هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن مماز حتهن ما لو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا قال فقلنا يا سيدي أحالنا عن تبذل ما في داره وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء مما يكره وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من أن يأخذ

كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها الليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غيره ذلك فهو أبصر لا كون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طرنا بأخذ كل واحد منا بيد واحدة فاجلسها الى جانبه وأقبل يقبلها او يقرصها (١٣٩) ويمازجها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيري ممن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فادخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت في نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فيخرونا عليها وغنانا والجواري الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة في البيت وما نحتاج اليه من آلة المبيت وأغلقوا علينا وانصرفوا وتثنى أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا ما رأيكم في الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فمنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فخرنا بالند الفتيق وأعطينا الماء ورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المجلات وأخبرناها لما أن صورتهم في ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجواري الخدمة الرومیات فوطؤهن فاقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا يقول هذا في اليوم نراه ونحن في الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكبر ذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجواري لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج او أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر في الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فاكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فقمزونا

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته لمقته وأكبت على رجليه تقبلهما قائلة ما هذا فقالت يا مولاي رأيت في منامي هذه الليلة كانك قد رضيت عني فانشدت ما سمعت قل وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان * قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك في المنام صحيحتي * مستر شفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا * بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومكانك كلاهما * في راحتي وتحت خدك ساعدي
فقطعت يومي كله متراقدا * لازال في نومي ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خبرا رأيت وكل ما أملته * سنالله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي * وتحل بين مراشفي ونواهدي
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فاخذها من يدها وقال ما هذا فخافت انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول ان العشق قد خامرهما فقال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم * وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فمنعت وقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها او وقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءني * وتدزلقت رجلي وصرت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه * تداركني بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمري لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

(ومن ذلك) ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخالق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليها من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار

وعمرهم منا من كان يدخل فى ذلك وزالت المراقبة فلما انتهينا حملنا الى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا فى مجالسنا بالامس وجاء أولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة الاسبوع فقلت لاصحابى ويحكم أرى الامر متصلا ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عنى وقد اطمأنتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فى هذا فقالوا ما ترى فقلت أرى أن نستأنس الرجل فننظر أى شئ هو فان كان ممن يقبل هدية أو براعملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافاة فى وقت ثان وسألنا أن يحضر لنا من نكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب قلنا له قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا أحسن مما أضفتنا وتريد الرحيل الى مصر لما أردناه من طلب التصرف وأنا فلان ابن فلان فعرفته نفسى والجماعة وقد حملتنا من أياديك ومننك مالا يسعنا معه أن نجهلك ونحب أن تعرفنا بنفسك لنأتى بشكرك ونقضى حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا فى الشرح فقال جعلت فداءكم ان لقيادتى خبرا أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت أن تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبى تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا مكثرا ونشأت له فكنت مخترقا مبذرا مروحلا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشراب فاتلفت مالا عظيما من مال أبى الا أنه لم يؤثر فى ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعانى فقال لى

فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب فى يومنا هذا فقلت أصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة بيضاء مضمومة لفاء أشر بهم امن كفها وأمسح فى بخدها فاطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرنى ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يبين منه بياض بدنها وتبدو بسرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها الهاصد غان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء لما لا يشتكى وعلاج لما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترنى ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى اشجو ما سمعت اعلم أبا زيد أن تلك التى رأيتها هى الذلفاء التى قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بعبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت نهية قم أبا زيد فى دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله بدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر قانى وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فامره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فبأحسن ما كان وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان فى مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختار واصوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتى فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر
فى ليلة البدر ما يدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوى على قدم * تكاد من لينها فى المشى تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صرت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق واطافة قد الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهمت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

يا بني اني قد خلفت لك النعمة وقد منها مائة ألف دينار بعد أن أتلفت على حسين ألف دينار وأن الانطاق لآخره اذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت أن أتلف هذا المال عليك في حياتي أو الآن حتى لا تصل الى شئ منه لفعلت ولكن هو ذا أتركه عليك فاقض حتى بحاجة تنقضها الى لا ضرر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم أنك ستتلف المال في مدة يسيرة فعرفني اذا افتقرت ولم يبق معك شئ أتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا فقلت لا قال فعرفني من أين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لي الا أن قلت أصير قوادا قال فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها ماجرت على لسانك الا وقد دارت في فكرك ولا دارت في فكرك الا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدي ولكن أخبرني كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد ندربت بكثرة دعواني القحبات والمغنيات ومعاشرتي لشراب النبيذ فاجعلهم على الرسم فيقيمون في بيتي ويعملون ما يريدون وآخذ أثمانهم الدراهم وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان خبرك في جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادي عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادي عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه الصناعة فانا أعلمك وان كنت لا أحسنها فلا تستغني فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشئ فقلت افعل قال اذا أنا مت فاعمل على أنك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما كان في نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وهيه عندا خوانك واعمل أنك قد أنفقته واجعل

يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

قال سليمان دعني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فخذ رتله فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حاني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل وذقت له الخمرة وأن الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيحاول غيرك

(وحكى) أن الرشيد قصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جيلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فاقتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة * وأهدى داود بن روح المهلبي الى المهدي جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لا هجرن حبيبا ان موعده * وكان منه اصفو العيش تكدير
فارسلت اليه تجيبه لا تهجرن حبيبا ان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تاخير
ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تغيير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمامون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجواري وقان لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجواري فماتت فجزع عليها المامون جزعا شديدا وقال

اختاست ريحانتي من يدي * أبكي عليها آخر الابد
كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الاقرب والابعد * وروضة كان بها مرتعي
ومنهلا كان بها موردي * كانت يدي كانت بها قوتي * فاختاس الدهر يدي من يدي

(والمتوكل في قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فارسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لفي لذة لك ولا لذة لي قال وما لذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المراحيض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

رحضت فؤادى نفليتنى * أهيم من الحب فى كل واد

فاندفع ابراهيم يغنيه فقال فى نفسه والله أظنهما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها الخارج فقال ياحبيبتى أين الخارج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فاعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال ياحبيبتى أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال ياحبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلا على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الا فاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال ياحبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما ياحبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر افتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسألنى أن تغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى ولا كهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما يازانيتان ان لم تعلمانى به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمى وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائى فقال الرجل حيث نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفنى الملاح واضجروني * على مابى بنيات الزواني

فلما قال عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليهما لا ومضى لى سبيله (وقال) على بن الجهم قالت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

قالت نأتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجاس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود ونا ولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جارية فلانة فاقلقنى الشوق اليها فعسى ان تغنينى شيأ فى معنى ما ذكرته لك فاطرق مليا ثم غناه شعرا

ولدت من الشوق المبرح اننى * أعار جناحى طائرا فاطير

وما السرور ليس فيه مسرور * وان امرأ فى بلدة نصف قلبه

والحكايات فى معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل وجل خير من كثير ممل

أفعل قال تجالس اذا أنامت ثلاثة أيام للعزاء الى أن ينقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت وصيتى وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حقى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدى فتشترى من الجوارى المغنيات والسرارى كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ما تحتاج اليه وتشتهيه ودارك كالمتجب فى السرور وتنوف على سرور من تريد أن تعاشره ولا تدخل الا الامير والعاقل وادعهما مرة فى شهر أو شهرين وهاديهما أيام الاعياد بالالطاف الحسنة والقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتحذ فى كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يتفق معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة على طريق التخالع أو مسامحة الاخوان والافاى لذة له فى ذلك وليس هو بمجنون ولا مخبل ولا فقير ولا محتاج الى هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فيستدعى مغنيا نك ويسمعهن فى منزله فيصير لك بمنادمته رسم وجاه بأنى بملا قاتك وفيما

وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يعدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن كمون النار في الحجران قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شيب أخو بثينة جيلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شيبا أتى مكة وجيل فيها فقيل لجيل دونك شيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جيل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وفي الجليس الانيس لابي العالية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو فقال هو سواتح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسالكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطيب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له بن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروة فحامل النفس مسيء الادب فعرف ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه لحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء في فلاحه قال وما ذاك الذي حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا ينشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بابي الجارية فقال له اني مسر اليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنبه وتهجره فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا له ثم لتعلمني خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بادبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت

والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمري على ما قاله لي من غير مخالفة لشيء منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقني منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهناه وأمر معاشي عليهم ودخلي بهم أكثر من خرجي ونعمتي الموروثة باقية بأسرها ما بعت منها شيأ بجبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته الى ما خلف علي وأمري يمشي كما ترون نقلنا الله عز وجل وأرجت والله عنا وأريتنا طريقا الى قضاء حقك وأخذنا نماز حه ونقول فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبرك هذا الامر الا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه*(وحكى أحمد بن يحيى ابن فضل العمري)* في كتابه المسمى مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف ابن فاخر الموسيقي قال ذكر العم حسن الاربلي في تاريخه قال جالست مع صفي الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فاخبرني أن هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته فقسموها وجعلوا لكل محلة أو محلتين

أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذى كنت أسكنه فى حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانوبين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل و يأسر و ينهب مدة ثلاثة أيام و لبعضهم يومين و لبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء اليه الامير الدرب الذى أنا ساكنه وقد اجتمع فيه مخلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو خمسين جارية من أرباب المغانى وذوات الحسن والجمال فوقف نانوبين على باب الدرب وهو مترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا النار ادخلوا فى الطاعة واحكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفى الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدى على أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا الناكذا وكذا وطلب شيأ كثيرا فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل من فى هذا الدرب يحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لاجمع لك كل ما طلبت فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من خواصه فأتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاوانى المذهبة من فيلتنا الزجاج الحلبى وأوانى فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغنى بملاهاة غير ملاهاة الاخرى

المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبز هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه وأمره أن يرفع أمرها الى ويسالنى ان أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك اليه فدعا بها وزوجه اياها وأمر بتجهيزها اليه وقال له اذا اجتمعت انت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق باخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته بصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به *(وكان)* عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فاقام يحدثها و يشكو اليها ألم الهوى فكان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية * وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المسر ببابها * وافنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * خطأ يا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط للذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لوحز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها رأسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم * وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة فرافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تناشدنى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بظبى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الزاد فضيت به اليها فازداد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءك كما يقتصر على هذا فقالت أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد نظرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فتقنعنى * منه الطهارة والنانيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا تيان معصية * لا خير فى اللذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب ونحو ذلك قول القائل

ان أكن طامح اللحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف
فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما فى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس

فغنين كانهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها فى المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه فى غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أوانى الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيأ كثيرا سوى العليق ووهبت له الغوانى التى كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من ذوى النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا لرجل غداء عندى وكذا بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الى من بينهم ما يساوى خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس الا وقد وافانى فرأى ما أذهله وجاء فى هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون ألف دينار وقدمت له فى اليوم الثالث لآلئ نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بارواحهم فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقى عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفت ذلك من أول يوم وهبتهم

فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فانزل فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * ما لى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الاول فيما جاء فى الكناية على سبيل الرمز * وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الوت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يبت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اى والله فمن هو قال انى لارجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط * وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغى الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فارادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فابى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أبى ونستدينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر) وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * واست مريدا ذا لك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن مياده موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى الهوريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر) حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

يا غزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضـ * ـيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فضحكت ذلك اليوم ثم قالت اذهبى اليه فاعلميه أنى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فاكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا نهانى الحياء والكرم

أرواحهم وما حدثتنى نفسى بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهز معى الى حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيأ من المستظرفات التى قدمتها الى فاعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسى وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجنى الى خارج بغداد ويقتلنى ويذهب

الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى منه ومن هيبته فقال لاتخف ما يصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل نقلت فى ضمائك انه ما يصيبنى مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ما عندكم من النفائس فأتونى بكل ما تقدرون عليه فاخذت معى من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت ما آكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأوانى فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معى ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندى وأنفسهن للضرب ولبست بدلة من القماش الخليفى وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآنى نانونوين بهذه الحالة قال لى أنت وزير قلت لا أنا مغنى الخليفة وندمه لكن لما خفت منك لبست القماش توسخ ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتى وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغى أن أدخل عليه الا بالحشمة والوقار فاعجبه منى هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلنى معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذى ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلاكو على قبلت الارض وجلست على ركبتى تحاهو من عادة التتار فقال نانونوين هذا كان مغنى الخليفة وقد فعل معى كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قدميها فقبلت الارض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له وخواصه الهدايا التى كانت معى فكلما قدمت شيأ منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لى أنت مغنى الخليفة فقلت نعم فقال أى شئ بطلها أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغنى غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن لى الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب

فسلا الى فاحش مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

(وقال آخر) يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذى عينين لابد ناظر

وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا وحتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذاك بى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس على وان أباها منعنى من تزوجها الفقرى وفاقتى وطلب منى مائتى ناقة ومائتى أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حفاياه أراك اليوم يا مولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نرالك قد هويت فانشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أسليت حينا * أراك اليوم قد أحدثت عهدا

وأورثك لهوى داء دفينا * بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا

فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا

وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هى خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال * وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت اريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فاعجبنى حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تطيلى فاملأ القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينب قلت لا قالت أنا زينب قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعدى وعدنى العام الاول بالاجتماع فى هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لاحسبه اياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فانشدها فقلت فى نفسى محبان قد طال التنائى بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيرى لاشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال لى أفلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم فكان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة * وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان لرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه وبعدها وبعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد * ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونطرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولدتم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا

يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو يخطبا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى أمتعنى بحبها وأشقانى

ور بما قتلني ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت ياخوند الطرب باوتار العود ولا يعيب الا بشرب الخمر ولا باس بان يشرب الامير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه فقال أنا مالي في الخمر رغبة لانه يشغلني عن مصالح ملكي

بما لمها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لمها وأعصي الشيطان في اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره اني اذن للئيم لم يادني كريم * ومر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل الاعبه * فوالله لولا الله تخشى عواقبه
لحركت من هذا السرير جوانبه * مخافة ربي والحياء يعفني * وأكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فامر عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ماذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج * الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج * تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج * لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجي * ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني القيافي والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فاقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * ومانلت من عرضي عليك حرام
فاصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام * لئن غنت الذلفاء يوما بمنية
وبعض أماني النساء غرام * ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي حرمة فألام
فمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام * ويمنعها مما تقول صلاتها
وحال لها في قومها وصيام * فهاتان حالا نافهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

* (الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) * حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فاخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء مولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة

فحاس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقي الامر كذلك الى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلي فقلت له كم نال من المغاربة في الثانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها ممن كان انزوى الى دربي من ذوي اليسار والباقي من نعم موفرة كانت

أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان من مغنية اسمها صبياء لم يكن في بغداد أحسن منها صورة ولا أطيب منها صوتا فاصلحت أنغام العود وضربت ضربا جالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم أتم التوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت ثم تمن علي فقلت أتمنى على الملك أن يطاق لي على السمكة قال وأي شئ هي السمكة قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لاصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تتمنيت قلعة أو مدينة أي شئ هذا البستان فقبلت الارض وقلت يا مالك العالم هذا البستان يكفيني وأنا ما يجيء مني صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب في أيام الخليفة وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذني نانوتين أميرا بخمسين فارسا ومعهم علم أسود وكان علم هلاكو الخاص به برسم حماية داري

بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه الى قصده ثم تجنبه لما شهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بان دعاه ويره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعا من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه وأقشعر لشناعة لقبه الى ان لقينى بالغرب من منزله فحلف على ان لا أفارقه فكان ذلك صادف منى موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى اذا كان فى غد بكروا فجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بلى يقيم بعضهم عندى ويعود البافون ليلا للانصراف الى منزلى فابى وحلف فاتبعت ما أراد فاحضر أحسن طعام وألطفه وأكلنا وأتى بانواع الاشربة والفواكه والرياحين وأخذنا فى أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولى الى الدار قد رأيت على بعض الابواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى فلم أسأل عنه فلما صرنا على حالنا وأخذ النبيذ منا أحضر عمودا فجعله بين يديه فاوحشنى جدا وقلت رجل غيور كالقب وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن اعبث بهن فيضربنى بالعمود قال أخبرك يا أخى انى رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزلى قوم معهم سوء أدب فما هو الا أن تغنى الجارية

فى احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فاذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسالهم عن حوائجهم فاما الثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فساله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك أو لست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسالنى فانك لا تسالنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تامر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها أن تغنى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فامر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فاتت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تامرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعو الى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فاتت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عودا راكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجا يا بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فاتت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تامرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر * والله لا أسلو كما أبدا * ما لاح بدر أو بدا فجر

فامرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت * وحكى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكر الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بامر ما مر لك فى هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى بيع ولا هبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وأنه يجىء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقتعرا أسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها فى تلك الليلة وجعلت أتامل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتابا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فاصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فمشت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا باس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى أذنه وقلت قد أطفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام * وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات * وذكر محمد بن واسع الهيتى أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى

حتى أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه فاقول أقوم بهذا العمود فانما هى ضربة له وضربة لها فاقتلهما واستريح الا انى على ما ترى رجل معى تان شديد فاقول شرب الرجل فسر وضحك واعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسى وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامير يزيد حتى أراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فما وضع السر ثم أهم بالعمود والثانى الذى فى يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فامسك ذلا يطول الامر بينهما حتى أراه قد أدخل يده فى ثوبها فقرصها وعبث بثديها فقد اخلنى الغيرة وأقول ما بعد هذا شئ وأهم بضربهما بالعمود لكن على ما ترى عندى تان فاقول بعد لم يبلغ الامر بهما الى القتل وهى أوائل وسيكون لها أواخر فان أتى بما يوجب القتل قتلتهما فاستريحت فامسك ذلا يطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل فى أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فاسعى خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقانى فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور ركا قد علمت فاقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسى فلا يكون والله يا أخى لى اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فاتنازله وأضعه فى عنقى فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجا قال فما قمت والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح

الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون اليهن المنتهى فى الجمال واكتب لى بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج عابا النخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجد هن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمن هن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلى كتاب أمير المؤمنين أمتعنى الله تعالى ببقائه يذكر فيه أنى أشترى له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية كعيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنما ذهب شيب بفضة وهى كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال تشفى السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى أفتأذن لى فى ذلك قال نعم فتجهز واوخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهى الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فاتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عينى لا تمل من البكا * وقلبى باسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبى رهين كيف لا أتعشق

(فاجابته تقول) لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فاخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففضه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشا يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا * مقرا بالقبيح وسوء فعلى
ولست بما رميت به بريا * فان تقتل فقتل فوق ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفافا بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نهضوا فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق

الدين الصفدى فى الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت) حجت جيلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان أخت أبى تغلب سنة ست وثمانين وثلثمائة فسمعت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستحبت البقول المزروعة فى المراكب وعلى الجمال

وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين (١٥٠) وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقني من النار (وكان) حكيم بن حزام رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة و ينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت و يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه و أخشاه (عمر بن زر الهمداني) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مرددا للبيت مازلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوبين فلا يت شعري بم يكون منصرفنا أبذنب مغفور فاعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فاعظم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه أنخنا ارحم املاق الوفد الغناك فقد أتيناك بعيسنا معراة جلودها ذابلة أسنمتها نقبة أخفافها وان أعظم الرزية أن نرجع وقد اكتفينا الغيبة للهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يخصبك سائل (ونقلت)

ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتاب من ذلك (ومن ذلك) ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والباس قال فجدنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا لكن تدارككنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا فقدم مهن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كروا هو اقتاله وتأخروا عنه فلما تمكنت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من جلادته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فاخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار و يبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام و يذكر أن لا يسلم أبدا فاخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فاركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بغريب ما رأينا مع الغلام والجارية فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فمازلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا و بكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لا طلبن الصوت ولو تلفت نفسي فمازلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد و يترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أدلك يستجير بك و يستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطي ء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته و بسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبدولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا بحارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها أحرمته فتناومت وما بي نوم فمازلا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لا يهم أحدهما الصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها

من خط الشيخ صلاح الدين الصفدي من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلي رحمه الله تعالى ما صورته قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم وتنفسا

الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجهامثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر (١٥١) ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل

وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سالتك بالله لا تبطئى عنى كما أبطات الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أنى أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكى فبكيت رحمة لهما وقلت فى نفسى والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحا قلت له جعلنى الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد نانى أمس تعب شديد فاحب لراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة ولو أقمت عندى بقية عمرك ما وجدتنى الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فاججها وشواها وقدمها الى فاكلت وأكل معى الا أنه أكل أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهارى ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطات وطانى فصليت وأعلمته انى أريد الهجوع لما بى من التعب بالامس فقال لى نم هنيأ فاظهرت النوم ولم أنم فاقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فابطات عليه فلما حان وقت مجيئها قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فركبنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها الذى تاتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشا يقول

ما بال مية لا تاتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسى فداؤك قد أطلت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشا يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جربت حقا لك الشرا

وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ ثوبيها تى هذه وجعل بشير اليها فسوف تاتيك امرأة عجوز بهى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وثوبيها تى وقل لها ما ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل وما زالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن

فرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحى ابنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى (ومن ذلك) ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

غلظ الليس المحشو تبنا وفيها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولها دون الشبر وعرض أصبعين وفى فيها ثمانية وأربعون ضرسا وسنامها مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودو رحافرها مثل السكرجة بارتعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فيها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع مما نعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الى زين الدين الرحبى انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كابسة ميتة ولها جروان رضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها ويلعبان حولها والذى يخرج من أبزازها من الجانب الاعلى وأما الجانب الاسفل فانه يبس

وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لا يعجزه شئ وهو على كل شئ قدير (وذكر الشيخ فى حوادث سنة ٦٣٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الغزازى قال فى السابع من ذى الحجة سنة (٧٢١) أخبرنى شخص أن كابية ولدت بالقاهرة

ثلاثين جرواوأنها احضرت بين يدى السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسال المنجمين عن ذلك فاعترفوا انهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدى خرج يتصيد فلقيه الحسين بن معير الاسدى فانشده أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صورة الجود

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك ياجمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادى هائما يتجبل ولا
حتى أودع قلبى المتبولا * سار وا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أنى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لا عرفن بذلك هشاما ثم نوادعا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنعلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال ليستريح راحلته من حى بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال يا ابن أخى أرأيت فى طريقك شيأ فراعك قال نعم ياعم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة البين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم ياسيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدى لا دردره * وأزجره للطير لا عزناصره * رأيت غرابا قد علا فوق بانة
ينتف أعلى ريشه و يطايره * فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد * (وحكى الاصمعى) * قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

برو حى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية ثم كان أوفى البرية وثم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمى هو بينى فهو بينه فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما الامر الا بهوى و يكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب

من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجرى الماء فى العود

فقال المهدى كذبت يا فاسق وهل تركت فى شعرك موضعا لاحد مع قولك فى معن بن زائدة * أما بعين ثم قولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا

و يا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

ولكن حويت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

وما كان الا الجود صورة وجهه * فعاش ربيعا ثم ولى فودعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

فطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضى عنه وأمر له بالفى دينار (قال سعيد ابن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أى أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن فى هيئة زرية وثوب على أريكته وأنشد يقول

اذا ثوبة نابت صديقك فاغتنم * ترقعها فالدهر بالناس قلب فاحسن ثوبيك مشهورة

الذى هو لابس * وأقبره مهريك الذى هو راكب و بادر بمعروف اذا كنت قادرا * زوال اقتدار فهو عنك يعقب قال فوثب اليه رجل من

القوم فقال أصلح الله الامير ألا انشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات فانشد يقول وللنفس تارات تحل بها العرى * وتسخو عن المال النفوس الشحائح اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه * أقل اذا ضمت عليك الصفائح

مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا في هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والسبعون في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحلق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبي جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يحمله الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودر عيدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلاما على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقت بالهم الذي قاقل الحشى * قلاقل هم كاهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسب ما بوب أبو تمام في الحماسة وقال عبد العزيز بن أبي الاصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب *ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل * وبيض رقاق من جفون فواتر
وسمر دقاق أم قدود قواتل * وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف مني الحشى والمقاتل
بروحي أفدي شادنا قد ألفته * غدوت وبي شغل من الوجد شاغل * أمير جمال والملاح جنوده
يجور علينا قده وهو عادل * له حاجب عن مقلتي حجب الكرى * وناظره الفتان في القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجري فهو في الخد سائل * شكوت فما ألوى وقلت فما صغى
وجد بقلبي حبه وهو هازل * طويل التواني دله متواتر * مديد التجني وافر الحسن كامل
أطار حسه بالنحو لو ما تعللا * فبدد وللاعراب فيه دلائل * ويرفع وصلي وهو مفعول بالهوى
وينصب هجري عامدا وهو فاعل * تفقهت في عشقي له مثل ما غدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل

فيا ملكي ماضر لو كنت شافعي * بوصلك فافعل بي كما أنت فاعل
فاني حنيفي الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغي وان قال قائل

(كمال الدين بن النبيه)

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب * صبح الجبين بليل الشعر منعقد
والخد يجمع بين الماء واللهب * تنفست عن عبير الراح ريقته * وافترّ مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في جنى فمه أو ريقه الشنب * كأنه حين يرمي عن حنيته
بدر يرمي عن هلال الافق بالشهب * يا جاذب القوس تقريبا لو جئته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمي ويا منها سهم من الحشب * من لي باغيد قاسي القلب مبتسم
لا عن رضا معرض عني بلا غضب * فكم له في وجود الذنب من سبب * وليس لي في قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب * أشار نحوي وجنح الليل معتكر

* هذا سمي فتى في الناس محمود أنت الجواد ومنك الجود نعرفه * ومثل جودك فينا غير معهود
أمست بمالك من جود مصورة * لاهل عيلك منها صورة الجود قال كم الابيات قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك قال

فغدا والموت غاد ورائح
فقال معن أحسنت والله وان كان الشعر لغيرك يا غلام أعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم الى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتي (مدح) مطيع بن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان شئت مدحتك وان شئت أثبتك فاستحى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب
لصاحب مغنم وأخي ثراء
ولكن الزمان بري عظامي
ومامثل الدراهم من دواء

فامر له بالف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فاتاه ابن أبي حفصة فاذا المجلس غاص باهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الاغداء عنك تقية
عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما * أبا الله الا أن يضر وينفعا

فقال معن احتكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيد لك ألفا (أتى) اعرابي الى معن بن زائدة ومعه قطيع فيه صبي حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبي بين يديه وقال سميت معنا بمعن ثم قلت له

بمعصم بشعاع الكاس مختضب * بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * في حجرة الدن أو في قشرة العنب
(البهاء زهير) يعاهدني لا خانني ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا * أقول له صالني يقول نعم غدا
ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث * وما ضر بعض الناس لو كان زارني * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاي اني في هواك معذب * وحتام أبقى في الغرام وأمكث * فخذ مهجة روحي ترحني ولا أرى
أموت مرارا في النهار وأبعث * فاني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث * تردد ظن الناس في فاكثروا
أحاديث فيها ما يطيب ويخبث * وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسأل عني من أراد ويبحث
(النابلسي) ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المدامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق * ولقد قنعت من اللقاء بساعة
ان لم يكن لي للدوام تعارق * قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيوني أن ترى لك سيدي * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

(أبو الحسن الجزار)

في خده من بقايا اللثم تخميش * وبي لتشويش ذاك الصدغ تشويش * ظبي من الترك أغنته لواحظه
عما حوته من النبل التراكيش * اذا تثنى فقلت الغصن منكسر * وان تبدى فطارف البدر مدهوش
ياعاذلي ان تكن عن حسن صورته * أعمى فاني عما قلت أطروش * كم ليلة بات يسقيني المدام على
روض له بثياب الغيم ترقيش * والغيث كالجيش يرخ الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء)

ترى مني من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط * قد رق لي خصره المضنى فناسبني
فقلت خير الامور الانسب الوسط * وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشاط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط * وفيه تلك النهود المشتهاة ترى
رمانها فيه قلبي أمره فرط * ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنى غلط

(القاضي مجد الدين بن مكانس)

أهدى تحيته وجاد بوعده * أذديه من قرب ذا في سعده * بدر جرى ماء الحياة بثغره
وتردد فضلاته في خده * أسكنته قلبي فأعدت خده * نيران أحشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل أهيف * روت العوالي عن مثقف قده * ياعاذلي في حبه لو أبصرت
عيناك فوق الردف مسبل جعده * لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت أن ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده * ما جاد غيث الدمع الا من هوى
خلع القلوب ببرقه وبرعده * قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

(عز الدين الموصلي)

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * باي ذنب وقاك الله قد فتات * دعها ودمعها الجاري لقد لقيت
ما قدمت من أسى قلبي وما عملت * أذيلك من ناشط الاحظان في تلفي * والسحر يوهم طرفي أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت * معسول بنعاس في لواحظه
أما تراها الى كل القلوب حلت * من لي بالحاظ ظبي يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت

تابى المطامع الا أن تجشمه * للرزق كدا وكم ممن يودعه وما مجاهدة الانسان واصلة * رزقا ولا دعة الانسان تقطعه والله قسم وحرة
بين الناس رزقهم * لم يخلق الله خلقا وقفا بضيعة لكنهم ملؤا حرصا وما ستروا * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه والحرص في المرء والارزاق

قد قسمت * بغى الاان بغى المرء يصرعه والدهر يعطى الفتى ماليس يطلبه * حقا فاوطمعمن حيث منعه أستودع الله فى بغداد لى قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه ودعته وبودى لو يودعنى * طيب الحياة وانى لا أودعه (100) كم قد تشفع بى أن لا افارقه والضرورات

وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت * أما كفانى تكحيل الجفون أسى
حتى المراشف منه باللمى كحلت * أستودع الله أعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم ألقت بمسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته
وأنا الذى لو مر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته * كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بايام الشباب شريته * لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته * أأروم من كلفى عليه تخلصا
لا والذى بطحاء مكة بيته * ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

(للشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفنا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلا مرحت قتيلا * صح عن جفنه حديث فتور
وهو مازال من قديم عليلا * مر أبدى لنا من الحصر ردفا * فارانا مع الخفيف ثقيلا
ذو توام كانه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا * كامل الحسن وافر طل وجدى
فيه ياعاذلى مديدا طويلا * فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الاقليلا
قلت اذلاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل اصاب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

(وقال آخر) لو ان قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتالم
ومن العجائب أننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم * ياجامع الضدين فى وجناته
ماء يرق عليه نار تضرم * عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر) تصدق بوعدان دمعى سائل * وزر فؤادى نظرة فهو راحل
فحدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل * أيا قمرا من شمس طلعة وجهه
وظل عذاريه الدجا والاصائل * تنقلت من طرف القاب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكانى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه * بهلال أو بدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فقه * قد تعديت وأسرفت فقه

(وقال آخر) بابى غلام لست غير غلامه * مذ جاد لى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكرا لحى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى * تجرى مدامعه ويخفق قلبه
مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى * واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
نفذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وماغوى * وبمهجتى رشأ أطالت عذلى
فيه الملام وقد حوى ماقد حوى * قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موت سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى

حال لا تشفعه وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى
وأدمعى مستهلات وأدمعه لا أكذب الله ثوب العذر مخرق عنى برقته لكن أرقعه * انى أوسع عذرى فى جنايته بالبين عنه وقلبى لا يوسعه * أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته * كاسا تجرع منها ما أجرعه كم قائل لى ذنب البين قلت له * الذنب والله ذنبى لست أدفعه الا أقمت مكان الرشد أجمعه * لو اننى يوم بان الرشد أتبعه أن لا أقطع أيامى وأنفدها بحسرة منه فى قلبى تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت به بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى * به ولا أظن بى الايام تفجعه حتى جرى البين فيما بيننا بيد عسراء تمنعنى حظى وتمنعه وكنت من ريب دهرى جار عافرقا فلم أوق الذى قد كنت أجزعه
بالله يا منزل الانس الذى درست آثاره وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا أم الليالى التى أمضيت

ترجعه فى ذمة الله من أصبحت منزله * وجاد غيث على مغناك يمرعه من عنده لى عهد لا يضيع كما * عندى له عهد ولا أضيعه ومن يصدع قلبى ذكره واذا * جرى على قلبه ذكرى يصدعه لاصبر الدهر لا يمنعنى * به ولا بى فى حال يمنعه علما بان اصطبارى معقب فرجا * فاضيق الامر

ان فكرت أوسعه عتبى الليالى التى أضنت بفرقتنا * جسمى سقى جمعنى يوما وتجمعه وان تنل أحدا منا منيته * فما الذى بقضاء الله يصنعه

* يحكى أنه وقع فى ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة (٨٣١) أن حضرت صلاة العشاء بالجامع النورى بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم أتمها الى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل و بنى اسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين * حكى الدينورى فى المجالسة فى ترجمة أبى عبد الله سعيد ابن يزيد البناجى قال سمعت أبى يقول قال خالى أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد ابن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجى مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو فى بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقتين كان فى الطريق رجل عائن فلما ينظر الى شئ الا أتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبى عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتى سبيل فاخبر العائن بقوله فتخير غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فاتى أبو عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب قال دلونى على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وجر يابس وشهاب قابس ردد عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فى كلمة رشيق وفى ماله يليق فارجع من البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها (وله فى

يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

(وقال آخر) عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا

رشا تفرد فى قلبى بالهوى * لما غدا بجماله متفردا * قاسوه بالغصن الرطيب جهالة
تالله قد ظلم المشبه واعتدى * حسن الغصون اذا الكست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

(وقال غيره) ياحسنا ما لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه * رقت بالورد و بالسوسن
صفحة خد بالسنا مذهبه * وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * و بالذى الله عظما أعذبه * قلت له كالشهد عندى سنا
وكل ألفاظك مستعذبه * فوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى صيتا أعجبه

وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه * رحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح بغار الغصن عند اهتزازه * و يخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دنا هاجرى نحوى بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا * فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى
وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا * شكوت فما ألوى و ولى و دلوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا) بابى غزال الاغازلته مقلتى * بين العذيب و بين شطى بارق

وسألت منه زورة تشفى الجوى * فاجابنى عنها بوعد صادق * بتنا ونحن من الدجا فى خيمة
ومن النجوم الزهر تحت سرادق * عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتا حسائل فى عاتق * حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته عنى وكان معانقى * أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على فراش خافق

لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لمه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تاسفا * صعب على بان أرانى مفارقى

(وقال ابن نباتة) بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا

وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا * صقيل الخد أبصر من رآه
سواد العين فيه فخال خالا * وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالحاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لما در اوقد سكن الزلالا * شهدت بشهد ريقته لانى
رأيت على سواد الفه غمالا * فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبى الوبالا

ساشكو الحسن ما بقيت حيا * وأشكر من صنائعه الجمالا

(القاضى فخر الدين بن مكانس) ياغصنا فى الرياض مالا * جلانى فى هواك مالا
يارائحا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا) أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعد سقما بكى وعدد

ابن رفاعه يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قدره وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطى)

وورد ى خد نرجسى لواحظا * مشايخ علم السحر عن لحظه روى * وواراة صدغه حكين عقاربا

أسماء لوائم) ولبمة اعراس وخرس ولادة * عقيقة مولود نقيعة قادم وضيمة حزن والبناء وكيرة * عذيرة ختن مادبات المكارم (وله أيضا في أسماء أيام المجوز على الترتيب) بصن وصنبر وبرمهال * بطمئ جرآمر نعم مؤتمر توات تجوز ثم أعقب بعدها * شباب ربيع

من المسك فوق الجلنار قد التووا * ورجنته الحمر اتلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودي له باق وأست بسامع * لقول حسود والعواذل اذعووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائي على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا)

شبه السيف والسنان لعيني * من القتلى بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذلك حاشى وكلا

(وقال أيضا) بابي أهيف المعاطف لدن * حسدا لاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كامنتني سيوفهن بحده

(وقال آخر) ملك رقي شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين مر بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارم الهندى

(ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البدري)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عياني غير محتجب * وذكرها أنس روحي وهي نائية
والقلب ما زال عنها غير منقلب * لم أصغ فيها للاح راح يعذلني * ولا لواش خلى بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب ألذ به * ومر هجرانها أحلى من الضرب * فان نأت أو دنت وجدي كما علمت
تشيب فيه الليالي وهو لم يشب * دعها فامر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى طلال حلته سلمى معاهد * وحيا من دمعي مذاب وجامد * فربع به سلمى مصيف ومربع
وأرض نأت عنها قفار جلامد * وحيث ثوت أرض فاعذب مورد * ولو قدرت منها على المواورد
رعى الله دهرا سالمتني صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد * وقد غفل الواشون عني ولم أزل
ويقظان طرف البين عني راقد * وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا في الحقيقة واحد * وكم قد مرجنا في مروج صبابة
ولم يطرد فينا من البين طارد * نجر ذيول اللهو في قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند * فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى
كما كنت لي أم حادبا القلب حائد * وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل يحيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد * وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى
وقولك لا عاش الحنون المعاهد * وهل أنت غيرت الذي أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذي أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد * واني ما بدلت عهدك في الهوى
ولا اختلفت فيما علمت العوائد * ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوي والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودي طريف في هوالك تالد * وان قلت ان الحب غيره النوى
لعمري وجدي بالحشا شتى واقد * وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فني يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كوني انني بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد * ومنك تساوى عندي الوصل والجفا
وفيك لقد هانت علي الشدائد * ولو رمت ألوى عن هوالك أعنتي * لقاد زمامي نحوه حبك قائد

نصبت شراك الحب صدت حشاشتي * فكيف خلاصي والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلي أخا الهوى * وهل يسلي ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوي في المحبين كاسد
وجل منائي القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

بطهره يانع نضر (ولغيره في أسماء خيل الحلبة) * سبق المجلي والمصلي والمسلي بعده تاليه ترى المرتاحا و بعاطف و بفسكل وحلبه حلب اللطيم على الكميت صباحا (لابي العلاء المعري) سألني فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الامير لهن فالا اذا ما الغيم لم يمطر بلادا فان له على يدك اتكالا ولو أن الرياح تهب غربا وقلت لها هلا هبت شمالا وأقسم لو غضبت على ثبير لازمع عن محلته ارتحالا (نبذة لغوية يفتقر كل متأدب اليها) * (البلج) هو أن ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فجملة العين المقلة وهي الشحمة التي تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس يخلق له جسم والجسم ما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشيء رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما عرقان على حرفي الالف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهي غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهي حروف الاجفان التي تلتقي عند

الغمض الواحد شفر والشفر الذي ينبت فيه الاهداب الواحد هدب فاذا طالت الاهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن

(وقال عفا الله عنه)

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق ووصد * وتحلف لى لتابسنى سقاما
تهبى جلدى به وتذيب جلدى * وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتصمينى وتردى
وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى * فقلت لها ودمعى فى انسكاب
يفيض دما على صفحات خدى * ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر فى هواك ولو بصد

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يمر سواك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى * ومالك عن سواد العين يوما
وما السواد قلبى من جواب * وما اخضرت دواعى الشوق الا * هزرت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

فقلت لبان دار اشط عنا مزارها * وأنحلنا بعد البعاد ادكارها * وعوجا بأطلال محتها يد النوى
فاظلم بالنأى المشت نهارها * فقد نابها ارعامن الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها * ويهزأ بالاغصان لين قوامها
اذا مال فوق الغصن نهاخمارها * وليس لبدر التم قامة قدها * وماهو الا اجتلاها وسوارها
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها فى القلب دارها * يمثلها بالوهم فكرى لناظرى
وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها * ويهيج دمعى حرنار صبابتى * وما خمدت بالدمع منى نارها
وساعدنى بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعينى فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى * فقد صار بالاسقام صبا معذبا
قريح جفون من دموع هوامل * صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلى * الا ياسليمى قد أضر بى الهوى
وهاجت بتبريح الغرام بلابلى * رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى
كتمت غرامى فى هواك ولوم أبح * بسر فباحت أدمعى برسائلى * سليمى سلى ماقد جرى لى من النوى
فقد عادلى حاله رق عاذلى * لعل تجودى للكئيب وتسمحى * بوعد وبعد الوعد انت مماطلى
عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فبالسقم أعضائى وهت ومفاصلى * خفيت عن العواد لولا تاوهى
وعظم أنينى لا يرانى مسائلى * فرفقى فقد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل * فما آن أن ترضى على وترحمى
ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى * توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل

(وله رحمه الله تعالى)

ياربة الحسن من بالصد أوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويافتاة بفتان القوام سبت * مر فى الورى يا ترى بالقتل أفتاكى
لقد جنت غراما مذ رأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكى

الاسفل وفى العين الحمالق والواحد حملاق والحمالق النواحى وفيها اللحاظ وهى مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الانف وهو مخرج الدمع وفى العين الحوص وهو ضيق فى مؤخرها يقال رجل أحوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزر اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفى النظر الاعضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلى الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهى ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفى اللثة اللحمى وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمرة المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين أحمد الحوى النقاش ورد الى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها فصلة الاجزاء والسور وأخبرنى بذلك الموالى السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها مولانا السلطان الملك الصالح وصالته من مولده فقال فى سنة ٦٩٩ وله نظم رائق (عن) على بن أبى طالب رضى الله

ما آن أن تعطفى جوادا على نقد * أضحى فؤادى أسيرا لحظ عيناكى
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل أهواكى
حتى نواح قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رفقا لعبدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت يا هند ما قساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثى * وأنت يا هند لا ترثى لضناكى
والله لو مت ما أسلاك يا أملى * ولو فنيت غراما است أنساكى

(وقال آخر) كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير امام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول * وقائلة لى كيف حالك بعدنا
لتعلم ما هذا اليه يؤل * فقلت لها قد مت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلى طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل * فقالت وجسمى لم يزل مترجلا
فقالت وجسم العاشقين نحيل * فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * يسوم وداع ما اليه سبيل
قلعت لعينى فى هواك باصبعى * لكى لا أرى يوما على ثقيل

(وقال الواد الدمشقى عفا الله عنه)

يا من نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى * فبأى ذنب أم بأية حالة
أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى * وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشا وقيادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلبى أسيرا ماله من فادى * لا غرو أن قتلت عيونك مغرما
فلكم صرعت بها من الآسادى * يا من حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها عاكف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغمادى * وتعطفى جودا على بقبلة
فبهيم يسمكى شفاء الصادى * ماتت أطال الله عمرك سلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لو دام لى فيك الضنى * يا حبذ الا زال من عوادى * وأجل منك نواظرى فى ناضر
من خدك المتفرق الوقاد * وأقول ما شئت اصنعى يا منيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الامديح المصطفى هو عمدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

(وقال البهاء زهير)

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق * وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى
وتحتى بحار بالجوى تتدفق * سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول فتقل راحة * ولا أنا ممنون علىه فيعتق

(مجنون ليلى)

وقد خبرونى أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا * فهذى شهور الصيف عنا استنقضى
فما للنوى يرمى بليلى المراميا * أعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا * ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا * يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا * خليلى لا والله لا أملك الهوى
اذا علم من أرض ليلى بدا ليا * خليلى لا والله لا أملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا * ولو أن واش بالیمامة داره
وداری بأعلى حضرموت اهتدى ليا * وددت على حبى الحياة لو انه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا

الصاحب فلم يجد أحداً فقام فزعاً مرعوباً ووجد الباب الذى استطرق منه أخوه مفتوحاً فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نوراساطعاً من البيت ونظر فرآهما على

هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد باحسن صوت سقانى خمرة من ريق فيه

على أننى راض بان أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلاحب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لومات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سمته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

(كمال الدين بن النبيه)

أما وبياض ميسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى ورمان من الكافور تعلو
عليه طوالع الند الندى * وقد كالقضيب اذا تثنى خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ريى الى كم أكتم البلوى ودمعى
يبوح بمضمر السر الخفى * وكم أشكو للاهبة غرامى فويل للشجى من الخلى

(صفى الدين الحلى)

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء أصفتك من بعد الصدود مودة
وكذا الدواء يكون بعد الداء * أحييت بزورتها النفوس وطالما ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كانها * در بباطن خيمة زرقاء أمست تعاطينى المدام وبيننا
عتب غنيت به عن الصهباء * آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت من بعدها فيه يد البرحاء
ألقت به وقع الصفاح فراعها * جزعاً وما نظرت جراح حشائى أمصيبة منا بقبل لحاظها
ما أخطأته اسنة الاعداء * أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى واست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

(وله رحمه الله تعالى)

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى فضيت وما أودى الحمام بهجتى
وشبت وما حل البياض بمفرقى * قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى ولم تطرقى بين المنع والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق قبلت وصايا الهجر من غير ناصح
وأحببت قول الهجر من غير مشفق * قطعت زمانى بالصدود وزرتنى عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذممى أفعاله وترفقى

(وقال عفا الله عنه)

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج جلت علينا محيا الوجنة لنا
فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج * جورية الخد تحمى ورد وجنتها بحارس من نبال الغنج والدعج
حزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها ابغى عن الحجج جادت لعرفانها أنى المريض بها
فما على اذا أذنبت من حرج * جست يدى لترى ما بى فقلت لها كفى فذا الجوى لولا لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب أولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى فجاد لنا * وكان أبخل من تموز بالمطر رأت غداة النوى نار الكليم وقد
شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر * رشيقة لو تراها عند ما سفرت والبدر ساه اليها وهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر رشفت در الحيا من مقبلها
اذ نهبتنى اليها نسمة السحر * رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت من يرشف الراح قبلى من فم القمر

الدين رواية شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه يا أيها المولى الوزير ومن به * راق
* فى الجود حقا تضرب الامثال أوصاك بدر التم عند كماله * سعدا فوافى العبد وهو هلال ما عابه النقصان الا أنه * بلغ الكمال كذلك الآجال

راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر
(وقال ابن الساعاتى) قبلتها ورشفت خمر ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر
(وقال آخر) بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار
(الواوا الدمشقى تضمين)
قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
(لابن نباتة) عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما
(وقال آخر) ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السها دلانى * رويت أحاديث السها عن الزهر
(السراج الوراق)
يالائمى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا
(وقال آخر) وعدت أن تزورلى فالوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا
(لعزالدين الموصلى) قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تطن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن
(وقال آخر) قالت وناولتها سواكا * سادبفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريق * قلت لها له ذاقه سواكى
(وقال آخر) سالتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر
(ابن نباتة) ومولهة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض
(وقال أبو الطيب المتنبى)
بابى الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلابيا * الناهبات عيوننا وقلوبنا
وجنانهن الناهبات الناهبا * الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخلن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا * ويسمن عن برد خشيت أذيبه
من حر أنفاسى فكنت الذائبا * ياحبذا المتحملون وحبذا * وادلثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن فى مخاليا
(وله أيضا من جملة قصيدة)
ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عن اظات أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم
(الشريف الرضى)
وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر ومسك ومصندل * هيفاء ان قال الشباب لها انهضى
قالت وادفها قعدى وتمهلى * واذا سالت الوصل قال جاها * جودى وقال دلالها لا تفعلى

موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهودى فقيل له فى ذلك فانشد

تركت هوى موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت اهتدى
وما عن قلى تركى هواه وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له فى صباه ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله بن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت اعلامه سودا لانه كان بايع الخليفة ببغداد فارسل اليه بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الاندلس قبله ولا بعده بايع بنى العباس قط فوقف ابراهيم ابن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلانى والبيت الفلانى أعلامه السود اعلام بسودة كانهن اخذ الملك خيلان فقال الهيثم أهذا البيت شئ ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس (ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى أخيه الملك الاشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه فازالها وسار اجميعا نحو

 الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى بعضها أن يردعليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه فى الساحل

ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى ان ضاقت عليهم مراكبهم فيها ميرة لهم فاخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضي دمياط الماء من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بانفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى أضيق الاماكن فعند ذلك انابوا الى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده أخواه المذكوران وكانا قاعدين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ومد بساطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام المحلى الشاعر وأنشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا ... وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا الاله الخلق فتحا به المنى ... مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
بهال وجه الارض بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
وأسبل فاه البحر لحضم باهله ... وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام بهذا الدين من سل عزمه ... صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل ... نوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الارض رافعا ... عقيرته فى الخافقين مشيدا
اعباد عيسى ان عيسى وقومه ... وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغنى انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى

(ومنها حكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان مداعبة ومناداة فاتفق انه حضر فى بعض الليالى عنده

(ابن امرئيل)

وعدت بوصل والزمان مسوف ... حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خضباء منهل ثغرها ... درور يقتها سلاف قرقف
وتخال بين البدر منها والنقا ... غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها ... وعدت ولكن الزمان يسوف
يا بنة قد أطاعت أغصانها ... ورد اجتنابا اللواحظ يقطف
وغزالة يحكى الغزالة وجهها ... وبعيرناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به ... أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق ... وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا ... مالى الى أحد سواك تشوف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البدرى)

وما نأت سلمى وشط بها النوى ... وأيقنت أنى بالغرام أذوب
علقت باخرى غيرها متلاهيا ... ليطفى ضرام فى الحشا والهيب
وكان هيامى والهوى وصبابتى ... لمن هو فى الاولى الى حبيب

(وله فى المعنى)

تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها ... وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتى ... فاضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة ... تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا)

سألت القلب هل ميل لليلى ... وهل عندا الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تانى ... فقلت الحب فيه تقلبات
وبعتاد المحب تغيرات ... فلا تظهر لها يوما ملال
فنفضحك النصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى ... وتخلف الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا الجاج ... فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار)

يقولون هذى أم عمرو قريبة ... دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا انما قرب الحبيب وبعده ... اذا هو لم يوصل اليه سواء

(وقال غيره)

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه ... حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى ... فخان فكيف آمن الجديدا

(وقال آخر)

لم أنس ان قلت من وجدى لها غلطا ... ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة ... لتقرعن على السن من ندم

(وقال آخر)

أمن المروءة ان أبيت مسهدا ... قلقا أبيل ملابسى بدموعى
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... وأبيت منك بليلة الملسوع

(وقال آخر)

الى الله أشكو جور أهيف نادن ... وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت بعينى خده وهو جارح ... بعينيه قلبى والجروح قصاص

(وقال آخر)

قد كنت أسمع بالهوى فاكذب ... وأرى المحب وما يقول فاعجب
حتى رميت بحبه وبهجره ... من كان يتهم الهوى فيجرب

(وقال آخر)

سألتها التقبيل من خدها ... عشرا ومازادت يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها ... غلطت فى العد وضاع الحساب

(وقال آخر)

يا من سقانى من سقام جفونه ... وسواد خطى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه ... واليوم أقنع بالخيال ودونه

(وقال آخر)

صحبته عند المساء فقال لى ... تهزا بقدرى أو تريد مزاحا

فلما رجع الى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم على الليلة بشئ فقالت أنا اعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى أن ألانت أعطافه وأدارت في حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة في ذلك منها وتخالفت بيض الاكف كانها التصفيق عند مجالس الاعراس وتتابعت سود الخفاف كانها وقع المطارق من يدى نحاس وقال أجب عنها فاجابه بما في آخره

فاصبر على أخفافهن ولا تكن متخلفا الا بخلق الناس

واعلم ان اختلفت عليك بانه مافي وقوفك ساعة من باس

(وضمنه أبو جعفر الاندلسي فقال) ومورد الوجنات دب عذاره * فكانه خط على قرطاس لما رأيت عذاره مستعجلا * قدرام يخفي الورد منه بآس

ناديته قف كي أودع ورده مافي وقوفك ساعة من باس

(ومن البديع مايحكى) أن الشيخ ابن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة اسأمة الوحدة والى جواره جارية رث الثياب وكان اذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجيء ويركب أكتافه فتفوح له رائحة فيتأذى منها ويستحي أن يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له ياشيخ أما تستحي كلما تراني جالسا تجيء تركب أكتافي وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أخجله بهذا التعنيف قال له ياسيدي الشيخ ماهذا الذي تطالع فيه من العلوم فقال شئ في

فاجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغواص)

من عذيري من عذول في رشا * قاصر القلب هواه فقصر

قصر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قصر

(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل لب العقرب

وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر

ما اخترت عنك سلوا ولا نظرت * عيني لغيرك محيا وجهك القمر

(ابراهيم بن العباس)

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويسرع قلبي اذ يهب هبوبها

قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلي) اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ماحييت اختلاجها

وماذقت كأسا مذ علقت بحبها * فاشربه الا ودمعي مزاجها

(وقال آخر رحمه الله تعالى)

ياذا الذي زار ومازارا * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ماضره لو دخل الدارا

(وقال آخر) ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت مني ظاهري لجليسي

فالكل مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

(ابن نباتة) أناشده الرحمن في جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر

اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوا لعصران العاشقين لفي خسر

(أمين الدين بن أبي الوفاء)

يانازلا مني فؤادا راحلا * ومن الجوانب نازلا في راحل

أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) ياعاذلي في هواه * اذا بدا كيف أسلو عمري كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجبي) ملأت فؤادي من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبي رائغ

وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولي كبد حراء نفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها

كأن على قلبي قطاة تذكرت * على ظمأ وردا فهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب

أقل الناس في الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) ما اخترت تركك وداعكم يوم النوى * والله لا ملالا ولا لتجنب

لكن خشيت بان أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقادبي

(وقال ابن المعتز)

هب لعيني رقادها * وانف عنها سهادها * وارحم المقلة التي

كنت فيها سوادها * كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

الاقتباس فقال له أنشدني منه شيأ فانشد ابن كثير ساعة واقتبس في مطالعة الحال وقال كيد حسودي وهنا * ولي سرور وهنا الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذي أفكرت فيه وتتكثر به اسمع ما أقول فانشد ارتجالا من غير وقفة قلبي الى الرشد يسير *

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

(وقال آخر) ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

(وقال آخر) وما هجرتك النفس يا مى انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربى) اذا أنت لم تزجر بما صنع الهوى * بأهل الهوى فاقعد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كى الغضى المتلهب

(وقال الاقرع بن معاذ)

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بكم توالاضناء ماق رحالها * بحقك أخبرنى أما ثم التى
أضر بجسمى منذ مرخيالها * فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضابى وقولا فى حديثكما * ماضر لو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدا الكلام من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وقال عبد الله بن أبى الشيص)

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كانى قد قتلت لها قتيلا * فمالى بغير الهجر ترضى

(وقال الحسين بن الضحاك)

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننت ذلك المعشوقا

(وقال آخر) وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق
أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر) يا ويح من حبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يقيه * أنظر الى جسد أضر به الهوى
لولا تقلب طرفه دفنوه * من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها * وداوعليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشمامة بالعدو

(وقال اسحق مولى المهلب)

هيبنى يا معذبتى أساءت * وبالهجران قبلكم بدأت
فان الفضل منك فدتك نفسى * على اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
سقام على جسمى كثير موسع * ونوم على عينى قليل مفوت
اذا اشتد مابى كان أفضل حيلتى * له وضع كفى فوق خدى وأسكت

(وقال بشار) يا قرة العين انى لا أسميكى * أكنى باخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم غيران يرمينى ويرميك * لولا الرقيبان اذ ودعت غاديا

وعنده النظم يسير الحمد لله الذى * فضلنا على كثير فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له اياك أن تزدرى باحد فان مواهب الله تعالى فى الصدور لا فى الثياب اه (ومن اللطائف ما حكى) أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال فى حصاره فلما اشتدت به المحاصرة استدعى برزرائه فقال ما ترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ويفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لى رأى أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ما هو قال يجمع مولاى ما فى خزائنه من الذهب ويحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم ففعلت على الامر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر أن تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بان يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلا لألمعان نصالها حتى أدهش العيون فامر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب ومن جوده يرمى العفاة باسهم
من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها تجروحها فى دوائه ويشترى الاكفان منها قتيلها
فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) أن الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق ملبحا فر آه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك قبلت البحر فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال لانه ما سهل تطلع فى أضيق المواضع وهذا على

قبلت فالك وقلت النفس تفديك * ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لا تجعلها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمى ياأحسن الناس أننى * أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجر التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمى
ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فاذكاة منظرك البهى * وذاك بان تجود لمستهام
لرشف من مقبلك الشهى * فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الصبى

(وقال آخر) سقى الله بعاكنت أحلو بوجهكم * وثغر الهنا فى روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سواهك

(وقال آخر) ألم تعلمى ياعذبة الماء انتى * أطل لى اذا لم اسق ماءك صاديا
ومازلت بى يابين حتى لو انى * من الوجد استبكى الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بابى شجاع)

لا عذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما * ولا هجرن من الرقاد لذيذه
حتى يعود على الجفون محرما * هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلاسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

(وقال العتبى) أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(الرفاء الاندلسى) ومهفهف كالغصن الا أنه * تحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكال خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

(وقال آخر) اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف * كان نسرين وجنتيه
بشعر أصداغه مغلف * يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

(وقال آخر) مازال ينهل من صرف الطلا قمرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق * فعاثل فعلت فعل الشمول به
فعل النسيم بغصن البانة الورق * جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

(وقال آخر) أركان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون أسرر وفيه لطائف
رعى الله أياما وناس عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف * وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى
يريد امتحانا لى وما انا زائف * يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبى اللون انك حائف

(وقال آخر) أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكأس من أعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

(ومما قيل فى الرقباء) لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر فى التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

(وقال اعرابى) بسهم الحب كم فى فؤادى * ولا كالكم من عين الرقيب

القياس جاء فى أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفة) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فاخذ ابن المنير الطرابلسى يوما واضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على خطية وقال يامن هم فى الطبقة * هل عندكم من شفقه
لسائل متيم * يطلب منكم صدقه فاجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله يامن أتانا سرقه * بهجة محترقه جدك باذا لم يجز * أخذك مناصدقه فخجل الشريف وذهب انتهى (ومن المستعذب مايحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جاريته مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال ياافضل قل فى هذا الورد فانشدته بديها كانه فم محبوب يقبله * فم المحب وقد أبدى به خجلا فقال الرشيد ماتقول ياجارية فانشدته كانه لون خدى حين تدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا فقال الرشيد قم ياافضل فقد هيجتنى هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه

(ومن الغايات التى لاتدرك) ماحكاه الشريف المقرى فى شرح بديعته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب به الى أبيه وقال له اقرأ ماعلى هذا الخاتم فلما قرأه حصل فى نفسه تأثير فارسل خلفه وعقد مجلسه الذى القاضى وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ماذنبى وأنتم ترون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أوتتكلم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت الا ماتتبركون به فى كتابكم فكتبت نجم عشق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام

فهذا من الاتفاق العجيب اه (ومثل ذلك) قول أبي نواس يهجو خالصة جارية الرشيد لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع درعلى خالصه
فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الا ضاء فاستحسن موار بته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عيناه فابعد اه

(حكى) عن أبي العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي انه يوافقني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله في المسلمين اه (وقيل) زفي رجل بجارية فاحبلها فقيل له ياعدو الله هلا اذا ابتليت بها حشفة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام (وقيل) لاعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) أن عليه بنت المهدي كانت تهوى غلاما خادما اسمه ظل فخاف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي ينهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وقال وسليت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال

تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب ومن حذر الرقيب اذا لتقينا
نسلم كالغريب على الغريب * ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

(وقال آخر)
من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

(وقال أحمد بن أبي سلمة)
يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيب
أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب

(وقال آخر)
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

(وقال آخر)
وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

(وقال آخر)
وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن البكاء طال عمره * فشابت دموعي عند ما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي

(وقال آخر)
ولم أر مثلي غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معي
وما زلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

(وقال آخر)
رجوت طيف خيال * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

(وقال آخر)
يا نازح الطيف من نومي يعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عيني بادمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

(وقال آخر)
ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لا تسل * عن حالها يا ما جرى

(وقال آخر)
أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا أرى
وعلمت أن فراقكم لا بد أن * يجري به دمعي دما وكذا جرى

(وقال آخر)
ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يامر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر)
يقولون لي والدمع قرح مقلتي * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لا تتعجبوا * فكل وعاء بالذي فيه ينضح

(وقال البدر الذهبي)
قالوا تباكى بالدموع ومابكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فاجبتهم هو من دمي لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

(وقال ابن مطروح في الغيرة)

ولو أمسى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * أغار عليك منك فكيف مني

(وقال آخر)
أغار عليك من نظري ومني * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو اني خبأتك في جفوني * الى يوم القيامة ما كفاني

(المظفر بن عمر الاشمدي)

قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحببكم وهلا كي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال غيره)
لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح
ذاك زمان مر حلوا لجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضى)
علالني بذكركم واسقياني * وامزجا لي دمعي بكاس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر)
قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ماحق طرف هداني نحو حسنكم * أني أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلي)
فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعدا الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل في السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر
ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر في أولى تسايره
كانما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(وقال آخر)
ليل المحبين مطوي جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا ان الصبح نمهلنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره)
فلم أر مثل ليل ذوي التصابي * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافي * ويشكو قصره أهل الوصال

(وقال آخر)
ليلي وليلى سواء في اختلافهما * قد صيراني جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كالبخيلة * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال آخر)
ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره)
رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عيني فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقي * صحت بالليل أما فيك سحر

(وقال آخر)
ياليل طل أولا تطل * لابد لي أن أسهرك لو بات عندي قمري * مابت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد)
خليلي مابال الدجى لا يزحزح * ومابال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الهدى المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر)
كأن الثريا راحة تنشر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ)
لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال آخر في ليلة ممطرة)
أقول والليل في امتداد * وأدمع الغيث في انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

(ومما جاء في الاشعار الخمرية قول صفي الدين الحلي)
بدت لنا الراح في تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
أطفال در على مهد من الذهب * بكر اذا زوجت بالماء أولدها
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما في سالف الحقب
قبل السلاف سلاف العلم والادب * باكرتها برفاق قد زهت بهم
بكل منتشح بالمصل مؤتزر * كان في لفظه ضربا من الضرب
رب ليل غداق الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب * بذلت عقلي صداقا حين بت به

وأندرون ما قالت المرأة فقالوا ما ترى لها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أي أسكنها عن الحركة واذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فاخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة في نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعني أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أي ليشكوا حالهم ونزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها من هذه فقالت يامولاي هذه

أزوجك ابن سحاب بابنه العنب * بنتا بكاساتها اصرعى ومعاسر بنا * بعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعـ ـلم الهرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها العال أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغـ ـره الشنب

(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبـ ـل فوات
ثم السرور فقـ ـم بنا يا صاحبي * نستدرك الماضي بنهب الآتي * توج بكاسات الطلا هام الربا
فى روضـ ـة مطلولة الزهرات * تغدو سـ ـلاف القطر دائر تربها * والكاس دائرة بكف سـ ـقاة
تلف النضار على العقار غنيمتي * وفـ ـراغ راحاتي على الراحات * تركي لا كياس النضار جهالة
من ذا أحق بها من الكاسات * تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس منقد نحـ ـد فتاة
تابع الى أوقاتها داعي الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تمـ ـم بها نقص السرور فانها * عنـ ـد الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حي الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس عـ ـلى جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح * حاش الانام وعاطني مشمولة
ظنت فسادي وهي عـ ـين صـ ـلاحي * حمراء لونك السقاة مزاجها * أغنى تلالؤها غنى المصباح
حبب تظـ ـلل به الكؤس كانها * خصر الفتاة تمنطـ ـق بوشاح * حجب الحباب شعاعها فكانه
شـ ـفق تلهب تحت ذيل صباح * حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنـ ـع بانك صاح

(وقال آخر) قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
بالله ما أنصـ ـفتها يا سيدى * تاتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلي) ان شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رأها جوهرا سميت طلا * فيزما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية) وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطالعها الساقي ومغربها فمي
مـ ـدام كنبر فى اناء كقضة * وساق كبـ ـدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر) كان الندامى والسقاة ودننا * وكاسا تنافى الروض غلى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغـ ـرب

(وقال آخر) فكانها وكان حامل كاسـ ـها * اذ قام يحـ ـلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم) صدح الديك فى الدجى فاسقنيها * خمرة تـ ـترك الحليم سفيها
لست أدرى مـ ـن رقـ ـة وصفاء * هى فى الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم يا غـ ـلام ودع مقالة من ثصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح * خفيت تباشير الصباح فاسقنى
ماضل فى الظلماء من قدح القدح * صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمعان الاشهـ ـل وانشرح
تالله ما مزج المـ ـدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح * هى صفوة الكرم الكريم فاسرت
سراؤها فى باخـ ـل الاسمح * من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذران خلع العـ ـذار وأوضح

(وقال غيره) وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا * مازلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

(عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس بريناها آية الصبح فى الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر * مقطبة مالم يزرها مزاجها
فان جاءها جاء التبسم والبشر * فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

أزوجة غلامك فيروز فقال فنزل الملك وقد حاصره جيشه وشغلهم فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله (١٦٨) فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيدز وجك فلما سمعت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتيني فقالت يا مولاى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم ساترك ماعلم من غير ورد * وذلك لكثرة الوراد فيه اذا سعط الذباب على طعام

رفعت يدى ونفسى تشتهيه * وتجتنب الاسود ورد ماء
اذا كان الكلاب ولغن فيه * ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير محبوب والله لا قال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب ثم قالت أيها الملك تاتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها ونسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فعاش وقال عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى ساحة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه

بمائة دينار فمضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذا قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها (١٦٩) فاقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها

(وقال ابن تميم)
وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس)
تزل الطل بكرة * وتولى تجددا والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)
كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

(صفى الدين الحلى)
كيف لاتخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

(غيره)
صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)
نديمى لاتسقنى * سوى الصرف فهو الهنى ودع كاسها أطلسا * ولاتسقى مع دنى

(تقى الدين بن حجة)
حبابها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

(أبو الطيب المتنبى)
ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضئ علينا من أنفقها الغسق
خمرا اذا ماند يمى هم بشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر)
بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر)
عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار)
باكر لكرم العنب المجنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

(جولان العاذلى)
اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)
يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * واست أخسر لا قدرا ولا حطبا

(وقال أيضا)
وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأخجلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يحول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب باعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره)
لاتعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقا بتصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذا يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره)
عابوا على مداما * أخرتها الصبوحى واستنكروها وقالوا * تخلات قلت روحى

(وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق)
أما ترى الرعد يبكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا * فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى * وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

(وقال آخر)
ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا * بتنا بها نسقى سلافا رقرقا

زوجها ولا ألم بها فاتى اليه أخوها وقال له يافيروز اما أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان بئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فاكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ماتقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضى قد استلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ماقولك قال والله يامولاى ما رددت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ثمرا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة بسيرة وخرج من غير باس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضى ولا غيره بشئ من ذلك اه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الفضل بن القعقاع عن مسائل فتحنه فيها من

جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم للمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير اللوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المتقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره اضراب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم بسطانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها زدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطالب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شانه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب برأيه الملتفت الى ورائه قال فمن

يذر الصحيح بعقله مرتابا * من كف غانية كان بنانها * من فضة قد دفعت عنابا

(وقال آخر)

أما ترى الغيث كالبا كى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

(ابن نباتة)

أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم رام فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة)

طربت لى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * ونارى بين نار نجى وراحى * فمشمومى ومشروبى ونارى
وثلجى والصباح مع الصباح * لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

(ابن وكيع)

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كان الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بها من قميص شقيق

(وقال آخر)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر)

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال * وحركت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا فى كل حال * فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

(وقال آخر فى الشراب على الغيم)

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فتشربه وتدعونى برطل

(وقال آخر)

فيا بكرا بكر بكرة بكر كرمة * تفز ببكور با كرتك بها بكر
ودا وخمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

(الصنوبرى)

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن * بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن * حمراء وقت صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج يفضى الى اليمن * فى ريقه عسل قلبى به خبل
فى مشيه ميل أرجى على الغصن * كأنه قمر مامثله بشر * فى طرفه حور برنو فيجرحنى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه سقما من الشجن * فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كأنها فرشت من وجهه الحسن * يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعد نامع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

طاب الصبوح لناقها الوهات * واشرب هنيأ يا أخا اللذات * كم ذا التوانى والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب موات * قم واغتبق من شمس كاس واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران فى الجمرات * يغسل فى قار الظروف حبابها
والدر يجتلب من الظلمات * عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف ساقى
يسعى بها أعبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات * يهوى فتسبقه وائب شعره
ملثمة كاسا ود الحيات * لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير ابى بشانهن من خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن أعفهن وأفخر احسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فاذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ما قلت وكأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الامير ساحدد وله لسانى وأجريه فى ميدانى فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغدبه قبل أن يتعشى بك فاخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فاخذها وانصرف راجعا فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام

(وقال أيضا) يا كرصوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدراري فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره * وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره * فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره * ساق تكون من صبح ومن غسق
فابيض خداه واسودت غدائره * بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن خفى اللحظ شاطره * مهفهف القد بيدى جسمه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره * تعلمت باسة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره * فلورنت مقلتاها روت آيته الـ
ـكبرى لآمن بعد الكفر ساحره * خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه بمرور الوقت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاحرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطى) أرى حرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا نجار وقلنا له * احمل الينا جرة كى نطيب * قال زبيبا قد تريدون أم
خمرا فان الكل منى قريب * قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى حوة عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب اصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة العلى * أن أخطأ الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

(ومما قيل فى شرب الفقهاء)

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بافواه الابارين

(فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده)

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس راح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

(ومما قيل فى كريم السكر اثيم الصحو)

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

(وقيل فى شجاع السكر) اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو لقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا قوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان لقوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أنا قاتل فيها كل ليث مناهز * ومن لى بحرب ليس تخمد نارها
لعمرى انى لست فيها بعاجز * ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال فى شرب الثلاثة) ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذى * يسقى وذا بالشرب مسرور

عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فارقائلها وخسر تاركها اما حاجتك يا اعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك

لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لي اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فاين تريد قال أمشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتعرض الشعر

قال انما يعرض الشعر الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتني الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طاعت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فخيبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطاردتني القريض قال مالي بمعاداتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال فقف متكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشعثاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك حرورية قال اللهم اجعلني ممن يجري الخير على يديه فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا أرضاك الله ولا حملك ثم ولى وهو يقول لا بارك الله في قوم تسودهم * اني أظنك والرحمن شيطانا فاجبتهم أبيت قبته أرجو رضاقته * فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث

(وقيل في شرب الاربعة)
ألا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

(وقيل في شرب الستة)
خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
واذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنية
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * وان أتيت به فاملك جانيه

(ومما قيل في الشرب مع التجار)
شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
وفيت الذي بعت الذراعا * وهذا قال عندي كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهم أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه في الشرب أكل * فلا يبقى على شئ براه

(وقيل في قدح) غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى * مهانا فاضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم مسلازما

محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض أصدقائه الى الشراب
بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشي أو حرير * وقد صفى دنان الخمر حتى
لقد عادت لدينا وهي نور * ومن برد السرور ربيع هنيا * اذا العيش الهني هو السرور
وعندي اليوم فتيان كرام * وجوههم وشموس أو بدور * وقطب الامر أنت وهل لامر
بغير القطب فيه رحى تدور * فرأيك في الحضور رفق يومي * عليك وقد دعا له الحضور

(وقال آخر) باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنا بعيش جميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم * كأن في كاسها والماء يقرعها
أكارع النمل أو نقش الخواتيم * لا صاحبتني يد لم تفن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندي من اللوم

(سيف الدولة بن حمدان في ساق)
وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض * يطوف بكاسات العقار كأنجم
فما بين منقض علينا ومنقض * وقد نشرت أيدي النجوم مطارفا * على الجو كنا والحواشي على الارض
يطارزها قوس السماء باصفر * على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة) سقى وأعادني وصلا لذيذا * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيلة الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

(وقال آخر في ساق) وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيانا الثريا

(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سودت * عبثا بلام عذاره موبونه
جد الذي بيمينه في خده * وجرى الذي في خده بيمينه

(في جارية ساقية) نديمي جارية ساقيه * ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

(فيمن حبس الكاس في يده) قالوا الذي تهواه يحبس كاسه * في كفه من غير ذنب موجب

وبين الاعرابي قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثر واجاعوا وان قلوا اضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلتها لابن الاشعث تغد عن الوساد ولا تزال نسك عن الجياد ولا شهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت خلاخلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها لحصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاه وخبثه ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وقيل) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذ هو بجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير

فاجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفه في كوكب

(وقال آخر في مجلس أنس)

ومجلس راق من دأش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

(صفي الدين الحلي في عود) وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدماوهو ريان ناعم
يغرب في تغريده فكأنه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

(وقال آخر في زامر) وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دونها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(ومما قيل في فانوس لابن تميم) انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو وتلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس في غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

(ولبعضهم في شمعة) حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

(ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره *وبدا البنفسج والشقائق مونق
والورد يضحك بينها وبهاره *فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هو الك وهذه آثاره

(وقال غيره) غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الابارق تسفك
فلم نر شيأ كان أحسن منظرا *من النور يجري دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

(غيره) ان السماء اذا لم تبك مقلتها *لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تجلي أنوارها أبدا * الا اذا مدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أياحسنها من رياض غدا * جنوني فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه) لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حيانى بثغر باسم * والماء وافانى بقلب صافي

(وقال آخر) قد سعينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها التمام من الاكمام

(ومما قيل في الازهار والثمار) قال بعضهم في الورد

يارا قدا ونسيم الصبح منتبه *في روضة القصف والاطيار تنتحب * الورد ضيف فلا تجهل كرامته
فهاتها قهوة في الكاس تلتهب * سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

عزة قالت فجعل الله وهل مثلك يخفى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل ومارمضة بالحسن طيبة النرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت (١٧٤) بالمجمر اللدن نارها ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لما قالت

(وقال آخر فيه) طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تامن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

(وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يخنق
لا تفتروا وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل في البنفسج) وقال ابن المعتز
ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات مفطن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(وقال آخر) اشرب على ظهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن بأثمد

(ولبعضهم في الورد) للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهيج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص ندى في خد ذي غنج

(وقال آخر) يا مهديا لي بنفسجا ارجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا بمصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

(وقال غيره في النرجس) وقضب زمرد تعلوها * عيون لم تذق طعما غماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

(وقال آخر فيه) أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنسمام حولي المسام
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

(وقال أيضا فيه) لما تمادى الورد في زهره * وراح من اعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل في اللينوفر لابن المعز المصري)
وبركة تزهو باللينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
حتى اذا الشمس دنت للمغيب * اطبق جفنيه على خده * وغاص في البركة خوف الرقيب

(وقال تميم بن المعز المصري)
رأيت في البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك
وصادني طبي الفلا بالشرك * فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

(ومما قيل في البان) قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفر والى برا

(وقال آخر فيه) أما ترى البان الذي يزهو على * كل الغصون بقده الياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال في السنجاب والبرطاس

مثل سيدك امرئ القيس وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب فقطعته ولم يرد جوابا (وحكى) عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى) قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها دراعة من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تاكلين قالت هو يطعمني ويسقيني فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم نجد ماء فتيممنا صعيدا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمين مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت

(وقال في الشقيق) حييته بشقة ثق في مجلس * ورأى الرقيب فشق ذا لعليه
فاحمر من خجل فانبت خده * أضعاف ما حملت يداي اليه

(وقال آخر) ولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومي الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فانشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل في المنثور) تخال منثورها في الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد في أغصانه سجعا * هذا هو العيش الا أنه فاني

(وقال آخر) قد أقبل المنثور يا سيدي * كالدر والياقوت في نظمه
تنال لا زال كأنفاسه * ومخ من يشتاقه مثل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الاحبة مرة * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور اقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل في الياسمين) والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكان مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفال بشرني بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

(ومما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي)

سقيا لارض اذا ما غمت نهني * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

(ومما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربي)

أفدي الذي زارني سرا فاتحفني * باقحوان يحاكي ثغره المتبسم
فبت من فرحي أفني مقبلة * لثما وأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(ومما قيل في الجلنار) وجلنار مشرق * على أعالي شجره * كأنه في غصنه
أحمره وأصفره * قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

(ومما قيل في الآس) أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

(ومما قيل في الريحان) وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصني نرجس وشقائق
بريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا) وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان البسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى في سوالف أغيد

(ومما قيل في الفواكه والثمار على اختلافهما) في الاترج قال ابن الرومي

هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمركم فقالوا نحن هذه أمة الهلمة منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل

وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اركبي قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت اقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت اقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قالت أللزوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم

فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان ابن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع

*(ووفد) * ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فاحسن فحمده معاوية فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبى لا تسأل الناس ما لى وكثرته * وسائل الناس ما جودى وما خلقى

أعطى الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أروى من العلق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس انى من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعمالك الله فقال منذ هتك سترك (ومن ذلك) ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف تروون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق

كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

(ولبعضهم فيه) حيالك من تهوى بارتجة * ناهيك مقدودة غضه

فخداها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب كانها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى اللیمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)

يا حسن ليمونة حيا بها قطر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب

كانها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

(وفيه أيضا) وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا

ترضى بعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد

قد اكتست تلها * من خده المورد * ولا تدع مجتهدا * لذة يوم أغيد

أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد * كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)

نظرت الى نارنجة فى عينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس

فقربها من خده فتألقت * فشبهتها الريح فى دارة الشمس

(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد

اذا صيلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان

أشبهها ثديا ناهدات * غلائلها اصبغن بزعفران

(وقال آخر) وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر

فطالعها بين الغصون كانها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر

أتت كل مشتاق بما حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى

(فى التفاح لبعضهم) ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق

وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جعن على طبق

(وقال آخر فى تفاحة) وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها ورشقائق

كأن الهوى قد ضمهم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

(ولبعضهم فيه) تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا

تعانقا فبدى واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه

كأن سلاف الخمر روى أصولها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه

تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

(وقال آخر) حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح

فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده

وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

(وقيل فى السفرجل) حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا

كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق قطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

(وقيل فى الكمثرى) وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من روح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتتلنا * مغبرة بلون الزعفران

(ابن برغش متغزلا) وكمثرى سبانى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر فى معنى وقد

(ومما قيل فى المشمش) يا مشمش الاشجار يذكوشهابه * على غصن أغصان من الروض مبيد
حكى وحكت أشجاره فى اخضراره * جلا جل تبر فى قباب زبرجد

(ماقيل فى الاجاص) انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه فى أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج فى خضر من الازر

(ماقيل فى الخوخ) أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثالها دقيق
جراء صفرا مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

(ماقيل فى الفستق) تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد

(ماقيل فى البندق) واقد شربت مع الحبيب مدامة * خراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

(ومما قيل فى النبق) وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون * كأنما النبق فيها
وقد حلا فى العيون * جلا جل من نضار * قد علقت فى الغصون

(ومما قيل فى اللوز) ومهد اللوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فاز بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

(فى العنب لبعضهم) هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جا آعلى طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فابيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

(فى قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص اب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

(ومما قيل فى البطيخ الاصفر)

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم يبارق

(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام

وله بصلة (وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى) قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والاضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فاخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال أين الحلى والسلب قال فى صدر

 السفينة تحت البوارى فقال المعتضد على به الساعة فحضر وابه فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفاتها وصفة ما كان عليها

فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من أعلمك أو حى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والشباب وهو ينادى يا أحد أول ملاح يخدر الساعة فانبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليها الحد ولا يفتك فكان ما شهدتم

(وحكى) ان بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه ظنا منه انى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فمد الراعى الى العنان وكان ما بساذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبى دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النمرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليهما وقال المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع من لم يكن بامين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع (ومن محاسن الاخلاق)

نخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

(ومما قيل فى البطيخ الاخضر)

وطبى أتى فى الكف منه بدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق * فمال الى بطيخة ثم شقها
وفرقها ما بين كل صديق * فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

(وقال آخر) وبطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمدية وقد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

(ومما قيل فى القثاء) انظر اليها أتاك بيسامنضدة * من الزمرد خضرا مالها ورق
اذ قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

(ومما قيل فى الباذنجان) وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكاره خمل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد منسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

(ومما قيل فى الانهار والبرك والنواعير)

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس فى حافاتها طلعا * والنهر من فوقه يلهيك منظره
شهب سمت لوية فارتج والتمعا * كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمى الى ضرب الكماة سعى

(وقال آخر فى بركة) يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بالقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها * كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها * اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها * لم لا حسبت سماء ركبت فيها

(وقال آخر) وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * فى الارض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربى)

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وقال آخر) يوم لقينا بالنيل مختصر * والكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

(وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى المجره

(وقال آخر فى النيل)

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعى * فى غيظ من طاب العلا
عم البلاد منافعى * وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعى

(وقال آخر) كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

(وقال آخر) وقفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أيادى

ماحكى عن القاضي يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومي فرأيته قد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلاثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائفا ألا ينتبهني حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتاهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهنالك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فامر لي بالف دينار فاخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلموه فانتبهه (وكنت) معه يوما في بستان ندور فيه فجعل ينثر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من أوله الى آخره وكنت أتمايل الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان أتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن في مكاني ولا كونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتاخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت ان أفيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطانا فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له في كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بما فاخذها ويجري

(وقال آخر في ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته * وأما دموعي فهي تجري على جسمي

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل مزيد * وكنها تبكي بغير صبابة
وأبكي بافراط الصبابة والوجد * وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعي من عيني يفيض على خدي

(وفيها أيضا قال الخطيري)

رب ناعورة كان حنينا * فارقته فقد غدت لي تحكي
أبدا هكذا ثنين بشجو * وعلى الفواند وتبكي

(ابن تميم) تامل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجري وذاك يدور

(فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

(لابن عفيف في قاض مليح) ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لي بسهم لحظ * قلت له دائم النفوذ

(وقال في فقيه مليح) وبهجتي ظبي غدا متفقها * وهو المهذب في لزاشة والحور
أمسى بسيط الشعر منه معطولا * لكن وجيز الحصر منه المختصر

(وقال في محدث مليح) علقته محدثا * شرد عن جفني الوسن
حديثه و وجهه * كلاهما عندي حسن

(وقال في امام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر في ليالي السعود
فتمنيت ان وجهي أرض * حين يومي بوجهه للسجود

(ابن الرومي في عروضي وأجاد) بي عروضي مليح * موتتي فيه حياة
عاذلاتي في هواه * فاعلاتن فاعلاتن

(في مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريم وجهه * لكنه بالوصل أي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربي) وبنفسي مؤذن قد سباني * لم يقدني شكوى الغرام اليه
كيف يصغي لما يقول حبيب * واضع أصبعيه في أذنيه

(وقال آخر في مريد)

مراد قلبي مريد * محجبا في لزوايا * وليس ذا بعجيب * ففي لزوايا خبايا

(وفي فقير مليح)

بي فقير يتغنى * بسناء وجه منير * لا تلمني في اقتضاحي * فغرامي بالفقير

(في أمير شكار لابن دنيال) بي من أمير شكار * وجديذيب الجوارح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

ا قال وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف اه (وحكى) ان أحمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما أتمنى قطائع غنم أنتفع بألبانها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ فقال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه رقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الاصمعي) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك رب دعا حزينا هائما قلقا
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه فمن يجود على العاصين بالكرم
ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها وافض حاجتي أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي أتحرقني بالنار يا غاية المنى * وسعدك ألمني فاين رجائي ثم أين مخافتي ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدفنت منه فاذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي

(في ملمع مغن)
أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(في ملمع عواد)
غنى على الغود طيب سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(في ملمع كاتب)
بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

(غيره)
وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقي * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

(وفيه أيضا)
يا حسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي وفيه أيضا)
فديتك أيها الوراق قلبي * لما لك بالوصال يكاد يبلى
وقد طاب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(في ملمع صيرفي)
يا سائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار قد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قد مت من جور الزمان وصرفه

(في ملمع بخاتي)
تسلطن في الملاح بخاتي * ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

(في ملمع فراء)
قلت لغرافري أدمعي * وزاد صدا وطال هجرا
قد فر نومي وفر صبري * فقال لما عشقت فرا

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين)
حبي المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

(في ملمع قصاص)
أشكو الى الله قصاصا يجر عني * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص عناه فقلته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

(في ملمع صياد)
ومولع بفخاخ * بعدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

(في ملمع رامي بندق)
وأهيف القد ذي دلال * طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمي الى البدر بالكواكب

(وقال آخر في راع)
أغديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفني بالجدي ناديته * ما القصد يا مولاي الا العناق

(القيراطي في ملمع طحان)
حسن طحان سباني * بلحاظ وبقامه * خاف من واش فاضحي * يجعل الغمز علامه

(القاضي بدر الدين البلقيني في تراب)
رب تراب مليح * أورث القلب عذابا * قلت لما أن بدا لي * ليتني كنت ترابا

(وقال آخر في ملمع عوام)
يا حسن عوام كغصن النقا * يخجل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف ان عاما

(ابن نباتة في ملمع حبشي)
بروحي مشرط طاعلى الخد أسمرا * دنا روفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وله أيضا)
ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * وتشرك كافورا وذكرك عنبر

وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخاتل ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد)

وزائر قال قلبى * للطرف يا طرف شاهد * مدحته فتجنى * تيها على بزائد
(وقال آخر فى مليح أرمد) شكا رمدا فقلت الآن كلت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه) تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمى حبيبه باسهمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبى حجلة فى أعور) ما شان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن مستزايده
لولا استخف العالمين باسرهم * ما طل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر فى مليح راهب) رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضرب بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

(القيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق فى حسنه وتما وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(آخر فى مليح اسمه حمزة) متى يبدو لحمزة ما بقلبى * ورثى لى وينظر فى بلائى
وأشفى بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائى

(وقال آخر) كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى فؤادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه وفى فؤادى

(فى مليح سروجى) فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذلى الركوب على السروج

(وقال آخر فى مليح محموم) قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذى كنت فى جنانه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى * فاثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لابى نواس فى مليح ألثغ) ومهفهف دنف الصبا ذى لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كاشح متبلد لا بالثغى

(وقال فى مليح خباز) ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال فى مليح حائك) وحائك باصاح أبصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره
فلم أرح الا ورو حى لما * عاينت فى كفيه ماسوره

(وقال فى مليح لاعب شطرنج) لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال) تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشدنى مالى أرالك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

(فى مليح خياط) خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل لجسمى ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

(وقال غيره) فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس

قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال اخبرنا المفحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك القوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة تنزل بها كتاب ولا جاءت بها السنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم

الشهداء وبناء عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال المدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والمدن بالمدن وقال تعالى والآذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة قال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فاكله الذئب ولم يقل فاكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسالك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وجماعة جميع (وحكى) أن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده ومجنه فتوصل يزيد بحسن

تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسي

(الصفي الحلي في مليح قالع ضرسه) لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقالع ضرسك بالمحال
أعاق الفاسي في كل تاديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال في مليح سلم عليه)

تنبأ فيك قلبي فاستراب * به قوم وعمههم الضلال * وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي
وقالوا ان معجزه محال * ومذ سمات سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

(وقال في مليح يرمي بالسهام) وظبي بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا باسهم
كبدر بافق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنا بانجم

(وقال في مليح يضرب بالعود) فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كان لسانه بيمينه * وكان ما بيمينه في فيه

(وقال أيضا فيه) وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال في مليح مشيب) يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مرادا السمع والبصر
ضمنت للصب اقبال السرور كما * ضمنت نيل منا ي الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

(وقال في مليح ساق) وساق من بني الاثرال طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو في

(وقال أيضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه)

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * يا طلعة الشمس التي
جاء الصباح دليله * لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتني * بل الفؤاد غليله

(في مليح قارئ) نفسي الفداء لشادن شاهدته * يوم لزيارة قارئا في المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبي وتضني كل صب مدنف
فتلا ملي اجمل سوره يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر في مليح مكمل العذار * وكامل العارض قبلته * فصدني وزور من قبلتي
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت مستكر في حيتي

(وقال آخر في مليح حجام) كانت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواظبي
أضحى كثير الاشتباط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل في الالغاز)

(في غزال) اسم من قد هويته * ظاهر في صروفه * فاذا زال الربعه * زال باقي حروفه

(في كوز رفقاع) ومحبوس بلا ذنب جناه * له في السجن ثوب من رصاص
اذا ما طلقته وثب ارتفاعا * يقبل قال من فرح الخلاص

(في زروزر) مطية فارس هار اجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مربوطة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

(وقال في طاحون) ومسرعة في سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشي ولا تتعب

تاطلمه وأرغب السجان واسمه له وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أنهى

وفى سيرها ماتقطع الاكل ساعة * وتاكل مع طول المدى وهى لاتشرب
وماقطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها البن مالذقط الشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

(فى دواة أيضا) وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كانهم اذا وجواحشاها * أفاع فى أماكنها رقود

(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

(وفيه أيضا) بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كان ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ماحركته الاصابع

(وفيه أيضا) وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مطلوما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ماتراها قط تبتسم
كانها من صروف الدهر خائفة * تبكى دماء على ماسطر القلم

(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير باغ * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين مادمت تبصر

(فى سلطان حسن لابن أبى حجلة)

ما اسم محب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان * تحميه أمسى حبيبا كلما
صحفت أحرفه بحسن بيان * لوجادلى يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(فى شبابة) وماصفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها ابنان * منقبة وليس لها نقاب * تصيح لها اذا قبلت فاها
أحاديث تلذ وتستطاب * ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها أيضا) وعقر وحة الاجفان مثلى شجية * تناعت عن الاهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذاك محرم * ولاحرج كلا ولاوجب الحد
اذا ماوطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزورا
وتصحفها فى كف حاملها فقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

(فى دملج) الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد الجسم منه فضة * والقلب منه جامد
(فى خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا نوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

(فى شعر اللحية) وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفى قلب هرون له الهلك والمحق

(فى التين) أى شئ لذ طعما * ناعم الملمس ولين كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين
(فى الموز) ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا

أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما منه طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجارنى فاجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لابد أن ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا بزيد ابن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ناشهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا

والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبى أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما تحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد

وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى (حكى أبو علي المصري) قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي (في) وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * بعدكم أصالها وضحاها وفارقتم الدار الانيسة فاستوت *

تراه معدودا ان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(في حزة) من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان اينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذي أنا أهواه وأعشقه * وطول دهري أخشى من تجنبه
تصحيفه في فؤادي دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي ذقنه

(في ساقية) وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي أمهم * وليس لها ثدي وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكي اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شفقوا بعد حرقهم * وما كان شفق القوم الا بواجب

(في زروعروة) وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

(في راوية) وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون اختها * وثنتاهما واحد في العدد
وتحبل في الوقت هي واختها * وفي ساعة يضعان الولد

(في شطرنج) ياذا الذي ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

(في فيل) أعما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان وانقاب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لي ثلثاه

(في بجع) ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب منقاره في بطنه * والعين منه في الذنب
(في نار) وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * يمد لسانا يختشي الرمح باسه
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر * يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * وياكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فتم عنها ونبه لها عمر

(وفيها أيضا) وآكله يغير فهم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(في يد الهاون) قل لي فما شيء يرى نائما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفتل الرأس قوي الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

(وفيه أيضا) خبروني أي شيء * أوسع ما فيه فمه * وابنه في بطنه
يرفسه ويلكمه * وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(في خشخاش) وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالطرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عمدا على راحة الكف

(في كوز زير) وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

* رسوم مبانيها وفاح كلاها كانكم يوم الفراق رحلتم * بنومى فعينى لا تصيب كراها وكنت شحيحا من دموعى بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها يرانى بسا ما خليلى يظن بى * سرورا وأحشائى السقام ملاها (١٨٥) وكم ضحكة فى القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها رعى الله أياما بطيب حديثكم تقضت وحياها الحيا وسقاها فما قلت ايها بعدها للمسا من الياس الا قال قلبى آها

(فى اسم على) اسم الذى أعشقه * أوله فى ناظره ان فاتنى أوله * فان لى فى آخره

(فى موسى الصفدى) وما شى له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

(فى حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى)

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجى النغم

(وقال فى سمرقند) وما اسم سداسى اذا ما لحته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر * وثالث رعاك الله يا صاحبى له
على مدد الايام نشر معطر * وفى نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

(وقال فى كمون) يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعينين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

(وقال فى قالب الطوب)

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(فى العين) وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما أشرت اليه ومالمحت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (وانذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يعتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى والمرخص الغالى ولو بسطت المقال لاتسع المجال ولكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

(فصل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح)

(لابن المبارك) قد أتحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذحل
(دور) أميل له فلا يميل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذا زاد بى النحول
أما حل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجم المزحل
(دور) كم أبعدوكم أبيت مكمد * ويعمد بهجره لا نقد * وأجهد لارتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * تحمل والوعد منه ماحل
(دور) متوج بالحسن هذا الابلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذو الادعج
مكحل وثغره مخلخل * مخلخل بعنبر مجدل

(٢٤ - ف - نى) تعالى فسافرت وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه

يا عاقل فقلت أفاض القوم فى ذكر الجوارى * فاما الاعزبون فانهم قالوا انك لا تبقى عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله اغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لى فى الرجوع فاكتب عدوى وأمير صديقى فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغننى أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالنى من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال جىء بزيد بن المهلب فحلق حلاقا يحلق رأسه فجاء بحلاق فحلق رأسه فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى الى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف اخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال انه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد فقطرت الشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود وما السرور بعدعزلك بهجة * وما الجود بعد يزيد بن المهلب جود فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولجى يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق

(دور) برغمى من يستحل ظلمى * ويرمى بحربه سلمى * وجسمى من التزام سقمى
منحل وقد غدا مرتحل * فمن حل سفك دمى وماحل

(دور) فلانى واشتط ذا الفلانى * غزانى بطارفه اليمانى * ترانى أنشد لمن يرانى
قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوصل القلب فيه مذ حل

(لابن سناء الملك) كالى ياسحب تجان الربا بالحلى * واجلى سوارك المنعطف الجدول

(دور) ياسماء فيك وفى الارض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهى ما تهطل الا بالعطايا والدما
فاهطلى على قطوف الكرم كى تحلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور) تتقد كالكوكب الدرى للمرتصد * يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد
فاتئدى ياساقى الراح بها واعتمد
وامل لى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فقم يا نديم
واجل لى من أكؤس صيرت من فوفل * ألذ لى من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذ هنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى * واسقنى على رضاب الفطن الملسن
والهنى ببعض ما صيغ من الالسن
لو تلى مدح سناء مع رشا أكحل * لذ لى على سنا الصهباء والسلسل

(دور) أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء عذ فقصرت
طولى يا ليلة الوصل ولا تنجلى * واسبلى ستر ك فالمحبوب فى منزلى

(دور) من ظلم فى دولة الحسن اذا حكم * فالانام يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة والحسن لم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

(وله أيضا) ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

(دور) لقد أسرفت فى هجرى وصدى * بلا سبب سوى كلفى ووجدى * وماذا فى سلو عن يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

(دور) لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا جفنى المنام * فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أشف به النحول

(دور) لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

(دور) تلقته الموالى والموالى * بالحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا) شمس الحيا أم القمر * أم بارق الثغر ابتسر أم ابلها حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

(سلسلة) قم تباهها يا تباها ولا تلاها

(قفلة) فكل أحبابنا حضر * والعود يشجيك والوتر

(الدور) أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى

هذا الذى خفت منعا ساما منعتك من دخولك عليه فاخذها وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بعجوز اعرابية فذبحت له عنز فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه رضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان رضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى (وقال أبو العيناء) تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أجود بن داود أسخى منهم جميعا وأفضل (وسئل) اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفى يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى عن والد بعد والد

(وفى الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس يسأل اذا سيل حاجة * ولا يمكث فى ثرى الارض ينكث

(وفى محمد يقول القائل) سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عز ابذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد

فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لا صون وجهه عن المسئلة (وجاء) رضى الله تعالى عنه اعرابى فقال له يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير

بدر بدا فى دجى الشعر * فدلنى فى حبه سهرى

(سلسلة) ذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

(قفلة) تحير فى وصف الفكر * والعقل والسمع والنظر

(الدور) فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب

اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

(سلسلة) فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

(قفلة) الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

(وقال رحمه الله تعالى)

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هموا بالمحنى

من لقاهم ولانات المنى * قلت ياقلب صبرا ما صبر

والتى ما الهوى الا عنا * ما كتمت الهوى الا ظهر

من شهود المدامع والضنى

(دور) ايش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا بعشق سوالك

راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هوالك

لست ألفى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لمالك

لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور) يا قمر فوق غصن من نقا * اتخذتنا مطالك والصدود

يارعى الله لو يلات اللقا * ليتها ياخل يومالى تعود

ليلة السعد ما فيها شقا * كيف نشقى وطالعها سعود

صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره) جلت مذ سارت الحول * وجدا مضى العمر وهو باقى

(دور) سار وسار الفؤاد لكن * جسمى مقيم على المساكن

وعنى الحب صار ظاعن * مالى لى وصله وصول

لو سرت بالبرق والبراق * وغادة كالقضيب قدا

(دور) والورد والياسمين خدا * كانها البدر اذ تبدى

وشعرها أسود طويل * كانه ليلة الفراق

(دور) هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا

فقلت شمس تزور ليلا * ومادرى كاشح عذول

فذاك من أعجب اتفاق * وسدتم ما سعدى لسعدى

(دور) وبت أرعى رياض ورد * وخمر ريق كذوب شهد

لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

(دور) لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما

قالت كلمت الخدود لثما * ما بشتهى مثلك ذا العليل

بغير نومى وشيل ساقى

(فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت)

(لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى)

أهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق

تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثنايا وبينى فرق

(وقال أيضا) أهوى رشأ كل الاسى لى بعثا * من عاينه تصبرى ما لبثا

ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وقال أيضا) عرج بطويلع فسلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسند الى

واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي اكسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا انه أبا حسن قد نلت مكرمة *
ولست تبغي بما قدمته بدلا ان الثناء (١٨٨) ليحيي ذكر صاحبه * كما غيث يحيي نداه السهل والجبلا لا تزهد الدهر في عرف بدأت به *

كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شانهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وسئل) اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فاراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين على فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بالف ألف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان موسى ابن شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك تهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك قال فاتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فاتتني بمطرف خز فصرلي في زاويته مائتي دينار فخرجت وأنا أقول أبا خالد أعني بلا سعيد بن خالد * أنا العرف لا أعني ابن بنت سعيد ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد عقيد الندى ما عاش يرضى به الندي

(وقال أيضا) روحي لك يا زائرا في الليل قد * يا مؤنسا وحدتي اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسهر بعد ذاك صبح أبدا

(وقال آخر) يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ما قتلوا كمدا ولا بالهوى ماحوا

(وقال آخر) أهوا مهفهفا تقيل الردف * كالبدر يجلى حسنه عن وصف
ما أحسن زاد صدغه حين بدت * يا رب عسى تكون وارد العطف

(وقال التلعفري) قلبي ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لحاله شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

(وقال المنشد) احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقي الاهو
ان أبعدك الزمان عني حسدا * مولاي خليفتي عليك الله

(وقال آخر) ان جئت يا الحي ولاحت نجد * فاذكر ولهي وما جناه البعد
قد كنت أقاسي الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

(فصل في الفن الرابع وهو الزجل)

(حمل للبغاري) قل لغزلان وادي مصر والشام يقصروا اذا النفار لهم أجعل حشا شتى مرعى وفؤادي قفار
(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
أبيض وذا أحمر وذا ملبح أسمر لو عيون نجل سود وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار وذا بدر الكمال قد ظهر في الليل وذا شمس النهار
(دور) تدر بالله ايش قالت ملبح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود وتخضب نقا حنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق لكم قلنا والحسود راح بنار أنتم التفاح وما قصد منكم الا الخيار
(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الاخلاق في الخلائق مباح احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفي الالفاظ والظرف والمعنى ليس لاحد صار ودرثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار
(دور) حسن حبي الفرار جي فرحه بدر في السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق الملاح الملاح كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفني بنار وجفاني وخد بياض جسمي خلطوا بالصفار
(دور) وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم يا ساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس هاتها شمس راح شمول فرقف بكر عذارا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار قد جلوها في كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار
(دور) خمر فيه سر لو جعل أشياف رد الاعمى يبصير
اقطع القطف أسود يحاكي الليل شفق أحمر يصير يا ترى ذا السر في كرمه أو يكون في العصير
وترى النور داعليه يلمع ذاك من ايش استنار وكذا الكاس يحاكي ياسمير من كساه جلنار
(دور) فهو عطار عند وشراب هندي وبراني جفاه
كل من مص من اسانور يقو يلتقي فيه شفاه وردخدو وحبتو سودا شبه خال في صفاه
جبل آمس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار في المحبا غار واعلى حسنو وكل من حب غار
(دور) دور وفي الملاح على كعبي ونصو النصوص

* فان مات لم يرض الندى بعقيد ذرو وذروه انكم قدر قدتمو * وماهو عن احسانكم برقود فقال سليمان قل ما شئت وكتب كاتوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود * بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ما

بلا دعوى التف الف اليسير فى هواهم خصوص وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مارأوا خالفه هم ولوا صطبار قمر ونى فى عشق هذا القمر والمحبه قمار

(دور) لحبيبي ثغر من جوهر والشفيفات عقيق

وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق وخدود ردن من غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار فى صناء وجهوا نزه طرفى عند خلع العذار

(دور) فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف

كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف وأعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

(دور) أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال

والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال نبي من بين أصابعه تحقيق نبع الما الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد البحار والخلائق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

(دور) خلف أستاذ فى الفن ما ينطاق ذاق عداه المنون

ما يعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
بانضاء ومع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار وأهل الفنون تجرى وما تلحق للغبارى غبار

(غيره لناصر الغيطى)

كنز روضى طالبو سعد ياخليع قم فى دجى الاسحار تلقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

(دور) كنز روضى نزهة الطالب جوهر وبين الندى يرهج

ولجين الماء بيتكسر ياخليع هيا نعا اتفرج بين غنا ير نا لتقى الخلع كل أحد مع الفويدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وما وأطيار فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده حكت لنا دينار

(دور) وترى الياسمين بحال فضة ضربت لاهل النزه صلبان

والشحار ير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان وكذ الكمان وهو أصفر بعما ئم زرق للناس بان
وانجات بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار والقطيع الراهبي يحكى لشماس لابس الزنار

(دور) الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق

داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبو بو عليه يشفق والهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا مطمن وسطار وضا زهرها معطار فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صح فى نار

(دور) وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور أنغام

والنسيم شبب والغدير صفق والخليج من كتر وجد وهام والنخيل باكمامها ترقص وأقبل الريحان بحال أعجام
والعصافير شيخهم زيق لو طريق بين الازاهر طار والبابل بالغنا يشجى فكانو نای أو مزمار

(د ور ناصر الغيطى) يا أخلا يا صحبت انسان أنكر الصحبه وعادانى

وبغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى فى بلاد قبلى وأرض الشام يشكرونى سايرا قرانى
والشحيح الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار والبلط بوقوع لو تعلق ما يحصل شئ مع الشطار

(للغبارى) جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جايحور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور و يكون الرشيد

(دور) اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار

وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار كنت أحسب قلب معور يس غير تو ذى البحار
صحت لما وحلت يا محبوب بحر عشقك يزيد خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

سد فقرا نهو محمود
فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله
(ودخل) طلحة بن عبد الله ابن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اخترعشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال يا طلح أنت اخو الندى وعقيده * ان الندى ماتا طلحة ماتا ان الندى ألقى الى لك رحاله * فحيث بت من المنازل باتا (ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج بباب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال واقد قدمت على رجال طالما قدم الرجال عليهم فتمولوا أخنى الزمان عليهم فكانما كانوا بارض أفقرت فتحولوا فقال أبو الشمقمق الجود أفلسهم وأذهب ما لهم فاليوم ان رأموا السماحة يبخلوا قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكى

عن أبى العيناء انه قال) حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون مجلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسنى وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء

بالالفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب

ان لم يكن لى أسباب أعيش بها * فنى العلالة أخلاق هى السبب

فقال يا سلامة انظر أى شئ فى بيت مال النادون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين مادا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الاغمش) كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت عافها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ

وحكى أبو القدامة العشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى

فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فامر له بفرس أبلق كان يحبه وبمائة دينار وخلعة سنية فاخذها وانصرف

(ومن الغرائب) ما حكى أن قوما من العرب توفى بعض أعيانهم فخرجوا الى قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى

(دور) انا يوم فى الغوطة باتفرج على شط الغدير

اذ رأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير نظرت مقلتى الى منظر ما احسنو نظير

قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد يوقعك فى فخ شباك عشقو وكراكى يصيد

(دور) من نحبو حديد حبيب قلبى يوم صد فتو صدف

قلت لين يا قاسى لمن دمعو سال وحالو وقف دار وقال لى ما الاسم بالانجيل قلت اسمى خلف

قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد فى الحقيقة من لا يكون داود مايلين لو الحديد

(دور) لك عوارض فى الخدر قومه ليس لها من مثال

وجفاك صار حلق وباب وصلك كان وكان يا غزال وأنت دو بيت موشح القاما يا عز بز الدلال

ولك ألفاظ صارت مسواليا بالزجل والنشيد و بشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

(دور) عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار

حين وجدنا سفر جل البستان يذهب الاصفرار وغنا الطير به الجاد يطرب وكذا الجلنار

فى ربيع حين زرأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

(دور) من لهيب مدمعى جرى الطوفان للهيب ماطفى

وأنا هو الغيارى فى العشاق ما جرى لى كفى حين علينا بالصد والهجران والبعاد والجفا

جار حبيبى فقات ذا الجاج بايجور أو يزيد لو عدل عشت بو مسرور و يكون الرشيد

(غيره) حين سكنت القلب يا عيسى أمسى من بعدك الحزين فرحان

وتقدس بك ولكنو ما جرت فيه يا ابن عين سلوان

(دور) عارضو لما عشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير

جيت الى طرفو وناديت لو أحرسو وكون عليه ناظر بعد حين نظرت فى خدو الفى العارض وهو دابر

وعليه قد دب بالسرقة جيت لطرفو قلت يا كسلان هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى أنا نعسان

(دور) بدر شعبان منيتى لما فى بروج السعد لاح نجمو

قلت لو اقضى بفيض دمعى الطلق واجراه على رسمو قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشموم قسمو

ايش قد أذنب حين قطر تو دا بغلط قول بالهجران

قال لى صوم عن الوصال ناديت ايش أصوم يا بدر فى شعبان

(دور) حين تديح احمر خدو باخضرار العارض اسبانى

ضحك فابيض وابتسم واسود شعرى وأبكانى وحين أضحيت باسفرار لونى أشعث أغبر فى هواه عانى

قال لى لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعى ماوفان ذقت تبريح الغرام ناديت فى هوالذقت الهوان ألوان

(دور) قلت لو حين عنى تخلف لله كن لى يا رشيد مهدى

قد تلون دمعى من بعدك وتجرى اليوم على خدى دار الى انسان مقلتى قال لو أنت ما عدلك نظر بعدى

ما ترى ما قد جرى منك على الخدود قال لو أيا فتان جرى الما من تحت بعدك راقب الله فينا يا انسان

(دور) ذا الغزال النافر الانسى * للغزاله قد أعار النور

كسر قلبى كسير جفنو فاعجبو للكاسر المكسور و بخمر الدن قد عربد وادعى انى أنا المخمور

وابتسم لى عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان صحت يا قلبى صفا وردك أنت ما بين النقا والبان

(للصفى الحلى) أنت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين

الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

(دور) أنت شامابين الانام الله يحرس شمايلك

وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم و باعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا

ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك ماينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين

(دور) مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم

كل من جاليسالك ليس تقول له سوى نعم أملك أنت أوملك ضاعف الله لك النعم

أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين درغيثك فى انسجام عم كل السائلين

(دور) لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا

كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

(دور) حتى تقضى ذا الصيام و يليه باقى السنين وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

(غيره) خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم ثغر معشوق الفتان نون وعين وميم

شال السعد فوق راسو عين ولام وميم دالى قد هواه قلبى صاد وبا ويا

مليح مارأيت مثله ظا وبا ويا ماحلاه عندما يلبس قاف وبا ويا

ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد

النوم من جفون عينى خا ولام وصاد وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم

قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال اعدل فى الذى صبر و نون وفا ودال

ولا تهجر العشاق يا عين ودال ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(حل فى الالغاز)

(المطلع فى العين)

وماطير أكلوا الجريا كرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح

ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

(دور فى السراج) ومابحر ماهو وماوى الليل يزيد * وينقص ولاهو خوض ولاهو غريق

وفيه شئ صفات حيه بلاوكر استفيد * لها جوهره فى فهما يارفيق

بلاشك ينظره القريب والبعيد * ويخفى و يظهر كل يوم عن حقيق

يغيب فى النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح

ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على ستين ألف * ومامثل ذاك فسرلنا ياخبير * ملحة وقصيفة وتابس ترف

وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير * لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير

لها فيل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح

وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قالتو ومن غير مزاح

(دور فى الغربال)

وماهو الذى باسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا

وهو بين خشب صلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى أصول الحيا

اذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولاحد يعوض موضعه لوعيا

وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المساو الصباح

ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فتونه دول فنون ملاح

*(الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى)*فمن تلك الاربعة واحدة (لصفى الدين الحلى)

وسار وا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه نخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فانشد شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا انا لعبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الى وقالا خالد و يزيد

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول كريم كريم الامهات مهذب * تدفق كفاه الندى وشمائله هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله جواد بسيط الكف حتى لوانه * دعاه القبض لم تجبه أنامله فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما * تساقط منى الريش أوكاد يذهب

فانت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ماسمع وحسبى ما أخذت وانصرف (وجاء) الى خالد بن عبد الله بعض

(وحيث ذكرنا) نبذة من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء (فمن ذلك) أن رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت يا أبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا (وألام اللئام وأبخلهم) جيد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله من قصيدة ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد اظفور (وقال فيه أيضا) تجهز كفاه وتحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل (وأكل) اعرابي مع أبي الاسود رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فاخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان ياكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزل من السماء ماتركتها (وقال اعرابي) لنزيل نزل به نزلت بوادغير ممطور ورجل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم وللحمد ونى رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاخطفن رأسك والسلام (وقال فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام فقام وقال من حنق عليه * ببيت لم يرد فيه القيام أبي وابنا أبي والكلب عندي *

يا طاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هو اطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواءك قد غارت

(وقال أيضا)
سل مقلتيك الكحال عن سلاسلها * ومرشفيك من رشف نهلا سلاسلها
وعارضيك التي مدت سلاسلها * كم من أسود ضواري في سلاسلها

(وقال آخر)
قد أوعدونا الغضا يا أثنا نخلو * في ظل بستان حاف بالثمر نخلو
والعاذل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادي قط ما نخلو

(وقال آخر)
قسما وبالله مطرقها وجامعها * ومن أمرنا بسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتي عابد وجامعها * كان افتتن في محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)
قوم اسقني ماتبقى في أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقو * سقى المدام وان عزت سقى ريقو

(وقال)
البارحة رأيت بعيني في الدجاجين * اثنين مثل البدور في الدجى جبين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجين * قالوا لمن قد رعدنا في الخفاجين

(وقال)
قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعي وخف في قتلي ربك
يكفيك تهجير تكدر قلب من حبك * ماظن في الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خمري عاطل)
كاس الطلا لاطلاها طال لياسر * وصار لما حوى خمرا مكال در
مدام لو طعم كله لوماه مر * ماحل مملوك الا صار مالك حر

(غيره حربي)
لك يا امام الوغا في كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفي الكرب
هذا ولك كلما دارت رحا الحرب * سيوف تفني وكفك لا يمل الضرب

(الصفي الحلي في المدح)
أغنت وأقنت كفوفك في الندى والحرب * في القرب والبعد من في شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى في الكرب

(وقال أيضا)
من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفي قوله جمع ضدين
ماجدت الا وثغرك مبتسم بازين * وذاك ماجاد الا وهو باكي العين

(وقال في التهنئة)
رأيت ذا العيد أول يوم في عصرك * ورؤيت ذا اليوم مع ذا الشهر في نصرك
ورؤيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(في المعاتبة)
عني تسليت وأسباب الجفا سليت * ومذ تواريت عن طرق الوفا وليت
لما تماديت بالاهمال لي مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا)
ياقلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فان وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبين وكن لي معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر)
حلف علي اجكاره أن يقاطعني * وصد عني واقسم ما يطاوعني
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعني * ان كنت آنا المطاق لا يراجعني

(وقال آخر هجوا)
قطع فقا ابن اخت خالك وابن أخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن امك
وان تكاهت تصطفع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب في فك

بمنزلة اذا حضر الطعام وقال له ابن لى يا ابن كلب * على خبزى أصادر أو أضام اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام فما فى الارض أقبح من شوان * عليه الخبز يحضره الزحام (ويعجبنى قول بعضهم) زفقت الى نبهان من صفو فكرتى * عرو ساغدا بمان فنقلها عشرا وهام بحبها فلما ذكرت المهر طالقها عشرا

(وقال آخر)

ان رمت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك فتكرفى ألم نشرح

(وقال آخر)

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

(وقال آخر)

يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنو وعن قصة السلوان لا تخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ما خاب الذى يصبر

*(الفن السادس كان وكان)*له وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

يا قاسى القلب ما لك تسمع وما عندك خبر ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل ما لا ينفعك لينك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل فكيف يا مخالف تحسب من الحضار
ويحك تنبه يا فتى واسمع مقالى واستمع فى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع ما فى النصيحة فضيحة كلا ولا انكسار

(وقال أيضا)

صرح بذكر المحبة ما فى المعمى فائده وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى وفيه عزى وذلى بهجتى أفديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شركه ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان انى لو ردت مثله ما حصل وهو على معهود وانا عليه معتاد
قد كان شرطى وخاتى ابرج غيرى ما عرف كانا فى الصحبة جينا على ميعاد
من قبل ما أبصبص له يحى ويدخل مصورى وانا أرصده فى مطاره خائف عليه ينضاد

(وقال آخر)

ما ذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى وما أطيق التجاد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لونه وطعمه وريحه ما أكثر مغابن حبيبى وما أقل وفاه
أنا عرفته وحظى وكل ما الحسن لو يسيء لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

(وله فى الفراقيات)

يا سادة هجروني وهم نزول بخاطرى لا أوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وأنستم فى خاطرى والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى وما بقى فيا رمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى أعد بين الاحيا وأنا مع الاموات

فاذا أنا برجل يخاصم جاره له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغديناه وأخذت عظامه فوضعتها على باب

بعلها أخوا مرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت ببعض طرق الكوفة

داري أنحمل بها فاخذها وضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي اشترى الرأس وقال رجل من الظلاء لاولاده اشتروا لي فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعلى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا ادع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط الوكها يا أبت والحسها حتى لا يدري أحد العام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت امصها ثم أدقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج اعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فاقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة باهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الارض نباحا قال فما حال جلي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فما حال جلي زريق قال أو مات جلي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل اللبن الى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال)

ودعمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم ايش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
ما مر ما ريت ضدى يقول لى من فرحته هنا نشق المرايير وتسكب العبرات
لولم أسلى روحى وأرض نفسى بالمنى لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أظعانكم أخفض جناح المذله وأرفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطع الدمع منى وأصعد الزفرات
ما أطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه وما أقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت وسيآت الاعادى اتبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو ويفعل الله ما يشاء والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعها ابن نقطة رسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة موت أبيه ليجري به على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين وقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله قوله يا سيد السادات * لك يا كريم عادات أنا بنى ابن نقطه * تعيش أبو يامات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لابيه

(ومنها للصفي الحلي)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور يسمح ولا فبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلى والخدور * وجوه مثل البدور أشرانها في المعاجر * وغربها في الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيري يلازم الصدور * وأنا عليكم أدور وأصطلى الصدر وأنا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور يصون سره ولا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور ومن هتك سر حبو * يمحى من الدستور
ابذل البيض النحور * أموال مثل البحور ان ردت ثلث وثلثين * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفي العطا لا تجور تريد هذي المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور مثل الدوالب تجرى * دموعها وتدور
من تركب المحذور * هو في الهوى معذور يظفر بحبه ويبلغ * قصدو يوفي النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور واجعل تراب أعتابهم * لاجفان عينك دروز
طرق المحبه وعور * كم بنهامذعور من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * في حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن * مدامعه ما تغور
كم بينهم يعفور * كالظبي آنس نفور من أهل بدر فديته * ايش ما عمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء في رمضان

لا زال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد

دعبل) كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتامل الديك فرآه بغير رأس فقال غلامه وين لرأس فقال رميته لقلة وانى لا كره ان يرى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم تر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله ما قات عندى من يأكله انظر فى أى مكان رميته فاتنى به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته قد رميته فى بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزى) صدره من سعال فوصف له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماثل الايام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف ماء النخلة وقال له انه يجلو الصدر فامر بنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجد به عصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتك النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دوائك وغذائك فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان ابن صبيح) قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فاتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد عاق فيها عود بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شربت الدهن واذا ضاع ولم تحفظه حتى يجيء غيره فلا نجد لا عود اعطشا ونخشى ان يشرب الدهن قال بينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ

فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت فى تاييد * فى الصوم والتعييد ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * ما فوق جودك مزيد وكم نعمت بفضلك * قريبنا والبعيد
لا زلت فى كل عيد * تحظى بمجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت مسوقى * كما يوقى الوليد
ما زال برك يزيد * على أقل العبيد ومن يرح جود كفك * منا كجبل الوريد
لا زال برك مزيد * دائم وباسك شديد ولا عدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

(ومما قيل فى فن الحمام)

أنا ماء بورى الحمام * لجسمى الكى ينظف الا لدمع جارى * على المآ ولا يوقف
وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها

(وقال آخر) نوى كل من نعشقو علينا يقيم أنفسه فاسلاه واترك هواه * وسدا طريق خلفه
وان زاد على عشقو وزادبى الهوى والذل تركتو ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أنشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسال الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنه فاستشار جاره المجوسى فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لا بد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بايهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى أن أزوجها قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فرد فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياه ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى ما لم يركب وأحب للدلج ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لا تخذت (١٩٦) مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا

ربما يتعلق به شعرة من قفان القفيلة فينقصها فقال له الرجل الحر ارشدني أرشدك الله ونفعك بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدي) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف ضيفك قد جاء زاده * فارجع وكن ضيفا على الضيف (وكان) أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدي فوزنتها فربحت درهما واشترى لها بدرهم فلما وضعه في قدر دعا صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان * واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب الي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق (ومن الموصوفين بالبخل آل مرو) يقال انه من عادتهم اذا تر فقوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى اوغرت كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق (وكان) عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل

(فاجابته امرأة) ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذال بالزمام وتركبا
والراس ينفع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(وقال خالد بن صفوان) عليك اذا ما كنت في الناس ناكحا * بذات الشبا يا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له سل سليمان واخبرني بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام لذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا النطف وقال صلى الله عليه وسلم انظروا في أي شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته
(وقال بعضهم) وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة وامام الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز فما فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة تومها فتزوجها فاستدوا

صفات من يستحب اشرع خطبتها * جلوتها لاولي الالباب مختصرا * صبية ذات دين زانه أدب
بكر ولود حكت في نفسها القمرا * غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التي أجلوا ان نظرا
فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة * أحاط علما بها من في العلوم قرا

(وقال آخر) مطيات السرور فوق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

(وقال آخر) فاياك اياك العجوز وروطأها * فماهو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الخليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروي أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئ مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان في المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * ولما خطب عمرو بن حجر الكندي الى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أي بنية انك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له أمة يكون لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع مالهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمرا ولا تفشي له سرا فانك ان خالفت أمره

مافى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به (وكان) المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الخادى فى طريقه الى الحج فدا له يومابقول الشاعر أغر بين الحاجبين نور * يزينه حياؤه وخيره * اذا تغدى رفعت ستوره

أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تامنى غدره وايالك ثم ايالك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصيته أمها فاعجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر * وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى ياشعبى علينا بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت ومارأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كاحسن مارأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن لرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينها قالت ان كنت كفؤا ولم تقل كفؤا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لاقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف عاقمة والاسود والمسيب ومضيت أريدهما فاستقبلنا وقال ماشأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال مابها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ماأحب والا كان ذلك فلوشهدتنى ياشعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقالت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسال الله تعالى من خيره ويتعوذ من شرها فتوضات فاذا هى تتوضا بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فاخذن ثيابى وألبسننى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى باخلاقك فبين لى ماتحب فآتيه وماتكره فاجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أوتسريح باحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فاحببتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظك والا تدعه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ومارأيت من حسنة فانشريها ومارأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ماأحب أن يملنى اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بانعم ليلة ومكثت معى حولا لاأرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء وذا بها تجوز فى الدار تامر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك ياأبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فاحسنت الادب وريضت فاحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا قالت أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها فى حالتين قلت وماهما قالت اذا ولدت غلاما وأوطئت عندوجها فان رابك من ريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم أشر من لروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فاحسنت الادب وريضت فاحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تاتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لى جار من كندة يقرع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى يوم تضرب زينب * أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدل منى ضرب من ليس يذنب * فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفى ٤ ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فاجابه الى ذلك وحملها الى العراق فاقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال ياربيع أعطه نصف درهم فقال نصف درهم ياأمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال لربيع فما زالت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة وأخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية * (نادرة) * قيل لابى الحرث ماتقول فى الفالوذجة قال ودت لو أنها ومالك الموت اختلجا فى صدرى والله لوأن وصى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا * (ودخل) * ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعونى الى الفالوذ باكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل القشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم ساس فى الحلقوم ثم مديده وأكل (وسمع) رجلا يذم الزبد فقال له ماالذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة دخله أم خشونة ملمسه (وقيل) له ماتقول فى الباذنجان قال ذئاب الجاجم وبطون العقارب وبزور الزنوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لوحشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى

منها فاستعفاه فاقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فاقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا (وقال) معاوية لرجل على مائدته خذ الشعر من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تاكله بحرد كان أمه فطحلك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك (ودعت) أبا الحرث صبية له فاذنته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداءك لو أن جبلا وبثينة قعدا ساعة لايا كان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر ابن عبد العزيز الى وقال ياشمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كاعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيته به كانه عناق سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا نقذا قال هيه يا أبا جعفر فقال اني صائم فاكله ثم قال ياشمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست جاجات كلهن اخفاذ نعام فاتيته بهن فاتى عليهن ثم قال ياشمردل أما عندك شيء قلت سويق كله قراصة الذهب فاتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال ياغلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال راهو قان نفد ونلاثون قدرا فقال اني بقدر فاتاه هو ومعه لرفاق فاكل من كل قدر لقمة ثم مسح السباع يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وكل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه الراهب ربعة أرغفة وذهب

ابن مروان وافد انزل بدمشق فاتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال ميلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها على عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما دنيت بها رقبتي فارجع به كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سامت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) ان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دوهند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والافاي خير في اجتماع عمياء وأعور * وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فحرب به أبو بكر يوما وهو في غرفته فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فحرب به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
ولا مثلها في غير شيء بطالق * لها خلق عف ودين ومحتد
وخلق سوى في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
أكابد وأحمي في الهواجر وأصبرا * اذا شرعت فيه الاسنة خاضها
الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته وتوضأ فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين اذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وندعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فاذن له يا أمير المؤمنين فادن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها فمنعها أزواجها فشق ذلك عليها وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماءكم مساجد الله فعرض لها يوما في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب يده بين ثديها ثم انصرف فقعدت به ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها الا تخرجين يا عاتكة فتقول كما تخرج اذا الناس ناس وما هم من ناس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير فتزوج بوادي

ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال الى الاردن قال الماذا قال بلغني ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتي فاني السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لاحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة ابن سنان أترى أني اخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائي قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك ياحارث ثم قال ماجاء بك قال جئت خاطبا قال است هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استهجنني قالت وكيف قال لانه جاءني خاطبا قالت أأنت تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فما ذا قالت بان تلحقه فتردده قال وكيف وقد فرط مني اليه مافرط قالت تقول له انك اقبلتني وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت قال فركب في أثرهما قال خارجة ابن سنان فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته قد اعتادني على فلانة أكبر بناته فأتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني مايكره فيطلقني فيكون على بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بابنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فابتاه ولم يذكرا لها مقالتهما فقالت له والله اني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك ياحارث بابنتي هيئة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعث اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعندك أبي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ماشاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فلبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السيئة الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو والله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فاحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقالت لها قد أحضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ انكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت أخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فان يفوتك ما تريد فقلت والله اني لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا نفر جناحتى أتينا القوم فشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملناها عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا باجزل ذكر ثم دخل عليها فقال أما الآن فنعم فاقامت عنده في أرغد عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بني سعد مرت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن أسيد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها أن تزوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعرا

الى البلد حاجة قال وما هي قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا أمر بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لي بالبصرة حرمة قال وما هي قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاي اني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زيادكمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام من الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولهن قال قل فانشأ يقول

زعموا بان الصقر صاد فرة
عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه
والصقر منقض عليه يطير
اني لمثلك لا أتم لقمة
ولئن شويت فاني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده
كرما وأقلت ذلك العصفور فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلني فوالله اني لاعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن فاذا

واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت أحجاج اما ان تمن بتركه * علينا واما ان تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * فما ناوعشرا واثنتين وأربعا أحجاج لا تترك علينا بناته * وخلانه يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع في أن يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بامر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فطرق الفضل برأسه ثم قال للوكيل أندري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتني ستر الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى

(ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم)

ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المامون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا وينديهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تروا

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي
أصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فانشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلما سمع من نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه كثيرا الصدائق
فتى همه مذكان خود خريدة * بعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس لاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذه للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ ممن يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أنصيرة النسب أم طويلته فزيفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت أباها كنفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكتب جارية زفر ساوكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بانني * غنينا وأغنتنا الغطارفة الجرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذ الايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقرة مني السلام وقل له * غنينا وأغنتنا غطارفة الرد
ونازعته في باء معتصر الورد * واني شاهمتهم ناشئ مدكفه * الى عكن ملساء كالدعص في نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأي والبعد * فعجل الينا بالسراح فانه
منانا ولا تدعو لك الله بالرد * فلا تفعل الجند الذي أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله علي هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى اعلم

أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد ملحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها الولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لماء الشفتين بجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال وبحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس *وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فاثر فيها الغنى وأدبها الفقر *وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار

خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا يعمل ولا جار

(وقال الاعشى) لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها السكال

وكانت امرأة عمران بن قحطان من أجمل النساء وجها وكان هو من أقبح الناس وجها وقال لها يوما أنا وأياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثل ما أعطيت مثلى فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابرون والشاكرون فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فاخذ برد أسها وسار بها ومضى فلقيتهما مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فانشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ باقبح تمثال

دعانى اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * توافق عند الاكرمين نوالى

توافق عند المشترى الجد يا الندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس بينانه لتنافست فيهن الملائكة المقربون *وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته

(قال على بن زيد فى وصفه) حمرة خالطت صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال على بن عبد ربه) بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت

يبكى ويتعجب ويقول ولما رأيت السيف جندل جعفرا ونادى منادى للخليفة فى يحيى بكيت على الدنيا وزادتا سقى عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا مع أبيات أطالها ورددها فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله فى خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى أيادى جمة وذخيرة أفتاذن لى ان أحدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشار واعلى بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثوبيات لى كنت قد أعددتها

أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكته في وسط بستان فسلمنا وهو يعد نامائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد قد

بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يحجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به في ليلة مزؤرة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم الحياض الممراض المصفرة المبشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة لسريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة لوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعواء تاكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة تدلي لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كانها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه

قال بعضهم
لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير)
أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمئنت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) في حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقي ابليس وهو يسوق أربعة أحرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثاني قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شركلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين * وخنها وان كانت تقي لك انها
على قدم الايام سوف تخون * وان هي أعطتك اللينان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقال ابن بشار)
رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حائل
ومنتظر الموعود منهن كالذي * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شيء قط الا فعلته وقال الغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود * كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بيني والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم اثنني بذلك الرجل فرددت اليه فامر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم اثنني بولدي موسى فاتى به فقال يا بني وقال

هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وأدخلني الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في أطيب عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا باخيه العباس وقال ان الوزير يقد (٢٠٣) أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه قد أضاع نفسه وقال علي رضي الله تعالى عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شد الحجاب خيرا لهن من الارتياب وليس خروجهن باضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل وقال السمعاني

لا تأمنن على النساء ولو أتى * ما في الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره)

لا تركنن الى النسا * ء ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهـ * ـن معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن ما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذل من أسند أمره الى امرأة * وقيل ان صيادا أتى ابرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فامر له بار بعة آلاف درهم فخط أته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم انثى فان قال لك ذكرا فطالب منه الانثى وان قال لك انثى فطالب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال انتفى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زده وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهو الذي افعل ما شئت وقال عمر رضي الله تعالى عنه أكثر والهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

* (ومما قيل في الباءة) * ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله تعالى عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان عاوده * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه
(وقال آخر) شفاء الحب تقبيل ولمس * وعتب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهقا وشخيرا لم اسمع مثله ثم خرجت الى وجيهتها يتصبب عرقا فقالت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فاجابها بقوله

أنا شيخ ولي امرأة عجوز * تراودني على ما لا يجوز
وقالت رق ارك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمتي تأتيني بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قاتلني فقال قاتلها بهذه القلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا وبعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهي أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

* (الفصل الخامس في الطلاق وما جاء فيه) * عن عبد الرحمن بن محمد بن أخي الاصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغني أن رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجد هن

اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بن بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفوني فلما جاءتهم البلية

ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل اختفى عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا بقي دخلهما به فلما تحامل على الدهر ركبت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما

أتى به قال له يا عمر وأتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم لزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال ردله كل ما استفاد بتمته في مدته و وقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعد قال فعلا نجيب الرجل و بكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه

قال له ياهذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لولم آت خرابا تهم وانديهم حتى اتصل خبري بامير المؤمنين فيفعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وتدد معت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك وايا هم فاشكر وا لهم فاوف ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جنانات الشام فاذا مرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شعيرات عن ثغامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال له يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في مير المؤمنين فنظرت لينا ثم أنشأت تقول

فان تسالاني عن هواي فانه ... بجول بهذ القبر يافتيان

واني لاستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه و رباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يراه و يعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش تكنفني بخمار ويه به فاخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له انت عندي بمكانة أرعالك بها ولكن عاتبني اني آخذ

منازعا وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الا من قبلك يا ولانة لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة فعجل الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أيادي ما طالق فقالت له رابعة وكانت هلا ليضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق قال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارته فاشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا بابلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الاطلاق نسائك في ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلفة فيما لا يعنيك طالق ان أجازني بعلك فاجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعي واسمع من حضرني والله اعتمدت تلك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقلت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تغيبت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

(ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول) ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهو نابه والجبل موصول

وقد قضينا من اسفار فموطرا * وفي الليالي وفي أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها دلك له هات رسالتك قال قلها فانشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا ان يؤاتي * بموت من خليلك أو فراق

قال فاتاها أشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتي أرسلني اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها اعايكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا أعتقك أو تبلغ الي ما أقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فاخذه و لفاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت

أتبكي على سعدى و أنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليها رضي بما رجعت وأخذته كظامة فقال لاشعب اختر مني احدى ثلاث اما أن أقتلك واما ان أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتمزقك فتصير أشعب وأطرق ليلتئم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله *ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار * فاصبحت الغداة لوم نفسي

يامرا ليس لي فيه اختيار * وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت بها يميني * لكان على القدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها فندم على ذلك فانشد يقول فتى صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع

العهد على كل أحد أعرفه أن لا يخونني في شيء فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحد البتيم مسخوذا على المقام حاكما على جميع
الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى أمواله متصفة (٢٠٥) بالصحة ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه

تكنفني لوشاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع * فاصبحت الغداة ألوم نفسي
على أمر وليس بمستطاع * كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعمدة لذلك كنت اعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما ترى فقال يا مولاي ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وأنشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله تعالى عنه فاخذ لحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكأن بالذنيب قليب بدر * من النفيان والعرب الكرام * أيوعدني ابن كبشة ان سنحيا
وكيف حياة اصداء وهام * أيجبن أن يرد الموت عني * ويشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر واليسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا انتهينا * ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحات الرجال * وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال أ لست ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا ذقتها بعد اليوم أبدا * وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاختيه فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ما علمت ما صنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه * وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال مالي هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس ثم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ناديم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني

واعتمد في أمور يؤتمن عليه فقال له يوما أحد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سجة جوهر فائتني بها فمضى أحد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحد وعرضت نفسها عليه ووعدته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السجة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحد بعد ما أخذ السجة وخرج من الحجرة لئلا يذكرها الامير فاقامت أياما لم تجد من الامير ما تغيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وتخيرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض اشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها واشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك

الجارية الاولى حسنها تامرة على تاميره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لانمام كيدها ومكرها وقالت ان أحد اليتيم راودني عن نفسي

فلما سمع الامير ذلك استشاط غضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فناداه فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى

ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحد اليتيم واقف بين يديه آمن فى سربه لم يخاطر بخاطره شئ فلما مثل بين يدى الامير وأخذ منه الشراب شرع فى التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه ولوا الجلوس معهم وقال أنا ماض فى حاجة الامير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له ارسل من ينوب عنك فى احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق وأقبل به فتناوله لاحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره

هجا استلذ وما كانك ولم يوصلنى الى ذلك الا عقلى وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفادة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملى منه وأكره أن أمنعهم عن شئ ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا قومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها اذا ست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر ذخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها لوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائى)

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدى)

دع الخمر فالراحات فى تركها الربح * وفى كاسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداءك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث عن عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * ومن المجون فى ذلك ما حكى أن سكرانا لقى على طريق فجاء كلب فلحس شفته فقال خدمك بنوك ولا عدموك فمال على وجهه فقال وما عارا أيضا بارك الله فيك وقيل لذوقا حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هرش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال انا سك بعرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاه على عقالى
فرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالى

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

* الفصل الاول فى النهى عن المزاح)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح

وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسوا هم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده فانه غير ماذكر فقال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت

الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أخذ يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السحنة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش بتلك الجارية واستقرها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة

فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح وتنكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمى لا تمازح الصبيان فتهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما رأينا الا الكواكب فقالت له ياهذا وأين مكوكبها فاخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حالتهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا باس بالمزاح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما خلقا بى وروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لا باس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاء رجل فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لأحملنك على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مادها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا قال نعم والله وسوادا وأنته أيضا عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى أبول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى فقالوا نعيمان قال لله على نذر أن أضرب به بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المسور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا ورجا لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع فى قلبى أن أتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى

أجد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه (قلت) ويقرب من ذلك ما حكى ان ملكا من ملوك الفرس يقال له اردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا باس شديد وقد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقد اعتد الافهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وأنه أسرنى فى جملة الاسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها ان يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كالروحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فارسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو انى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فسالت نفسه اليها فاخذها للنسرى

وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث في يميني بأخذها ثم انه واقعها وزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غائب (٢٠٨) أبي وأنا غائبة فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التي خطبتها منه وانني سمعت انك أقسمت لتقتلني فتحدثت عليك بما سمعت ولا تقتل هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على أردشير ذ قهرته امرأته وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأي الملك وحنكته في يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى في الستر ولا أرى في قتلها أهون ولا أستر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها فاغرقها فأخذها الوزير وخرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيئا في البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير تناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدك فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين

التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه كتاب تصحيفه تل تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت أني لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت علينا من يؤنسنا باحاديث العرب ويباسطنا استرحت فقال است بصاحب هو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بيدي ما ترى مولاي أرقى الخلق منه فامر باحضاره فاسأل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقي الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتوني بها تكتبها له لا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتجيل جائزتي فامر له باربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا بواسطة بقول أبيب حيث قال

أذلان ليلى العامرية أصبحت * على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتبها على فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى غص برجليه وأعجبه هذا البساط وروي أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في أطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه) أما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا مفضالا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات * وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك قمار وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتي ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق لي في بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلي بن الجهم في الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكر الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا بغير على هذا وذاك على * هذا بغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى هؤلاء جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند دائما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان في كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار * (ومما جاء في لعب الغلمان) * ما حكي أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فابى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فابى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتموا نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدروا دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السادس والسبعون في النوادر وفيه فصول) *

* (الفصل الاول من هذا الباب في نوادر العرب) * خرج الهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء اعرابي

أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من أبى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك وملك الملك ولاولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير ان يجعل الحق عنده وديعة فاخذه الملك وودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر

اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فاخرج له قرص شعير فاكله ثم أخرج له فضلة من ابن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فاخذ الاعرابى الركوة فوكاها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل * ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لا يبدون شهله بالاسفار * وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا باس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا الاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان أطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن ظنبا من أظنابك قد انقطع ورؤى اعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غاص غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنايات الشتاء أقضيها فى الصيف * وسرق اعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلى فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا المامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج * وحكى الاصمعى قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى يا الهى أعلم
فان كنت يومانى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فانشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر مومياً نحو قبلتى
فما لى ببرد الماء يا رب طاقة * ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يا رب فى وجه صيفتى
وان أنا لم أفعل فانت محكم * بما شئت من صفحى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال اعرابى أهلكك الله وحدك أيش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من

شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد وحانية تشهد بأبوة الاب وفى الولد وحانية تشهد ببنوة الابن

لا يكاد ذلك يخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذو وآباه مغروفين خلا أباه وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين (٢١٠) يديك فى مجلسك هذا وتتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك ورحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الاشاه بور فانه كان اذا ضرب بها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك فقال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنشاه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة

قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه وفضله لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى

شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكعوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا أختاه مازال الامام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لا رأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب بشرد مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فانشد يقول

اذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلاشك مصارين بطنه
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل فنى وسط حيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى أنه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فقضى الملك هاربا فضحك الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فامر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وولج فى عطيته السبابا
أما فى مال ردفك من زكاة * فندخل فيه لى هذ النصابا

*وحكى الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ لمن أرض الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها واتفق أن الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أحرة وصفنك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته * وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى بها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فأفرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور

ان حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه نور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه نور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (قلت ومن بديع ما جاء في المكافأة على الصنيع) ما حكى عن الحسن بن (٢١١) سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكي

وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الوفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل توائم حماري في حرامه وارجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فاتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء في غير أوانه فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا اقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وهو معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا واودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

(الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان بن شيبة نخرج البنا فقالان والقلم في أي سورة * ومر بعضهم بقارئ يقرأ ألم غلبت الترك في أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه *وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي اليها فاكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك *وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببلل في سراويلي يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة تخيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب *وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك *ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزعجك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه * وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه قرقة فيسجد

(الفصل الثالث في نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما في المصحف ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتاكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فمات فامر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الى ظاهر المدينة فاحضروهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي أتملي يقبل هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصيح وثمن الاصلاح وما تروحون من هذه البغلة بلا شيء جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعارة وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش *تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء

وقد خلى في مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لابيك مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فاذكرني احدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد به الامر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا وانا ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتاته قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الي فاخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون

خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الي نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا بئس والله ما عملت توجهت

الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما تراك بعد اليوم الا بهذه (٢١٢) العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب

الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني صاحب أبي خالد فقال لي أين تكون قد أمرني أبو خالد باجلالك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي ببركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الخياطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهني فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ونحن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضا المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك

الزيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق ولواع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شقوا بهم سلبه * وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى غص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل * وأحضر رجل ولده الى القاضي فقال يا مولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي فانكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني أقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى اسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر أحفظ آية منها وهي

فارحمي مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به * وتقدم اثنان الى أبي صمصامة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبور وافانكر فقال للمدعي ألك بينة قال لي شاهدان فاحضر رجلين شهد له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدي عن صناعتهما فاخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره * وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في العالوذج واللوذينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فامر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته * وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدي ان امرأتي قحبانا فقال له القاضي طلقها فقال عشقانا فقال قيدها فقال قيدها نا * وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي بحقي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكي) أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاءه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحم الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه فاحشة فقال التاجر قاب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستاجر نابهودي ياصيتا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما

المحتسب

وقد أقدتك العمل فاصلحت شاني وقد أنجز لي ما وعدتني به فما زلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من

فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافاة غير أن أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافاة (ومن ذلك ما حكي عن العباس صاحب شرطة المامون) قال دخلت يوما (٢١٣) الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه

المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصر خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاءت جماعة شهدوا عندي انه بلغ فانا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

*(الفصل الرابع في نوادر النحاة) *وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالعسل والخل بالبقل فقال باصبعين في الارؤس والاضرط في الاذقن * ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أنحوي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أحانا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالامس فاهرس وأعدس واستبذج وسكيج وطهيج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وادلوذج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي * وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بطن عيالك سيبويه وقطويه وبحشويه * ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاسية تارها حامية تمنها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية بالية بها كانت القاضية

*(الفصل الخامس في نوادر المعلمين) * قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار اوباش فاقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتاخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه فاشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم *(وحكى)* الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن انه صوت الكلب فيخرج فامسكه * وجاءت امرأة الى المعلم ولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهي والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها * وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسالته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لا بد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعوك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جعل بعض أذن نفسه * وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافوك اذا فرغت من الصلاة *(وحكى)* عن الجاحظ انه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وراهم عليهم من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجاست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسالت عنه فقيل مات له ميت

رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا ليلك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فامرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أساله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت حزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسال فلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة بعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس

علي ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها فتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هنا فصاحت بهم المرأة

ونهرهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس علينا فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجلها وأفرد لي مكانا في داره ولم يحوجني الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالي فاقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت ورزل أمرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم على خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعملتك فقلت له انك قد تفضلت علي هذه المدة وذلك على عهد الله اني لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت ثم دعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما أكري به مركوبا فتكلم بشئ فاذا هو وامر أته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاء بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا

فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء وذهبت الى بيتي وطرقت الباب فخرجت الي جارية وقالت ما تريد فقلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا قلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم اني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه بردة وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردي علي فؤادي أينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان من الغد يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت يا هذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فاي شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه الممالك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة * وتنبأ انسان فطلبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا وتدعها تذوب فقال استم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصاة من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه * وتنبأ رجل في أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال الى كل أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ * وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقي عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فاخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق * وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله * وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطوا به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله * وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما مثل بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها فتحبل وتلد

فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع الى نسختهما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى بشير حتى وافيت بغداد وأنا أتوقع خبره لانى بعهدى له فى مجازاته ومكافاته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ ان أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى ان أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافاتك لى ان ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت بصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حماما داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه

يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعلمه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبى الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه * وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود * وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى انى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبى بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

*(الفصل السابع فى نوادر السؤال) * وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلى جئت أدعوك الى وليمة * وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم * ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من برأو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فاجلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فانتم أحق منى بالسؤال

*(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) * قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى أسمع صوتى من مسيرة ميل * وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع اذانى أمن بلغ * واختصم رجلان فى جارية فاردعا عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا * وسمع مؤذن حمصى يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضى فانوه فقالوا السلام عليكم فاخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن * وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة * ومر سكران بمؤذن يردى الصوت فخالد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

*(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) * حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى أسمع غاغة فى البر حلى قلوعى واعملى اسطيرتى على جامورى وقدمى الى اسطبل الرجل وقيمينى بمدراة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الامراء حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعال يا شيخ مالى أرى ارطمونك فى حلقك وشابورتك مكسورة وأنت بزتاره معتغير وتقيم الهليلا فى الساحل دخل عليك شرد غربى والا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله يا سيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال يا أولاد جيبوا

فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرط خذ هذا الرجل وشيعه

الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتجبت بانى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فاراد واقتلى فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجبت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غد اتغد أعلمه وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد ان تفعله فى أمرى فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى

غريمى بخناصرة عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت يا نوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القاس وخرجت فى الشعث حتى لقيت هذا الرجل فطحت بخطامته وكسرت اسقة النعلوا فصلح كنت علمتك فى بدرواة وعلمتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الولى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له يا مترة النواتية والله يا خوندهو كارزنى فى معنى اجتماعى على الوحشة وأنا عايم فى الليل الاوشر دجانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شاورتى وقلع لبانى وهاهو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شئ فانا برسوم الامير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيده وسقه وأخليه يروح فى طريقه فقال له الولى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الجر يا رجالة الصارى ساسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلواشيبتنا البان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب اليه على بطونسته هيا قوا مالك خلوا جنب براوجنب جوا قدام الحن وراء الصارى فاكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية يا خوندا هو خنفست عليه العامية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال يا خوندسا لتك بهبوب الرياح وطيب النسيم لرب لا يبالبان بحر اللبات فى الحلفا ندبخنسة الريح وفروغ لزادبعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدمك الك وأقعدك فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله يا خوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر هذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أبوس

*(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) * سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يا كل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يا كل خبز نفسه ويفرغ من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف * وبنى بعض المغلفين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل لو قد عولت على بيع النصف الذى لى واشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها * وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث * وقيل لطفيلى أى سورة تحبك فى القرآن قال المائدة قال فاى آية قال ذرهم يا كلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل له لا تدخله وتاكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من المسترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما وهى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادم مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت

فرأيت معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى أريد ان أوفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين

أمرين اما أن يضحك عني فاكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المامون الحديث
قال ويلك لاجزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد به ذا لاغيره لاعرفتني خبره

فرأيت رجلا راقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه فضحكت
والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد انتني الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلي فقال
له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه اذا انعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي
فقال له بل اجعل لي النصف ولك النصف فابى فقال الثالث لي وثلثا الثمان فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما
دخل على الرشيد سلم فابلغ وترجم فاحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتني أعطيتك
خمسمائة دينار وان لم تضحكني أضرب بك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن
تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل أفعالا
عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن
استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة زنة ارطلان فضربه ضربة
فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير
المؤمنين اسمع مني كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط علي شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو
أن ما حصل لي من الصدقات يكون له فيها ثلثان ولي فيه الثلث وما أجابني الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط
علي أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبي منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه قال فضحك
الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمر لهما بالف
دينار فاخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول في الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع
اذا دعان اختلف في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ما صلى
العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك ورجع مغتما وكان
ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادي عني فاني قريب وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل
سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه
أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء
بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة في الدنيا
واما أن يكفر عن الداعي واما أن يدخره له في الآخرة لما روى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له
دعوته واما أن يدخرها له واما أن يكف عنه من السوء بمثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل
الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا
أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد
ادخر لك *(واعلم)* ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بان لا قادر الا الله
وان الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء
من قلب لاه وأن يكون مجتنبا لاكل الحرام ولا يعمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور
الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل
ما يؤثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا
وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان

(٢٨ - ف - نى) رحمه الله تعالى أن سوار صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما
دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبل له نفسي فامرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسي فدخلني

وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت (٢١٨) أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع

دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا باعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت وقدمت هذه المدينة فاتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الي فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاءه فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت

وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاء لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون الخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما * وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث أن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا أفشيت سرك فافشه الي فاني وفي واذا أقرضت فاقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يا رب أما تستجيب لعبدك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يا رب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام * ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه

ابراهيم منه فدفعها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشئ أطرف من هذا فاتيته وسلم فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه ذلك وأمر لي بالف دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال

اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحاد ثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على ابن عمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى ابن عمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافاك على احسان أبيك وكافانى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم * (ومن ذلك ما حكاه القاضى يحيى بن أكثم) * رحمة الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شانا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة الحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترنا بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقرب به فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى

وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقرضه باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله تعالى عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله تعالى عنه برفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

* (الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها) * كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم انى أسالك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا باحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل على روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضى أن الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من الترك ساكت لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فاسالك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك الترك فانى لمناظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت لريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد الهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شئ به أرحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسالك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت

أسألك بسترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا أعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقي في السماء فنزله وان كان في الارض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لي فيه (وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار لحبكم * بيتا لهجت به من شعر بشار
يا رحمة الله حلي في منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ويعني بها اسمها رحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعاء عمر رضي الله عنه اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فأسترزق طالبي رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وأبتلي بحمد من أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الا وجدت جبريل قد سبقني اليه يقول قل يا محمد اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهو من مواقف الخزي وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد علي ابني فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم اني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فقربنا كاتب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكاتب آنفا فقال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فقال ادع بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروي عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا قال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من يعلم حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسألة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك

الله تعالى في خلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فقلتها وسلكت سبيلي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يتناولني بها فلما رأى القربة نحو فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا الى غنائم عددنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه
ما عنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه
وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل غاب غيهبه
عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فأنخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادي
ألا تخبرني بالله خالقنا * من الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد أبلغتنا منا * بوركت من ذي علما
سنام رائح غادي فالتفت البكر الي وهو يقول * أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا والله يكشف ضر الحائر الصادي * فجدت بالماء لما ضن حامله

تنكر ما منك لم تمن بانكاد * فاطير أبقى وان طال الزمان به * وانشر أخبث ما أوعيت من زاد * هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب لحمدا
زعلك الخالق الهادى * فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة)

علما نافعا محيطا أسألك بمراعيك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به فى الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتم النعمة حتى تهنينى العيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم بامالك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الاركان كلها أن تكشف عنى ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فاوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تسبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فاتيت بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره وحماره وجليبه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد ما دمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لما فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى وديني باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور والاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو * اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا استوجبه منك مما قضيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الى وأنا المسئ الى نفسى فبما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك الذنوب فاسألك

حكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بابى عبد الله الانداسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات نفرج فى بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فعلمنا أنه ورد تلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر فى آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلادة الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا ظهر وجهار جلا أكرمته وخدمته ولا تحجبها نفسها فجاس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام

لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما صنعون قال الشبلى فتقدمت اليه وقلت له يا سيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال يا قوم اعلموا ان الجارية التى

رأيتها بالامس قد شغف بها حبا واستغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريدك اثنا عشر ألفا ولا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتحيرنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أردى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والحوانيت ولحق الناس حزن عظيم فافتقدناه كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فاتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير فقلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فابى أن يزوجها الا ممن هو على دينه ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وهاهو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه مقطوعة النصارى وفي وسطه زنار وهو متكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام في الخطبة

فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ما ذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني ليس لمن الامر

بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلي على محمد وآله وأن تفرج لي باب الفرج طولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فأضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني استغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلي فأي عبادك أو أمتك من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمته اياها في مال أو بدن أو عرض عنها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أتحللها فاسألك أن ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهتم الى من بعده الى من الناس واسع المغفرة ولديك الخير كله يا رب ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شيء فلتسعني رحمتك فاني لا شيء وأسألك يا رب أن تكرمني برحمتك ولا تهني بذنوبي وما عاينك أن تعطيني الذي سألتك يا رب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام * وقال صالح المري قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم اني أسألك بأحمد المحزون المكنون المبرزنا الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بهن في شيء الا عرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء هو باسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني أسألك بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور الذي لا يطفأ والوجه الذي لا يبلى وبالديمومية التي لا تفنى وبالحياة التي لا تموت وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستذل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين * وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وظن اني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألك بانك الله وأنت على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون زال سعيد فما دعوت به قط في شيء الا رأيت نجحه * وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن منجا الحراني خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف البالسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ جمال الدين ناصر السنة محمد بن الامام أبي محمد ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال روينا بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا نهر تيرى قانا أهل ذلك المنزل فقالوا انا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما نمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الي جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فاذا بي شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي ياهذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيتنا في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طرار ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الى ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا وانتم عن وانهم محضرون الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعدد امنها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا فذا فلج فذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها الشيخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ قد رشحه وهي على ما رويناه قبل ما رأينا أولها

شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد ان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل ودادى من صلة الشيخ الى جوارة الحذر يا أهل المودة والصفا من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يتوأسف

الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات * وقال أبو العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول سمعت أبا زيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك لركة الوعد فعملت منها لاهلى وعملت أيضا لنفسى وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول ياعم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الاثر حق والذين رووه انما صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسى ان قال يا عم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الاثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول يا شديد المحال يا عزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى النقى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يا بنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول يا موضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب يا حى يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا انك على كل شئ قدير * وهذه أبيات المعرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل منى ذا لمنى * لابد أن ينشر ما كان طوى
جودا وأن يعطر ما كان نوى * وربما ينشر ما كان زوى * وربما قد رما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى * لطائف الله وان طال المدى
كلمحة الطارف اذا الطرف رمى * كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسا
من لاذ بالله نجى فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا * سبحان من تهفو ويعفو دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عطا * يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

(ومن المنظوم أيضا)

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع * يا من يرجى للشدائد كلها
يا من اليه المشتكى والمفزع * يا من خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى ادفع * مالى سوى قرعى لبابك حيلة
فلئن رددت فاى باب أقرع * ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقير يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر يا خالق الخلق يا رب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل ادعونى

أما مناقد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويحمد الله سلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم اعطونى ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى رد لك علينا وجمع شملنا بك فما جزى لك وكيف كان أمرك

و يبكى وينادى يا شبلى انها بغير ك فنادى الشبلى يا على صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحولك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخناز ير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها الجبال قال الشبلى فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلت له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخناز ير بعد ان كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به

انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
واطلق صراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ ذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطفك بى يشملنى * وقد تجود بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سوالك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن نحل بذكره * عقد النوائب والشدائد يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * ع والمذل لكل جاحد انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد نفسى لطفك يستغا * ث به على لزمن المعاند
انت الميسر والمسبـ * ـب والمسهل والمساعد يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئسـ * ـت من الاقارب والاباعد ثم الصلاة على النبـ * ـى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك يارب العالمين

*(ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض) * دعا رجل لآخر فقال بارك الله فيما سألت ولا سلبك فيما بارك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعا صالح رأى ودعا اعرابى لآخر فقال رحب وادك وعز ناديك ولا أعدم لك أما ولا طاف لك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق واللوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله من الاعنف والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يقصر عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناصفت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستفيده * وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

*(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) * دعا اعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك ثغرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب قاتله الله فتاوحتحت وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فانبعثت نوادبه فقالت شط نوالك ونأى سفرك ثم أتبعته رنة وقالت رنتك أهلات وورث خيرك ثم أتبعت حصاة وقالت حص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابى على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله يحمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سفه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كالحلاق شعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

قد ل يا قوم لى وليتم من عندى * ألنه بالوداد القديم وقلت له يامولاى انا المذنب الجانى فعد اعنى بجوده وبستره غطانى فقلت له بالله نسألك هل كان لهذا من سبب قال نعم لما وردنا القرية

فذوديت فى سرى ليس هذا منال ولو شئت عرفتك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت ألوانا والوانا من الرياحين والحوانيت ونزل الخليفة لقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علم أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جالسون عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح اذ ابطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص واقف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدى لما وليت من قريتنا جاء فى من أخبرنى بك فبعت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان أحببت ان تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال انهضى عينك واعطينى بدلها فنهضت فمشيت قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما

فاذا أنا بشاطئ دجلة فقال امضي الى تلك الزاوية وأقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فدخلها الشيخ الى جوارة وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها (٢٢٥) وتغيرلونها فمرضت مرض الموت وأشرفت

ومادعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتني قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم في البلاد عزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا في بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهي ان ظلمة ظلمنا النفوس قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهي ما عصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولت لنا نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا في عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبالك عنا واخجلتناه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهي ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن النار بالغفر لنا ولا يبالي الهي أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا واسانا كان لك ذاكرا وداعيا بالذي دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادك اغرهم طول املك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطالب أيضا من القدر فان تعسر شئ فبتقدير وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق في تحصيله أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو واقام الرماة يوم أحد ليحفظوه ومن خالد بن اوليد وكان يايس لأمة الحرب ويهيئ الجيوش ويامرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكوت وحمل الرطب الى فمها وأنشد وافي ذلك ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه

على الوفاء ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه (فليتامل) العاقل في ذلك ولا يرى له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطي من يشاء ويمنع فالكل منه واليه (موعظة) قيل عشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما هممت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي ولد يذكر وت الله تعالى من بعدي فاخذها الرجل بامر امرأته ثم أعاد الورشان

الشكوى فقال سليمان اشطانين اذا رأيتماه بصعد الشجرة فشقاه نصفين واما أراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سائل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام

فقال لا شيء عليك ان لم تفعل ما أمرتك به فقال اعترضه الملك فطرحا في الخافقين اه (وكان الحسن بن صالح) اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن (٢٢٦) عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء أعطاه كملا أو خرج

بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطالب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان جعل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره ونقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضر برأيه مثالا عجيبا فقال ان أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا لله تعالى فهز الا بغعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سبيه الطالب والطالب سبيه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يأته رزق ولم يولد له ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله وانقاد به ان تلا ما سر أنه من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل باخراقوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أمته وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو في بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية في فيها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فسبك توكل يؤدي الى هذا وعن عبد الله الهروي قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قبيس فقال لو ان رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفي الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء رجل من المتقوابين فسأله في ذلك وقال له تمهل علي بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلاني فان لي مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بيني وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا أعطيك مالي لا أن تجعل لي كفيلا ان لم تحضر طايته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فدخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذي ذكره فلما قرب الاجل الذي بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر في البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعد أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة ونحر عليها ثم قال اللهم اني جعلتك كفيلا بايصال هذا الى صاحبها وقد تعذر علي وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار في خشبة بصفتها كيت وكيت وعليها من نقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الي والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت تردد الى البحر لاجدك أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الي فلم أزل أراوغها الى أن أخذتها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرني بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لتوكلت عليه حق التوكل * وقيل ان سبب بداية ذي النون المصري رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى يبعد عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر في أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قوافل القمح وشرب الماء ثم غابتا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت * وحكي ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد في صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه في صناعته وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجدها فاذا المعلم السلطاني وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطان وله سعاة تظاهر تمايين مما لين وخدم وفراش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقي من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة فلما فرغ النهار دفع له

* فلا أدب بعيد ولا ذيب (قيل) لمعمر بن عبيد بحضرة قوم فقيل ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا له الا درهمين
انه سارق العلانية يقطع سارق السر (ومن ذلك ما حكي) ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على

درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له انجها فاخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروأة أعملها ولا أؤاخذه بخله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فحط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انه صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصانع يرجو مكافاته عما عامله به فما التفت اليه المعلم وما كان النهار وما زاده على الدرهمين شيئا فما مضت الا أيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه فى تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى أن عمل الزوجين وهو لا يزيد شيئا على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يحمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى ✻ ان لم تكفى فعنى
خرجت أطلب رزقى ✻ وجدت رزقى توفى
فلا برزقى أحظى ✻ ولا بصنعة كفى
كم جاهل فى الثريا ✻ وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على انه اذا ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما فى قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم يرباطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له فى القضاء فاخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك فى انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما زاده فى آخر النهار شيئا على الدرهمين فلما كان اليوم الثانى خلا خاطر الملك فاستحضر الخطية التى عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما فى يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفى حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم آراه النقش وقال ان لم تصدقنى الحق لاضربن عنقك فاصدقه الحق فامر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه فى الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلم ينل هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلاطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا ✻ تداعت له الاشياء من كل جانب
(وقال آخر) ما سلم الله هو السلم ✻ ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت ✻ وأنف من لا يرتضى راغم

✻(وقال كعب بن زهير)✻

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى ✻ سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
والنفس واحدة والهم منتشر ✻ والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر

روى فى الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال

فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير بعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فاخبر بان له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له

حرمه من غير اسم ذات وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتاذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فقابله وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان واثنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده

أنت حلت للناس عني اني أبغضك فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث بما ليس لي به علم فلما كان ذلك مكر امنه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتله الله لما حسدما أعدله بدأ بأخيه فقتله ثم اتخذ البدوي وزيرا وراح الوزير بحسده انتهى (وحكى) ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذي مات فيه دخل عليه بعض بني هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمي فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبي ذؤيب الهذلي من قصيدة رثى بها أولاد الله ماتوا بالطاعون

وتجادى للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

فاجابه الهاشمي على الفور من القصيدة المذكورة بعينها واذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع (ومما يشاكل ذلك) ما حكاه لي سيدي ومولاي عمدة العلماء الاعلام ونتيجة قضايا الاذكياء الفحام الشيخ عبد الغني أفندي الرافعي حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله أفندي ابن قاضي الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخليفة العلية في أيام السلطان سليم ابن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما في الغائق بين أسكى دار وسلامول فرغائق الشيخ بالقرب من غائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب ان يدعوه فقال عند ما دانا فيم اقتحامك لجج البحر تركبه ... وأنت تكفيك منه مصة الوشل (فاجابه على الفور من القصيدة) أريد بسطة كف أستعين بها ... على قضاء حقوق للعلا قبلي فعند ذلك سأله عن مكانه فاخبره انه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقافلة

له الطائر يا نبي الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين * ويروى أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نناظرك في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيئا ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاها للامير وراء الستر وما فعلت أن التدبير ليس للعباد * ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة من بصر القريب منه والبعيد على بعد في القوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا ... وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر) أقام على المسير وقد أنيخت ... مطاياه وغرد حاديا ها

وقال أخاف عادية الليالي ... على نفسي وان ألقى رداها

ومن كتبت عليه خطا مشاها ... ومن كانت منيته بارض ... فليس يموت في أرض سواها

(ولما قتل) كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما في قوله وكان تحته كنزلهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وحكى الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما فلما بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وتوارى في بئر والمدينة ذلك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فنزل الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيما قال السائر الفار من القضاء الغالب كالمنقاب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا ... ط بك العدو ولا تفر * لانك خير ان بقيـ

ـت ولا عدا في الدهر شر * ان كنت أعلم أن غيـ

ـر الله ينفع أو يضر

* (الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار) *

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وروى في الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فاني أتوب الى الله تعالى في اليوم مائة مرة * وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمي قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثاني أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضجعة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي

و بعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمر ان يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه ان ذلك عن أمر الملك فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا ان أقطعنيها كفتني ولا أريد سواها فاخبر الملك بذلك فاقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته ببضاعة ادبه (ومن هذا القبيل) ماوقع في عصرنا العوض بك الاسعد رحمه الله تعالى انه حين بدا تغير ابراهيم باشا سر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان في سوق العطارين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الالايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الالاي بهذه ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطي وهو

لي النفوس وللطير اللحوم ولا
وحش العظام وللخيالة
السلب فاجابه بقوله من
القصيدة بعينها وأرسل
يقول له انظر خطي من أحسن
ان كنت تعلم يا نعمان ان يدي
قصيرة عنك فالاحوال تنقلب
(وكتب العلامة زين الدين
ابن الوردي) الى قاضي
القضاة الكمال البارزي
وقد كان عزله من منصب
القضاء وولى أخاه

حلتني وأخي تباريح البلا
وتركتنا ضدين مختلفين
ياحي عالم عصرنا وزماننا
ألك التصرف في دم الاخوين

فاجابه بقوله

أبا عمر انزجر عن مثل هذا
فأحد بالولاية مطمئن
فان لك فيك معرفة وعدل
فاحد فيه معرفة ووزن

قال صاحب التالد والطريف وأذكر لك هنا حكاية لطيفة

الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذي ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخاري وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فاتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن تبان التمار وكنيته أبو معقل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما دؤكم فالذنوب وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن

فيها لفظا أمرع من كلام الخصيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه من الحرائة فذكر له اني أزن الشعر فاخبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني وبينك ما شددت عليه من بعد ذلك براحتي وبحق ذاكم علينا فاعلموا من ودأمرع والحمد لله وقال لي أخرج من هذا الكلام

بينين نامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بغد وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان في تاريخه) انه كان بين الملك العادل نور الدين ... وبين أبي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية مقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه ويتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

ياذا الذي بقراع السيف هددني ... لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده ... واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تعلن في أذن فيل وبعوضة تعض في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهي عجيبة طويلة غريبة قال صاحب التالد والطريف أنشدت بعض الاخوان الظرفاء لبيتي ذي القرنين ابن حمدان الحمداني وهما اني لاحسد لافي أسعار الصحف اذ رأيت اعتناق اللام للالف وما أظنهما طال اعتناقهما الا لما لقيا من شدة الشغف فلما سمعهما قال وقد وقع لي في هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة طريفة وهي اني كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لاوقصدت بها ما قاله الشاعر في البيتين فكتب لي امفترقين هكذا وقصد اذيتي بها وارسالها الى كأنه يقول لا أملك من عناقي أبدا فكتبت له لفقة لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لا متصلة هكذا وأرسلها الى فعلمت بذلك رضاه وتعجبت من فهمه وحسن فطنته فلما اجتمعنا عتب علي وقال عجبت الامير علي وأتعبتني قلت ما مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) فقال

قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت فغفرت توبته ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان علي من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر حيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما عدتك من نفسي ثم لم أوف لك وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه ما لم يكن لك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته يا ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له لاهو يترك الذنب من مخافتي ولا يأس من مغفرتي أشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني أن العبد اذا زل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة أو كابن ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن بني اسرائيل في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدي صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعوني أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه يا موسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبدل لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع رفع الرحمة ووضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى يا موسى لست بهتك ولا عام ولكن يا موسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبون معكم فاجود بانعامي عليكم فنادى منادي موسى في بني اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام مما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بني اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى توبتهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزى بالاساءة فضلا * وأعصى فيولي جزيلا انعامها
وأبعد عنه وهو يبدل وصلا * وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولاح عن سنن القويم ولازلا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

(الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الامراض والعلل والطب والداء وما جاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الامراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يا رسول الله قال أفتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا لاحط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله في الارض وقطعة من النار فاذا وجد منه ذلك فبردوها بالماء في الشنان ثم صبوا على أيكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت

وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبي زيد السروجي أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل يا من اذا قرأ الانجيل ظل به * قلب الحريف عن الاسلام منحرفا انى رأيتك فى نومى تعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا وقولى من قصيدة

فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لو وددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت بهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه مما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذى أمرضنى

(الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة)

قيل تسارر أبخر وأصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميت الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسار وأبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فسأل سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته ونأت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فا كا * أهلكنى فوانى قذا كا
اذا غدوت فاتخذ مسوا كا * من عرفط ان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سوا كا * انى أرالك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصمم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت أبرصا * وكل كريم لا أبالك أبرص

(وقال)

كفى حزنا أنى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه مافى الصوت مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

(ومما جاء فى العمى) ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل اعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب

ان تناعمن يعانى فيك كل عنا
فحسبه صوب دمع للنوى وكفا
يا حب صبرت لما قامتى أترى
يوما تعانق من أعطافك الالفا

(وما أرق قول بعضهم فى المعنى)

حكت قامتى لاما وقامة مبتلى
حكت ألفا للوصل قلت مسائلا
اذا اجتمعت لامى مع الالف التى
حكتك قواما ما يصير فقال لا

(ذكر ابن خاكان فى تاريخه) انه اجتمع الامام أبو بكر محمد بن الامام داود الظاهرى وأبو العباس بن سريج فى مجلس الوزير الجراح فتناظرا فقال له ابن سريج أنت الذى تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فانى أقول أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى أن تنال المحرما وأجل من نقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما ويطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى رده لتكلما ورأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فما ان أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن سريج ولم تفتخر على ولو شئت أنا أيضا قلت ومسامر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته ضنا بحسن حديثه وغنائه

*وأكرر اللحظات فى وجناته * حتى اذا ما الصبح لاح عموده *ولى بخاتم ربه ويراته فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدى عدل أنه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس بن سريج يلزمنى من ذلك ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى *وأمنع نفسى ان تنال المحرما

فضحك الوزير وقال جمعتها العافية وظرفا وفهما وعلما اه *(ذكر أبو بكر الخطيب)* انه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون انه من عسر عليه أمر (٢٣٢) أطلق طيرا فيتيسر أمره فمر عبد الله بن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وأنشد يقول

تاحت مطوقة بباب الطاق ... فبكرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما ... كانت تغرد فى فروع السلق
فرمى الفراق بها العراق فاصبحت ... *بعد الاراك تنوح فى الاسواق
فجعت بافراخ فسبل دمعها ... *ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل متينه ... *وسقاه من سبم الاساود ساقى
ماذا أراد بقصد مقرية ... *لم تدر ما بغداد فى الآفاق
بى مثل مابك يا حمامة فاسألى ... *من فك أسرك أن يحل وثاقى
قيل انه فى ثانى يوم أطلق ورجع الى بلاده *وحكى عن خالد الكاتب انه قال جاءنى يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلسنى وقال أنشدنى من أجود شعرك فانشدته رأت سنه عينى مقارن كم رأت ... *من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حيانى بورد كانه ... خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعنى كاسا كان حبابها ... دموعى لما صد عن مقلتى غمضى

وراح فكل الراح فى حركاته *كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض فزحف حتى صار فى ثانى الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود ذمى بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فانشدته عاتبت نفسى فى هوا *ك فلم أجدها تقبل وأطعت داعيها اليك ولم أطع من يعذل

لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم ... *ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال) اذا عدمت طلابة العلم مالها ... *من العلم الا ما تطرف فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم ... *وحيرنى صمى وهاد فترى قلبى

(وقال) ان يأخذ الله من عينى نورهما ... *ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل ... *وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال) عزاؤك يا مقل العين الكحول ... *وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى ... *وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما الشجى ... *ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا ... ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا ... *فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى ... *بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمدت ... *على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفالج سيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا مال الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية ألوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم ومن أفلج ابن أبى دواد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة وقد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا ... *ضربت بفالج ابن أبى دواد

وشجة عبد الحميد وكانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه أثر فى جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشج بنى أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابى الاسود ما الشىء ونصف الشىء ولا شىء فقال أما الشىء فالبصير كانا وأما الا شىء فالاعمى وأما نصف الشىء فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب فى التداوى من الامراض والطب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خثيم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال انهم ان مرضى من الطبيب وانه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لا أدعو طبيبا لطبه ... *ولكننى أدعو لنفسى بمنزل القطر

(وعاد الفرزدق مريضا فقال)

يا طالب الطب من داء تخوفه ... *ان الطبيب الذى أبلاك بالداء
فهو الطبيب الذى يرجى لعافية ... *لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاختهاده فمضى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل

ذبح وكان حاذقا فى الطب فاتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد نتفت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه أوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافى فاسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركتك مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة * وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات مثلثيات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فكشفوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بات عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشرب به لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يسلك بما قبل اليه شهوته ولا ينهملك عليه و يقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع ما كله وقيل أنا مله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل دن غرس الطعام أكثره الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيأ مريئا فمن جمع بين ما ورد فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنيء المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فسلا تقربنه فهو شر لطاعم
و وفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعض الاطباء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه فى المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له على هما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقى الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب فى مكان الشيخ هذين البيتين

يا دعوة كانت علينا دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء
سوداء صفرا كلما غنين لى * لعبت بى السوداء والصفراء

يحكى ان شهاب الدين الخفاجى المصرى شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخى زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو يا روض الامانى
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فاجابه شيخى أفندى بقوله)

اذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان

وحكى عن شرف الدين بن الشريحى أنه اجتمع هو وشهاب الدين فى ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة

أن يصنع شهاب الدين فلما صنعه مسك التاعفرى بذقن شرف الدين وأنشد سرا بعارضة بنده
قد صفعة نابذ المحلى الشريف * وهو ان كان يرتضى تشريفى فارث للعبد من مصيف طباع * يا ربيع الندى والاخريفى فانقلب المجلس ضحكا

(وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادى دخل ذات يوم على الوزير الرضى وعنده الحصر بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث (٢٣٤) لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فانشده زار الخيال بخيلا مثل مرسله
فباشفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى
على الرقاد فينفيه ويرتحل
فقال الوزير للحصيص بيص ومادرى أن نومى حيلة نصبت
لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل
(ومما يشاكل ذلك) ما اتفق للوزير الرضى وقد أنشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما فى جارية حسناء كاملة المعانى والاوصاف وزعم انه لا ثالث لهما وهما قد بدت فهذا البدر منكسف بها * وحقل مثلى فى دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا لثابه * ألست ترى أوراقه تتناثر
فاطرق الوزير يسيرا وقال وفاحت فانى العود فى النار نفسه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر
وقالت فغار الدر واصفر لونه كذلك ما زالت تغار الضرائر
وكان فى المجلس النواجى الشاعر فانشد ارتجالا
وغنت فظل الجنك يطرق نفسه * وجادت لها بالروح منها المزامر
ومن لحظها الهندى فى غمده اختفى
وظبى الفلا فى لفتة وهو نافر
ومن وجنتيها الورد راح بخجلة * ألست تراه أحمرا وهو فاتر
ومن ريقها الصهبا شكت نار شوقها * فاطفأها بالماء ساق مسامر
* (ذكر ابن شاكر الكتبى) * فى تاريخه فى ترجمة شمس الدين ابن عفيف الدين التلمسانى أن جماعة من أهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا ونهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما ملبحا الى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده أرسلتما لى رسولا فى رسالته * خلوا المراشف

فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب الناس بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالحلل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية نبتت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء اسمه باسم النبى الله أنا دواء الكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفان من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الانسان بالطاهر يقتاو على واتق الملء وطعامه مجهود وقال جالينوس الغم المفرط يثبت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا وكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فانت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فانت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فانت أبو ذر فى صدقه أو سجعه أو فى الوفاء فانت السموأل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انا فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ما هى قارورتك لانه ما هى قارورتك وأنت حى تكلمنى فسافرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فامره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعنا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فاحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فوضعها على رأسك نزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن جمعتك لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حجام أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا وذاتعديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرئ ما فيه ولا تاوالى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا لازمها لا يعرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تاكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تاكل القديد من اللحم واذا تعديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فيهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تاكل بشهوة عليك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه

والاعطاف والهيف وقد تمادى بسيراذا لك أنكم * أوقدتم النار فى أحشاء ذى دنف فلما حضر والده شمس الدين وأخبر بالقضية كتب الى ولده * ولاى كيف اثنى على الرسول ولم * تكن لوردة خديه بقطاف جاءتك من بحر ذا الحسن لؤلؤة * فكيف ردت بلا ثقب الى الصدف

وأنت تشتهيه قال بعضهم شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وتد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية وعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعادو الصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * أما انما بعض العوائد داؤنا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيجوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لا حظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بأنس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لا بك كلما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

(وقال آخر) بى السوء والمكروه لا بك كلما * أراد الكا نابى وكان لك الاجر

(وقال عبد الله بن مصعب)

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم وعرض كلبكم فاعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى * بعده من عادنى ومن لم يعدنى

(وقال على بن الجهم) أراقد الليل مسرورا عدمت اذا * عيشى وأحد برعى ليله وصبا
الله يعلم أنى قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحد ركبا

(وقال آخر) اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

(وعلى الثانى قول بعضهم)

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين
لا تبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله)

(روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا نجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين

فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلاقا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد الى الرى أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها ومغترب بالمرج يبكى لشجوه *

ثقب الى الصدف

(ومما نقلته من التاريخ المذكور) ان عالية بنت المهدى العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى ابن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها فى خادم من اسم الواحد طل والآخر شاه فمن قولها فى طل وصحفت اسمه أيا سروة البستان طال تشوقى
فهل لى الى ظل لديك سبيل
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه
وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلف انها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين

وقد غاب عنه المسعدون على الحب اذا ما أناخ الركب في نحو أرضه * تنشق ريا نسمتي براتحة الركب وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فأمر برده ومن شعرها التي كثرت عليه في زيارته * قل والشيء مملول اذا كثرا ورابني منه أني لا أزال أرى * في طرفه قصرا عني اذا نظرا انتهى * (لطيفة) * يحكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر ابن أبي ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة وقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فايكم كان أبدع فهي له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقي الموت يرقى لجذوتي * بمنطقها في العالمين حبيت

وقال كثير وسعى الى بعيب

عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر ابن أبي ربيعة ذليت الثريا في المنام ضجيعتي * لدى الجنة الخضراء أو في جهنم

فقال له عبد الملك خذها ياصاحب جهنم والثريا هي بنت علي بن عبد الله الاموية تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فقال فيه عمر أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني وكان يتشبب بذكرها كثيرا (حكى) أنها واعدته يوما فجاءت في الوقت الذي وعدته به فصادفت أباها الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول أعزبي عني فلست بالفاسق أخزا كما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفوتها وقال له أيم الله لاتمسك النار بعد وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة * وقيل انه ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى * روى أنه

في ظل الله تعالى ويقال جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال لحبيب نحمله أهله الى حبس الابد ويدخل عمرو بن العاصي رضي الله عنه على معاوية في مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمر ولم تقول هذا والله ما كلفتني رهقا ولا أصعدتني زلقا ولا جرعتني علقما ولم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فاشتد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل في الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا لي فراشا واسندوني وأوسعوا رأسي دهانا ثم اكحلوا عيني بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجالسوا عندي أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذي * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أنك العفو فاعف عن زلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على أبي دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فاقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي اصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشران قلبي يحدثني ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نالنا من بلده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغني فقيرا الا فعلت فقام مبرافعل فقال لخادمه خذ بيدي واجلسني ثم أقبل معتذرا اليهم وعابدا وافوقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض مني ألف دينار وافية بيد الله مخيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يابشر اذا أنامت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيامة كانت تحتي أني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال ياغلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند قبره مطر من السماء فوجد رائحة المكتوب بأنها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابي الم تمت قال ولم أبن أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير لا منه وبكى الحولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدري الى أين أهبط والى أي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ما تا قال أما كان لك في موت هؤلاء عبرة تستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفي الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتفف العبد وتحجبه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على أن الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه لزبد بالعسل اذ شرق الصبي فسأل فقال

اعسل وأنت صحيح مطلق فرح * ما دمت تربح في مال وفي مهل

يرجو الحياة صحيح وربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطالب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان أجابت عنه أعطيتك ما تقول وزدتك والتفت اليها وقال ماذا تقولين فيمن شفه أرق * من أجل حبك حتى صار حيرانا فقالت بديها اذا رأينا محبا قد أضر به * أمر الصبابة أولاه احسانا فعجب من جوابها واشتراها (ومن اللطائف) ما حكى عن الشيخ يحيى المساحلي انه لما قدم دمشق الشام وقر أفي الجامع الاموى نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتتن به فسأل عنه فاخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندى العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندى يكون محصلا للفضيلتين فاجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فاجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فاخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

ياجاعلا علم الحساب وسيلة
تصطاد فيه فاتن الالباب
ان كنت في علم الحساب رزقته
فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فاخذ الغلام الرقعة ودفعها الشيخ يحيى فاذا فيها

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاصي دعا بغل وقيد وقال لبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصيناك ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فانت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يرى بظهر المجلود * وسمع أبو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فانا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما) احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة * وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

* (حكى) * ان شابا نقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد مات له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحبيني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قد أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فهم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال علماء بلغنا ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتزله العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من

لهو ت به طيا غر رامهفها * ومذ صار تيسا بعته للمساحلي (ومما نقل نه) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شيء من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال

من يأخذ الذي بيدي الى زوجته فانصرف القوم فجعلا يقسمان رجل منهم وقد لزوجتي أولى به يا أمير العرب فاطلق الامير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد مجوهر في يده فنهبت القوه وحسدوا (٢٣٨) لرجل فقال الامير للرجل ما أجرأك على ذلك قال نفتي انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له ألف دينار * (ذكر ابن خلكان) * في تاريخه في ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع أنه أي يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبي ثم خشه فغضب الحسن فانشد يحيى أيا قمرا خشنه فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا اذا كنت للتخميش والعض كارها فكن أبدا يا سيدي متغيبا ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة وتجعل منها فوق خديك عقربا فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا (قال صاحب التالد والطريف) أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه جاء الربيع وحسن ورده وقضى الشتاء وقبح برده فاشرب على وجه الحبيب وجنته وحسن خده قال ابن السمعاني قال لي المظفر شعيب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه ان هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور بالد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر لي الشان يريد الشراب فقد أفتانا به الامام أبو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال انني لم أقل هذين البيتين ثم قال لي كيف نردهما من أفواه الناس فقلت ياسيدي عن جهات قد سارت بها الركبان أوردت ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمد ويلقب بمحب الدين انتهى (لطيفة) حكى الصفدي رحمه الله بالوافي

يوم الاوملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حزن رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لك فيك غيرة قطاع بها وتبك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما وضعته في لحده كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى ان قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كرامات ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان تغفر فقد مننت وان عاقبت فظلمت الا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا بالموت الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لو لم أعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك بالناس وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عند كما مة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا ضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كمار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا الا اله الا الله ثم بعد ساعة قبض روحه فدخل عليه الوليد ومعه بنته يبكون فقال بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأني بأترابي على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري
فيا أيها المذري على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ثاويا * أزار فلا أدري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره صالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثاني والثمانون في الصبر والتاسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول) *

* (الفصل الاول في الصبر) * قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان طال عهدها فاحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني لمكان غناه ذهب ثلثا دينه ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

بالوفيات أن أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما التنزه فقال له ياسيدى أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له ياسيدى هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعنى قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اؤجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضى الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ ربا سواى وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكى يا بنتاه قولى اذا مات انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومنى وعن عطاء بن أبى رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى فانها من أعظم المصائب وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعنى عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا فى النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفى وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه * وقيل ان معاوية رضى الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابى وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتانى نعى سيد شباب العرب فقال له ابنى أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسى

فاوصيكما يا ابنى سدوس كلاكما * بتقوى الذى أعطاكما وبرا كما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

(وقال) أيا صاحبى ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر) هو الدهر قد جربته وبلونه * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا لا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك تودبع غير قالية لحياتك ولا زارئة على القضاء فيك (ولما) مات ذو الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما طمناه ولا قهرناه ولا ذهبنا بحق ولا أصبنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا وما بى اليك من وحشة وما بى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذا لو لا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من الاجر الى ذرصه فهبه لى فلا تحرمنى ولا تعرفه

يا أولادى لما وقفت خلف القرمة أدركنى لؤم الجزارين (قصد) ابن عيينة قبيصة المهابى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى فالحش أنت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح ومسجود (وله هجاء فى خالد)

أبوك لنا غيث نعيش بوبله * وأنت جراد است تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

(ولما قتل) جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له اتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوبى الهوى وقد بلغه والله انى قلت ولست وان أمكنت فى وصف جعفر * بأول انسان جرى فى ثنائه فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل ابن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله ان لم تهج واحدا ممن فى هذا البيت لأقطعن لسانك

فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من أن أهجو نفسى فقلت ألا بلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه اذا لبس العمامة لمت قرد

*وخبز براذا نزع العمامة فصعل القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وكان) لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرضعته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها الحمد لله الحميد العالي * أنقذني اليوم من الجوالي من كل شوهاء كشن بالي * لاتدفع الضيم عن العيال فسمعتها ضرتها فاقبلت ترفص ابنتها وتقول وما على أن تكون جارية * تغزل رأسي وتكون لغاليه وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا بلغت ثمانيه أزرتها بتقية ثمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه أصهار صدق وهو رغاليه قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف منقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضفناها الينا ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا في عرض كم قال في عرض مصيبتي فداك يابني (وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حزة) فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال بلى كنا نعد عبد الله فاي عبد الله تعني فالتفت أبو حزة اليه وقال يا حزة فقال حزة ابن الاعرابي كنا نحدث انه أعنى بأمن أخذ الله به ذكر أبيه وورد ا

*(ويعجبني قول الصفدي) * لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان نزار ولا أزال مقاما لكن تنازل في الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

فجعلا يجاوزان عنه فقال رحيمي وبه اللهم قد وهبت لك اساءته الي فهب لي اساءته اليك فقال أجود مني وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا فاغفر له بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك الى المصير اللهم اني قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا فرقد انصرفنا وتركنا ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفي الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه دفن ابنه ودفن عند قبره فقيل له أتفعل عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يا رب العالمين

*(الفصل الثاني من هذا الباب في التعازي والتاسي) * روى الترمذي في كتاب السنن للبيهقي عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا في كتاب الترمذي أيضا بسند متصل لي برسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة * واعلم أن التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فانها من المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهي من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه * واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين وهما اذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فانه تفوت رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعي أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفي الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يا رسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يا فلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يا رسول الله سبقني الى باب الجنة أحب الي من التمتع به في دار الدنيا فقال ذلك لك وروى البيهقي باسناده في مناقب الشافعي رحمه الله أن الشافعي قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد السرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمع مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لك على بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لي ابن فرأيت مجوسيا وقال ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوا عنه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لي ابن فكتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فاني أحمد الله الملك الذي لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر

ورزقنا وإياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنيئة وعواريه المستودعة عندنا بها الى أجل معدود ويقبضها الوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة عندك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون * وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعزأ مير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها أروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه باخيه ويسليه ما نصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تأخذ بالصبر فقد اعترضت على ملك الامر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فاصبر اصبر افعجول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعز على أن أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن محمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فيمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب ويتورد ويهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أو جمع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بنى سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه اعرابى وقال عظم الله أجرك الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جانى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان العلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فان يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه

(وقول الآخر) بدت ثريا قرصها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى يا عجبا لشعرها لما بتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى (وقول ابن نباتة) وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكانه نشوان من شفتيه شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه (وقوله أيضا مضمنا) وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالاحاظ من لا يغازله وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله (ولبعضهم فى ذم العذار) غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كانه قمر منير وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير (ولآخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه كانما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه (برهان الدين القيراطى) شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشا وكلا (ابن الصائغ) لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك اذا رامت تشل به فؤادا * يموت المستهام بغير شك (الصلاح الصفدى) يا عاذلا لى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر

 فيه خفى * وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها لا ترم نفسك بين السهم والهدف (آخر) أنفقت كنز مدامعى

في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلي في البارد (عز الدين الموصلي) كالورد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد بالغت في الالثام وقبلته في الخد تقبيلا يفك الورد (ابن نباتة)

انسية في مثال الجن تحسبها شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريم (آخر)

يصدرها كوكبا دركانهما وكنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها فالناس في الحل والركنان في الحرم
(الصلاح الصفدي)

تقول له الاغصان مذهز عطفه أتزعم ان اللين عندك ما قوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه ليقضي على من مال منا الى الهوى
(وكأنه ينظر الى قول السراج)

ومهفهف عني يميل ولم يمل يوما الى فحصت من ألم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقا فاجاب كيف وأنت من جهة الهوى (أراد ملك الروم) أن يباهي أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسه الطويل فبلغت ثنديه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال أردت لكم ما يعلم الناس أنها * سراويل قيس

حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزات هذه العبرة لا تصدع كبدي ثم انه لم يلبث بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فانعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما * وكان بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت ما يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فانا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضي عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها * وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها علي بالسرفان فيه مزيد الاجر * ومن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساؤه الحي يكون عليه وقام أبوه الى ولد كل منهن فذبحه وألقاه بين أيديهن وقال لهن ابكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم يرمأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح * ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح في الايام نعرفه * كمارزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر)

لابد من فقد ومن فاقد * فهيهات ما في الناس من خالد

(وقال آخر)

تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديق يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * وثوابت لا يقفى لهن أفول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي * على أمواتهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر)

ولولا الاسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

(وقال آخر)

وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

(وقال آخر)

ومما يؤدي الى الصبر والعزا * تزايد فكري في عموم المصائب

* (الفصل الثالث في المراثي) * لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبيئنا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك ما بقيت يسير

يالتنى من قبل مهلك صاحبى * غيبت فى لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر) فقدت أرضنا هالكا نبيا * كان يغدو به النبات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدى الانام سويا
وسراجا يجلوا الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عالما حليما كريما * عائدا بالنوال والتقيا
ان يوما أتى عليك اليوم * كورت شمسه وكان ضحيا
فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذلك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

(ولما) مات أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سالت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عز ابذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا يا بن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مساءة يوم ثم نتلوه فى غد

(وقال آخر) ولا أرتجى فى الوت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

(وفى المعنى لبعضهم)

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فاصبحت منها آمنا ان أروعا
فما أتقى للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعى فان تفض * نفسك منى ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح

ومسود ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة محمد ابن الحنفية فغير بين أن يقعده فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكى الجاحظ) ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فاتت بك الى لاصورة على صورتك وفى الجاحظ يقول بعضهم لو مسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو القذى فى عين كل ملاحظ ولوان مرآة جلت لمثاله ورآه كان له كاعظم واعظ

(قيل) انه قدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد قد كان شمر للعبادة ذيله * حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق فى المدينة ملهاة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال باهذه ان كان للتزويج فبارك

لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر)

الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

(وقال العباس بن الاحنف)

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان يقطع منك الرجاء فانه * سيبقى على الحزن ما بقي الدهر

(وقال آخر يرثي صديقه)

خليلي ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلي لو نفس فديتك نفس مت * فديتك مسرورا بنفسي ومالكيا
وقد كنت أرجو ان تعيش وان أمت * فذل قضاء الله دون رجائيا
ألا ليت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال)

كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

(وقال آخر يرثي بعض أولاده)

وقاسمني دهري بنيّ مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد في شطري
ألا ليت أيامي تساعدني ولتي * سبقتك اذ كنا الى غاية نجري
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للخنساء اخبريني بأفضل بيت قلتيه في أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابي العباس السواء في صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنس موت بني الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى لوجه فكأنما * من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر)

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك)

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عندما عزت الى الصدف

(وقال آخر)

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبي وأمي وجهك المقبور
وأرى ديارك بعدك وجهك قفرة * وأرى قبرك مشيدا معمور
فالناس كلهم لفقدك واحد * في كل بيت رنة وزفير
عجبا لاربع أذرعت في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم في عيدهم * ولبست حزن أبي الحسين جديدا
أيسرني عيد ولم أر وجهه * فيه ألا بعد ذلك عيدا
فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقاء ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الملوم مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده الا وعة مكمودا
ما أم خشف قد ملأ أحشاءها * حذرا عليه وجنة تهديدا

لله لك ذي سوالا فاعليا فقالت كالك تخطبني قال نعم فقالت ان في عينيك قال وماهو قالت شيب في رأسي ذفي عنان دابته فقالت على رسلك فوالله ما بلغت عشرين سنة ولكني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني (وقال عبد الله الماجشون) وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يوما يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين لله بالي على أحبابه جزعا قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا ما كان والله شوم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا فقال والله لاعينك فاعطاه عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال لي يقال أحسنت فنظر رفاقنا فقال أقسمت عليكم لما رجمتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت بيننا ان زالها عنم * فديت لا حملت رجلاك يا جمل

ان نام لم تهجع وطافت حوله * فبيت مكلوأ بها مرصودا
مني باوجع اذ رأيت نوائحا * لابي الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتي * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لي * أجلا وان لم أحصه معدودا
لاموت لي الا اذا الاجل انقضى * فهنالك لا أتجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى * قولا على هذا وذاك مزيدا
ما هد ركني بالسنين وانما * أضحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت أني لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد نقيت ورب ما شقي افتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفني لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا وابيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أوصاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن ابن اسمعيل المصري

سالت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسال عمن عاش بعد وفائه * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذي الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
لبيكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفي) يانائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يولك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

(وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابنه)

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثي بنته له نقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدناه ذخرة وقذاكا

(وله يرثي الامير يلبغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الا لمن بات وانقا * بايام دهر ماوعى حق يلبغا

(وقال آخر) الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثي صديقا له توفي وكان من الكرماء)

مادري نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

(وبعض الكتاب في ابن مقلة)

استشعر الكتاب فقد لسانها * وقضت بصحة ذلك الايام

الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو ووفر
لتصلين على النبي محمد

ولتملأن دراهما حجري
فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره (وتزوج) مغنية بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في لرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكي أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحيى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فيها وكذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا

فاذالك سودت الدواة كاتبة * أسفاعليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

هلما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
وياقبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا
فتى عاش في معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا
وما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وقال آخر)

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه مرارا وهو غائب

(وقال آخر)

فديتك لم أصبر ولي قيل حيلة * ولكن دعاني الياس منك الى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فابكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عاثر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوهما قد مات فلما له محمد أو حزه وجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام وا لتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك آخر الاعلى المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيئا الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها باهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو وان تركته فهو لعب ولهو فقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عباض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تامل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عددها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب ان تدبر هذا وقد قال الله تعالى لجميع أهل الدنيا قولا انهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا فهابت فقلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا نحن بلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية

لقد ملك علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجاسنا فاكلنا ثم وهبت له ضيعة شيا شتري به وعظام

وعظام البهائم فقال يا أباهريرة هذه لؤس كانت تحرص حرصكم وتامل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلاجلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر شريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وقد ارتج الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فروان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

(وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك)

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانبه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا العرفتمو * أن المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصيركوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وما

كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أبعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر
يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا يثنى عما يهم به
قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته ما لى فيه من شعر فامر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء انتهى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى

(وقال شرف الدين بن أسد)

يا من تملك ملكا لا بقاء له * جدت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذى الدار المذمة ساعة * يعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * بان لا تفى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس فيصل رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته وأمه مريم وامام الصالحين أبى محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين ناهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال ولولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والمساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بأسطولهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء فلو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا ايها السلام فانى * أتيتم فاقيموا السلام على البعاد

وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قد بغى وكنيف على وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبد
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع النفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس فقال للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الله زهد فى ثمانين سرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى

السرة ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفر فاد وخل الانسى ففعل ما أمر به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صيبة من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سالت صيبة عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقالت لهم الثانى انى بسير من جلد البحمور وقليل من ماء السذاب وندخات على الصيبة فربطت ابهامها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة والبحمور دابة وحشية لها قرنان ملويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الخار الوحشى (ومن اللطائف) ما حكاه أبو الفرج فى كتاب النساء ان الكردبوس فى الاكتفاء قالا كانت عند أبى العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب ابن عبد الله المخزومى وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فخلف لها ان لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فغلبه خالد بن صفوان يوما وقال له يا أمير المؤمنين فكرت فى أمرك وسعتك لكن أنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت

يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت النداء من قربوس سرجي يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عمرت بعد يومي هذا فتوجهت الى أهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فاخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابي فلم أزل أرض تقلني وأرض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال علي بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا أنا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانا فتوجهت معه فاقمت في البستان أياما كثيرة فاذا خادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب فاتنا باكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فاتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا ما كل من فاكهتنا ولا رمانا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لي فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله ياسيدي الجندي فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروي ان داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح في الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسيم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشي والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني * وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر برارع قد أفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم في قوتهم فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعي وأرضي ورثتهم من أبي وجدي فبأذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبي الله اني لم أعرف زرعي ومالي حلال لذلك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال * ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال في كل ساعة * فيا من تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب

حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسراري واستظراف الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بما تشتهي منهن فقال يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والعنيقة الادماء والزهية السمراء والمولدات المغنيات اللواتي يفتن بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المحصرة والثدي النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد في الوصف ويكثر في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك والله ما سألك مسامعي قط كلام أحسن مما سمعته منك فاعده علي فاعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقي أبو العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته في جميع ما أراده فقالت له مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر

قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجعل يعزني وإياه الطريق فالتفت به وقال له هل لك أن تعاد لي فإن معي فضلا من زادي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس إلي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فاشتريت يوما لخاصة لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فأتى الحمام فلما دخلت فقمت إليه فأدخلني الخادم فقمت إليه فأدخلني ضربا ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فنهرني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل إن الله قد أمهلنا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا إلى ربي كما ترائي ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وأنه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار تلظى وجه
فكل شيء سوى التقوى به هيج * ومن أقام على منه أحمقه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الأجلة مكتوبا بالقلم المسندي فترجم بالعربي فإذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهي هذه الأبيات

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم * فأكنفوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * وكان من دونها الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب في بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية واعلم ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فلما طال عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الأرغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الأرغفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كان إلا رغيفين فأكلهما ثم مر على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذبحه وأكلا منه فقال له عيسى بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين ثم مر على وجوههما حتى جاء قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فانطق الله له بقعة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين فمر على وجوههما حتى انتهيا إلى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين فمر على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من رمل فقال لها كوني ذهبا بإذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عليه الصلاة والسلام هي لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق إلى القرية فائتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذي ذهب ليشتري الطعام

تكرهه أو أتاك أمر ارتعت له قال لم يكن شيء من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بقصة خالد قالت فما قالت لابن الفاعلة قال سبحان الله يتعجبني وتشتمه فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت إلى منزلي مسرورا بما رأيت من اصفاء أمير المؤمنين إلى كلامي وإعجابه بما ألقيت إليه وأنا لا أشك في الصلة فلم ألبث أن جاء العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة فوقفوا علي وسألوا عني فعرفتهم نفسي فأهوى إلى أحدهم بعمود كان في يده فبادرت إلى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم هجموا علي فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أردم شيخ أضيع من دمي وركبت فلم أصل إلى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فقاموا بي بالجلوس فثاب إلى عقلي وفي المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه

فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما في الطعام سما فاذا أكلا ماتا وآخذ المال لنفسي فوضع السم في الطعام وجاء فقاما ليأكلا الطعام فما تأفر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل باهلها * وقال الهيثم بن عدي وجد غار في جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سابان نواس خدمت عيصو بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة يستنزلونني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهرجان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال مالم يجمعه أحد قبلي ولم أستطع أن أفتدي به من الموت اذ نزل بي وروي في الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينما هو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله في أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبي الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتي فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشي عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذي منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم
(وقيل في المعنى) بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا في جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب
(وفيه) أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكي) ان رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذني خزاف وعملني اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فاخذني طوّاب وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعا في هذه الارض وأنتم عنها زائلون ولي غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروي) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا * وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته اني مررت بمدينة ثم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد العوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أساله واذا رعاة غنم قد نوت منهم فقلت أين المدينة التي ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبيه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد العوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة تحلى الحلة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد العوفان فغبت عنها

حركة فقال لي يا خالد مذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال أنت وصفت في آخر خلة لي من أمر النساء والجواري مالم طرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان الا كان في ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كما في القدر تغلي عليها أبداوان الاربع شر مجموع لصاحبه يمرضه ويسقمه ويضعفه وان أبكار الاماء رجال ولكن لا تحصى لهن قال فقال أبو العباس ورثت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منك من هذا شيأ قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك الى الاماء والسراري قال خالد فقال لي أبو العباس ويحك تكذبني قلت أفتقتلني يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا عماه هذا الذي حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك

نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة فقال سبحان الله لم يذكر آباؤنا وأجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة ووفا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها ترحا وأسقفا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم)

أيها الربع الذي قد درا * كان عينا ثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فاذا ذاق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كالحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضئ قليلا ثم يذهب * ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الارائك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(ووجد مكتوبا على قصر بادأهله)

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس مالهم خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما وصفت بأبلغ مما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وروي) ان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخر الايام ولا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور بفناء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب)

(ونذكر أولا بعين حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ في السموات ولا في

بما لم تتعلق به قال نعم فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لي تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى (ومن البدائع) ما حكي ان السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فاشار عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون شتوي فامر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الا شتويا وهذا سائل ردوه فقال الامير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ما أردت سائلا هاتوه أحسنت والله يا صلاح الدين فاكله وكان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكي انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم وكان ربما يتهم به وكان بعض الادباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الاديب قريبا من الباب فقلت له أي شئ تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت

الارض الاصلى عليه
(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام
(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك
(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألف لم يعذبه الله بالنار
(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات
(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن تقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا
(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة
(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة
(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية
(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة
(الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى مجلسا أكثركم على صلاة
(الحديث الثانى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته
(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى يا رسول الله لا يصلى عليك أحد الا ويصلى عليه سبعون ألفا من الملائكة
(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد
(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلى على
(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة
(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة
(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فى الهواء بايديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتى
(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه
(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى أكثرهم على صلاة
(الحديث الحادى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مالم يندرس اسمى من ذلك الكتاب
(الحديث الثانى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى

فلعلى أستلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألنى الامير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته فى الجواب فاقسم أن لا بد أن أخبره فاخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاداباء) عن محمد بن عثمان ابن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول
هل من سبيل الى خمر
فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج
فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أدرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فاخذ

الصلاة على من أمتى فاستغفر لهم

(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فانا برىء منه

(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخلفون الطريق قالوا يارسول الله ولم ذلك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا على

(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معى فى ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادى سعد فلان

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه

(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد الى يوم القيامة الا بلغنى اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت ان أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فاكثر الصلاة على النبى الامى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى بافتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فربه جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فامره أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادى والثلاثون) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته وما هو مقبول غير مردود

(الحديث الثانى والثلاثون) عن زيد بن ثابت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلى على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه

من شعره فخرج من عنده وله جيتان كانهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة انا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع ان يبدر من عمر اليها شىء فدست اليه أبيانا وهى قتل للامام الذى تخشى بوادره

مالى وللغمر أو لعمر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى اتحمبه
حتى يفر بالجام والسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لا قفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاجنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم اعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فانزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد * الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين * الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل علي رسولي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذي أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحد في موضع واحد وله حكمة وهي ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بني اسرائيل يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالملة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أي يدعو الناس بامر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعي الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أي يهتدي به كما يهتدي بالسراج في ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا * فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدي حتى يقتبس منه والسراج اذا كان في بلد يملأ ذلك البلد نورا الان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول

فقال لها ان ابني لم تهتف
بهما العواتق في خدورهن
ثم أرسل عمر الى البصرة
يريد الى عتبة فقال عتبة من
أراد أن يكتب الى أمير
المؤمنين فليكتب فان البريد
خارج فكتب نصر بن حجاج
بسم الله الرحمن الرحيم
سلام عليك يا أمير المؤمنين
أما بعد فاسمع مني هذه
الابيات
لعمري لئن سيرتني أو
حرمتني
ومانات من عرضي عليك
حرام
فاصبحت منفيا ملوما بمنية
وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس
بعده * بقاء وبالي حرمة فالام
فيمنعني مما تقول تكرمي
وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها
وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت
راجعي
فتدجب مني كاهل وسنام
قال فلما قرأ عمر رضي الله
تعالى عنه هذه الابيات قال
أما ولي السلطان فلا أقطعه
دارا بالبصرة في سوقها فلما
مات عمر ركب راحلته
وتوجه نحو المدينة اه

من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأوا أبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن اشجار مداد والبحار أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر اليسير من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(قيل) دخل بعض الشعراء على الاديب جمال الدين بن نباتة فرأى في نواحي منزله خللا كثيرا فانشد يقول

مالي أرى منزل المولى الاديب به
خللا تجمع في أرجائه زمرا

(فاجابه ابن نباتة بقوله)

لا تعجبن اذن من خل منزلنا
فالخل من شانها ان تتبع الشعرا

(هذا آخر) ما أردت ايراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المنتخبة والزند الوارى والنادر والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(يقول راجي غفران المساوي محمد محمد الزهري الغمراوي)

نحمدك يا من هيأ لكسب الآداب جميع العقدات وفتح للخلي بانوار آياتك سبل الحيرات ونصلي ونسلم على من كملت آدابه ورشحت بكمل البيان وابجاز التبيان جنابه سيدنا محمد القائل ان من البيان لسحرا وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الانباء زهرا * أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف في كل فن مستظرف تاليف العلامة الفاضل والاوحد الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهي رحمه الله وأعلى منزله في دار رضاه وقد حليت طرر الجزء الاول منه بكتاب غرات الاوراق في المحاضرات لمن اسمه يكفي عن التنويه بشانه ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده في بيانه العلامة تقي الدين بن أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ووشيت غرر الجزء الثاني منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين في الادب حويا من هذا الشان لمسرح النظار فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الادب لعلامة زمانه وفريد أوانه الامام تقي الدين بن حجة المذكور ضاعف الله له الاجور ونانيهما اللفهامة الاديب واللوذعي الاريب الفاضل الشيخ ابراهيم ابن الاحدب عامله الله من احسانه بكل ما يحب فجمع هذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد جامعا من أسرار الآداب كل معنى على انفراده في بابه شاهد وذلك بالمطبعة الميمنية

بمصر المحروسة لصاحبه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر

المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي

ذي العجز والتقصير في شهر ذي القعدة

سنة ١٣١٤ هجريه على

صاحبها أفضل

الصلاة وأتم

التحية

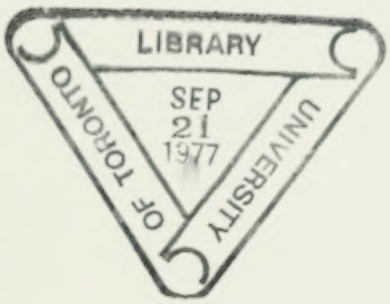
LIBRARY
SEP
21
1977
UNIVERSITY
OF TORONTO

3 1761 08101934 1